موسوعة

تاريخ الأقباط

الجزء الخامس

تأليف

زكي شنودة

المحامي

الطبعة الأولى

١٩٦٦

موسوعة

تاريخ الأقباط

الجزء الخامس

تأليف

زكي شنوده
المحامي

الطبعة الأولى
١٩٦٦



السيد الرئيس جمال عبد الناصر

إهداء

إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر

راجياً من الله أن يقوده

إلى النصر على أعداء الوطن

المؤلف



غبطة البابا كيرلس السادس



المقر البابوى

القاهرة فى { ٧ بشنس سنة ١٦٨٣ / ١٥ مايو سنة ١٩٦٧

السيد الاستاذ زكى شنوده المحامى

تحية طيبة مع أصدق الدعاء .

انهى الى سيادتكم بانى رفعت الى حضرة صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم الانبا كيرلس السادس حفظه الله الاجزاء الاربعة من موسوعة " تاريخ الانباط "

وسرنى ان ابلغ سيادتكم اطيب تمنيات قداسة البابا المقرونة بصالح الادعية والبركات . داعين لكم الاستمرار فى هذه الرسالة الجليلة التى تؤدون بها خدمة لكنيستكم ووطنكم . والرب قادر ان يعوضكم عن اتعابكم ويجزيكم خيرا .

ونعمة الرب تشملكم جميعا ...

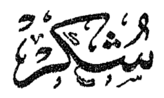
وكيل عام البطريركية

القمص ميخائيل عبد المسيح

دُعَاء

أسأل الله أنْ ينصُرَ وطننا
العزيز المفدّى بصلوات غبطة
البابا كيرلس السادس

المؤلف



يسرنى أن أتقدم بالشكر الجزيل الى الأستاذ الدكتور زكى على رئيس قسم التاريخ وأستاذ التاريخ اليونانى والرومانى بكلية الآداب بجامعة القاهرة سابقا ، اذ تفضل فراجع هذا الجزء الخامس من موســـوعة تاريخ الأقبــاط مراجعة دقيقة ، وقد بذل فى ذلك من الوقت والجهد ما يشهد باخلاصه للعلم وتفانيه فى خدمته ، كما تفضل بكتابة تقديم لهذا الجزء ، شملنى فيه بتقدير أعتز به كل الاعتزاز ٠

كما يسرنى أن أتقدم بالشكر الجزيل الى الأستاذ الدكتور باهور لبيب عضو المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية وعضو المجمع العلمى المصرى وأستاذ التاريخ القديم بجامعة القــاهرة ومدير المتحف القبطى سابقا ، اذ كان قد كتب تقديما للجزء الثالث من هذه الموسوعة ثم تفضـــل للمرة الثانية فكتب مقدمة لهذا الجزء الخامس منها ٠ وهو لا يفتأ يتابع معى أجزاء هذه الموسوعة واحدا بعد الآخر ، معاونا ومشجعا ومطوقا عنقى بفضله الذى لن أنساه ٠

زكى شنوده

تقديم

للدكتور زكى على

رئيس قسم التاريخ وأستاذ التاريخ اليونانى والرومانى
بكلية الآداب بجامعة القاهرة سابقا
ورئيس جمعية أوراق البردى

قرأت ذلك الشق الذى يتناول العصر اليونانى من تاريخ مصر ، والذى يمهد به المؤلف لدراسة تاريخ الأقباط ، وفى هذا الشق شرح المؤلف نواحى كثيرة من صميم التاريخ اليونانى ، مع الافاضة والتوخى المقصود لعرض شتى نواحى الحضارة اليونانية الصميمة ، ولمحات من نظمها وأسلوب الحياة فيها طوال حقبتها وعصورها المتعاقبة . وقد عرج المؤلف على عصر الاسكندر الأكبر وخلفائه ، وخص البطالمة منهم فى مصر بعناية خاصة ، فأعطانا بذلك عرضا تفصيليا لحياة ملوكهم وأعمالهم ، ومع ما توخاه المؤلف من اسهاب فى كثير من النواحى ، فانه فى الوقت نفسه راعى الدقة والأمانة فيما سرد من أحداث ووقائع وما صور من لوحات . وقد نجح فى أن يخرج للقارىء صورا عديدة من ألوان الحياة باعتبارها النماذج الأولى التى وفدت عليها المسيحية وظهر فى كنفها المجتمع القبطى فى مصر .

وان القارىء ليسعد بما يطالعه فى ثنايا تلك الصفحات المستفيضة من معلومات عن اليونان فى بلادهم فى أوروبا وعن جموعهم المحتشدة فى آسيا

الغربية ، والوافدة على مصر فى أعقاب حملة الاسكندر الأكبر على تلك البلاد ، وعن ألوان الحضارة الهيلينستية ، وما كان يسود بلاد هذه المنطقة فى تلك الحقبة قبيل ظهور المسيحية ، من عبادات وطقوس دينية تمثل فى مجموعها ملغمة وثنية ذات واجهتين ، احداهما مصرية صميمة والأخرى يونانية أصيلة ، وبين الواجهتين مقابلات ومبادلات ، فما لبثت تلك الآلهة أن تعرفت على مقابلاتها وخففت ما بينها من تطابق ، وكانت الغلبة فى هذا المزيج الجديد – فى الاطار المصرى وما هيأه من بواتق – للجانب المصرى • وكما قيل من قبل فى كتاب عن « العقائد والديانات فى مصر اليونانية الرومانية » للعالم الراحل السير هارولد ادريس بل ، لئن كان اليونان قد غزوا مصر عسكريا ، فان مصر بدورها غزت اليونان من الناحية الدينية ، ففرضت دياناتها وطقوسها ومراسمها على أولئك الأجانب الوافدين والمستقرين منهم فى أنحاء البلاد • وبذلك تهيأ الجو لمقدم المسيحية ، حيث وجدت أن الأرض المصرية معبدة ، وأن العقول مهيأة ، فترعرعت تلك الديانة الجديدة ، وانتشرت بين الطبقات الفقيرة فى أول الأمر ، ثم ما لبث الرومان أن قلبوا لها ظهر المجن ، وأخذوا يتربصون بالمسيحيين الدوائر ، وينكلون بهم ، ويفرضون على الناس تقديم شهادات ليتبينوا من خلالها من هو المسيحى القادر على مواجهة بطش الرومان فى شجاعة ، فيعترف بأنه مسيحى ، وعندئذ يكون عقابه الرمى فى السجون والالقاء به للأسود تفتك به • وما أكثر الشجعان الذين لم يخفوا مسيحيتهم وفضلوا الموت • وقد قاست المسيحية على أيدى الحكام الرومان على مدى قرنين من الزمان أو أكثر ، ثم خرجت من كل هذا العناء منتصرة مظفرة ، بعد أن صارعت الوثنية وصمدت لها حتى صرعتها ، وتوارت الوثنية ، وقدر النصر آخر الأمر للمسيحية ، وللأقباط فى مصر ، على عهد قسطنطين عام ٣٢٥ ميلادية عندما أوقفت الاضطهادات التى أوقعها بهم سلفه دقلديانوس منذ عام ٢٨٤ ميلادية •

دالتاريخ الـكنسى - والقبطى بالذات - جـديد بأن يدرس فى اطار الأحداث التاريخية التى توالت فى مصر الرومانية ، وفى ضـوء السياسات التى اتبعها الولاة الرومان المتعاقبون ، وما أملته التعليمات الموجهـة اليهم من الأباطرة ، فتارة ينصحون باللين وأخذ المسيحيين بالرفق ، كما نصح تراجان فى خطابه الى بلينى حاكم آسيا ، وتارة أخرى يحمدون الى القسوة والشدة كما حـدث فى أيام نيرون وديكيوس فيمـا بين عامى ٢٤٩ و٢٥١ ميلادية ، ثم دقلديانوس عام ٢٨٤ ميلادية .

وانى لأرجو أن أكون قد ألمحت الى ما لبعض الجـوانب الشـائقة من الدراسات اليونانية الرومانية من أهمية بالغة ، مما لا يستغنى عنه البـاحث فى تاريخ الأقباط فى مصر ، وما وقـع من ملاحم للمسيحيين ، وما تنكبت له السياسة الرومانية المرعية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى من ذلك العصر . وما أشك أن الأستاذ زكى شنوده المحامى سوف يوفى هذا الموضوع حقه ، وسوف يوافينا بالجوانب الخفية فيه ، ويكشف عن البلاء الحسن الذى أبلاه الأقباط فى مصر فى صدر العصر الرومانى ، حيث صهرتهم الأحـداث وقوت من دعائم القومية المصرية ازاء الرومان ومناهضة المصريين لحكمهم ، وتشـهد بذلك أعمال الشهداء الأقباط .

زكى على

مقدمة

للدكتور باهور لبيب

عضو المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية
وعضو المجمع العلمى المصرى وأستاذ التاريخ القديم
بجامعة القاهرة ومدير المتحف القبطى سابقا

فى تقديمى للجزء الثالث من هذه الموسوعة ذكرت أن الأقباط هم أبناء قدماء المصريين ، ولذلك أيدت الأستاذ زكى شنوده فى قوله أن تاريخ قدماء المصريين هو المقدمة الطبيعية لتاريخ الأقباط ، وناشدته أن يسهب فى تفصيل ذلك التاريخ بقدر الامكان ، حتى تكون دراسته لتاريخ الأقباط بعد ذلك راسخة الأساس عميقة الجذور .

وقد وافقنى فى ذلك الرأى الأستاذ الدكتور مراد كامل فى تقديمه للجزء الرابع من الموسوعة اذ قال ان « الأستاذ زكى شنوده على حق أن يجعل التاريخ المصرى القديم جزءا من تاريخ الأقباط ، فالأقباط هو اسم الشعب المصرى منذ أن كانت عاصمته منف الى اليوم » .

ولذلك خصص الأستاذ زكى شنوده الجزء الرابع من موسوعته للعصر الفرعونى من تاريخ قدماء المصريين ، وخصص هذا الجزء الخامس للعصر اليونانى من ذلك التاريخ ، فدرسه دراسة وافية ، أشهد أنها أثارت كل

اعجابى وتقديرى ، لا باعتبـــار ذلك العصر جزءا من تاريـخ قدماء المصريين أجداد الأقباط فحسب ، وانما باعتباره ــ فى رأى بعض العلمـاء الحديثين ــ جزءا من تاريخ الأقباط أنفسهم ، ولا باعتبار تلك الدراسة مجرد استعراض بسيط لأحداث فترة من تاريخنا فحسب ، وانما باعتبارها تحليلا عميقـــا ودقيقا لحياة المصريين فى تلك الفترة ، جمع المؤلف فيه الى دقة المؤرخ بلاغة الأديب وبراعة الفنان ، فجعل من الصورة التى رسمها لتلك الفترة صـــورة نابضة بالحياة ، ناطقة بأدق التفاصيل ، حتى أصبح الجيل الســابق مباشرة للجيل الذى اعتنق المسيحية من المصريين ، واضح المعـــالم أمام القـارىء ، معروف السمات ، محدد القسمات ، متضمنا الدليـــل على أن تاريخ الأقباط ما هو الا استمرار لتـــاريخ الشعب المصرى الذى ثار فى وجـه المستعمرين اليونان والرومان .

وهكذا استطاع الأستاذ زكى شنوده بمجهوده المضنى أن يشق طريقـا فسيحا جيد التعبيد بارع التمهيد لتاريخ الأقباط ، فلا يسعنى ولا يسع كل منصف الا الاعراب له عن الشكر والتقدير ، والابتهال الى الله أن يمنحه القوة والقدرة على مواصلة السير فى هـذا الطريق الطويل الذى رســـمه لنفسه ــ حاملا العبء وحده ــ لأداء هذه الرسالة الجليلة التى نحن فى أشد الحاجة اليها ، وهى تدوين تاريخ الأقباط .

باهور لبيب



ذكرنا فى الأجزاء السالفة من هذه الموسوعة ، أن الأقباط هم السلالة المباشرة لقدماء المصريين ، وأننا لكى ندرس تاريخ الأقباط بصورة وافية مدعمة بعناصر كافية من التحليل والتعليل والمقابلة والمقارنة ورد كل ظاهرة الى أصلها الأول وأساسها الصحيح ، يجب أن نبدأ دراستنا بنبذة عاجلة وشاملة فى ذات الوقت عن نشأة قدماء المصريين ومظاهر حضارتهم ومراحل تاريخهم ، لأننا بذلك وحده يمكننا أن نمهد لدراسة تاريخ الأقباط سبيلا واضحا نسلكه فى سهولة وثقة واطمئنان ، ونبلغ فى نهايتـــه ما رسمناه لهذه الدراســـة من أهداف .

وبالفعل تكلمنا فى الجزء الثالث عن أصل المصريين وميـــلاد مجتمعهم وتطور حضارتهم فى العصور السحيقة حتى بزوغ فجر التاريخ . كما تكلمنا فى ذلك الجزء عن مظاهر حضارة قدماء المصريين فى عصورهم التاريخية وما بلغوه فى كل نواحى المدنية من تقدم رائع ومركز رفيع بين كل أمم العالم التى كانت حينذاك لا تزال غارقة فى ظلام الحياة البدائية الأولى .

وبعد هذه الدراسة العامة لمظاهر الحضارة لدى قدماء المصريين بدأنا نتناول مراحل تاريخهم واحدة بعد أخرى . فخصصنا الجزء الرابع لدراسة العصر الفرعونى ، وقد تكلمنا فيه عن ملوك مصر فى هـــذا العصر ومظاهر الحضارة المصرية فى كل مرحلة من مراحله المختلفة . وكان هذا هو عصر سيادة

مصر ومجدها ، فما إعتدى خلاله معتد عليها وتمكن من احتلالها الا قامت سريعا وقاومته حتى طردته ، ثم استردت قوتها وسطوتها ولم تفتأ تمد سلطانهـا وتخضع جيرانها حتى أمكنها فى وقت من الأوقات أن تسيطر على كل بلاد العالم القديم ، وتنشىء امبراطورية من أعظم امبراطوريات التاريخ . فلما انتهى العصر الفرعونى بسقوط مصر فى يد اليونان ، كان هـذا هو آخر عهدها بالسيادة والحرية والاستقلال ، وقد أصبحت منذ ذلك الحين فريسة لكل صنوف الذل والاستعباد والاستغلال .

وقد خصصنا هذا الجزء الخامس من موسوعة تاريخ الأقباط لدراسة العصر اليونانى فى مصر . الا أن هذه الدراسة للعصر اليونانى لا يمكن أن تكون متيسرة أو مفهومة الا بأن ندرس قبل ذلك تاريخ اليونان وحضارتهم منـذ نشأتهم الى ظهور الاسكندر الأكبر واستيلائه على مصر وقيـام امبراطوريته العظيمة التى شملت كل أنحاء العالم المعروف فى ذلك الحين . وذلك لأن تاريخ مصر فى ذلك العصر قد ارتبط بتاريخ تلك الامبراطورية اليونانيـة ارتباطا كاملا ، فكانت أحداثه جزءا لا ينفصل عن أحداثها ، وكانت الحضارة السائدة فى مصر خلال ذلك العصر هى الحضارة اليونانية فى جوهرها وفى كل صورها . بل ان الحضارة اليونانية أصبحت منذ الاسكندر الأكبر هى حضارة العالم كله طوال ثلاثة قرون ، بل لقد أصبحت هى السائدة فى الدولة الرومانية قرونا طويلة بعد ذلك ولا تزال بعض آثارها باقية فى حضارة العالم الى اليوم . ولذلك خصصنا الباب الأول من هذا الجزء للكلام عن نشأة اليونان ومظاهر حضارتهم وقيام امبراطوريتهم ، وقد أوردنا نبذات موجزة عن حياتهم السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية والاقتصادية حتى تتوفر لدينا عنهم صورة شاملة ومتكاملة بقدر الامكان .

ولعل مما يزيد فى أهمية دراسة الحضارة اليونانية قبل العصر اليونانى فى مصر بالنسبة لموضوع هذه الموسوعة وهو تاريخ الأقباط ، أن الديـانة

المسيحية ، وهى عقيدة الأقباط ، قد ظهرت فى عصر تسود فيه تلك الحضارة اليونانية . ومن ثم نشب الصراع ــ ولا سيما فى مصر ــ بين مبادىء الديانة الجديدة ، ومظاهر تلك الحضارة ، وفى مقدمتها الديانة اليونانية والفلسفة اليونانية : وذلك لأن اليونان قد أخذوا معهم معتقداتهم الدينية فى كل مكان ذهبوا اليه ، وقد نقلوا الى مصر حين استولوا عليها كل معتقداتهم وطقوسهم التى كانت تتعارض كل التعارض مع المعتقدات والطقوس المصرية ، فكان لذلك أثره العميق فى صلة اليونان بالمصريين قبل اعتناقهم المسيحية وبعده على السواء . ومن ثم اهتممنا بشرح المعتقدات الدينية عند اليونان وأوردنا أسماء كثير من آلهتهم . كما نقل اليونان الى مصر فلسفتهم ولم تلبث الاسكندرية أن أصبحت مركزا من أهم مراكز الفلسفة اليونانية ، حتى اذا اعتنق المصريون المسيحية قامت تلك الفلسفة فى وجوههم تحاربهم وتناصبهم العداء ، فتصدوا لها من جانبهم وأشهروا عليها حربا عنيفة عاتية استمرت مئات السنين ، وقد حمل رايتها وأشعل جذوتها علماء الجامعة المسيحية التى قامت فى الاسكندرية لتصد هجمات جامعتها الفلسفية ، وقد أسفر هذا الصراع عن أبدع المباحث الفكرية وأروع المبادىء اللاهوتية التى أصبحت تراثا خالدا للمسيحيين فى كل العصور . ولما كنا سنخوض فى الأجزاء التالية من هذه الموسوعة فى كثير من الأبحاث التى تتصل بالفلسفة اليونانية ، فقد أسهبنا بعض الشىء فى الكلام عن هذه الفلسفة وأوردنا أسماء المشاهير من فلاسفة اليونان مع لمحات من مذاهبهم .

وقد كانت بلاد اليونان هى المسرح الرئيسى لنشاط الكنيسة المسيحية فى القرن الأول الميلادى ، اذ اتجه اليها كثير من تلاميذ المسيح ورسله وتنقلوا بين أرجائها يبشرون بالدين الجديد وينشرون بين الناس مبادئه وتعاليمه . وقد زخر الكتاب المقدس بأسماء المدن والجزر اليونانية التى جرت فيها أعمال الرسل وسرت بين أهاليها أقوالهم . ولما كان من أهداف هذه الموسوعة شرح

العقيدة المسيحية التى هى عقيدة الأقباط وحجر الأساس فى تاريخهم ، كان ذلك عاملا آخر من العوامل التى دفعت بنا الى تخصيص الباب الأول من هـذا الجزء للكلام عن اليونان وبلادهم وحضارتهم ، وقد ذكرنا فى ذلك الباب أسماء كثير من البلاد اليونانية ، التى سنعود فى الأجزاء التالية فنتكلم عن دورها فى تاريخ الكنيسة المسيحية ، والعقيدة المسيحية ٠

حتى اذا أحطنا بقدر كاف من المعلومات عن اليونان وبلادهم ونشأتهم ومظاهر حضارتهم وارتفاع شأنهم واتساع امبراطوريتهم ، تكلمنا بعد ذلك فى الباب الثانى عن استيلائهم على مصر وحكمهم لها وملوكهم الذين اعتلـــوا عرشها ، وما وضعوه للتسلط عليها من نظم سـياسية وادارية واقتصـــادية ومالية وقضائية ، وما سادها فى عهدهم من تقاليد اجتماعية وعقائد دينيـــة ومذاهب ثقافية ، ومما نشب فيها حول ذلك كله من صدام عارم وصراع عنيف بين المصريين واليونان الغاصبين ، أدى فى نهاية الأمر الى سـقوط الدولة اليونانية وانتهاء العصر اليونانى فى مصر ، فكان انتهاؤه بشيرا بعصر جديد هو عصر المسيحية التى ظهرت بعد ذلك ببضعة سنين ، ودخلت مصر فبدأ بها تاريخ الأقباط ٠


العصر اليوناني

الباب الأول

نشأة اليونان وخصائصهم

الفصل الأول

أصل اليونان

اليونان هم سكان شبه جزيرة البلقان وجزر بحر ايجة فى الشمال الشرقى من البحر الأبيض المتوسط • وقد اشتهرت بلادهم قديما باسم هيلاس ، ولذا كان يغلب عليهم اسم الهيلينيين • وقد عرفهم الرومان باسم الاغريق • أما تسميتهم باليونان فنسبة الى قوم منهم كانوا يعرفون بالأيونيين ، وكانت بلادهم تعرف باسم أيونيا • ولما كانت هذه التسمية الأخيرة هى الشائعة ، سنقتصر على استعمالها فى هذا الكتاب •

وقد بدأ وفود اليونان الأوائل الى شبه جزيرة البلقان فى نحو عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد • وقد جاء قوم منهم من السهول المتاخمة لبحر قزوين فى أواسط آسيا ، وجاء قوم آخرون من جنوب غربى آسيا الصغرى ، وجاءت فئة ثالثة من جزيرة كريت ، ومن ثم تكون الشعب اليونانى من خليط من الشعوب، هم الأيوليون والدوريون فى الشمال ، والآخيون والأيونيون فى شبه جزيرة المورة ، التى كانت تسمى بلوبونيسيا • حتى اذا جاء القرن الثانى عشر قبل

الميلاد ، أغار أهل تساليا على شمال اليونان ، فهاجر الأيوليون الى آسـيا واحتلوا الشاطىء الأسيوى من الدردنيل الى خليج أزمير ، كما احتلـوا أكبر جزيرة بالقرب من هذا الشاطىء وهى لسبوس فسميت هذه المنطقة أيوليا • أما الدوريون فانحدوا الى شبه جزيرة المورة وأخضعـوا الآخيين وطـاردوا الأيونيين ، فصعد فريق منهم الى أتيكا فى شمال شرقى المورة ، وأبحر فريق آخر الى آسيا فاحتل جزيرتى خيوس وساموس والشاطىء الأسيوى من أزمير الى نهر مياندر ، فسميت هذه المنطقة أيونيا ، وقامت فيها مدن شهيرة أهمهـا أزمير وافسوس وملطية • ولم يقتصر الدوريون على فتح المورة بل استعمروا جزيرة كريت والجزر الممتدة من قيثارة فى جنوب المورة الى رودس عنـد الشاطىء الأسيوى ، كما استعمروا قسما من هذا الشاطىء الى جنوب أيونيا ، فسميت هذه بالمنطقة الدورية •

ثم فى القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد ، نشبت حروب اهلية فى المدن اليونانية بين الشعب والأشراف انتهت بانتصـار الديمقراطيـة فى أثينـا وأسبرطة • أما فى غيرهما من المدن فقد اضطرت فئات الشـعب المغلوبة الى الهجرة ، فاتجه البعض الى الشمال واحتل شواطىء تراقية وخلقيـدونية ، واتجه البعض الآخر الى الغرب فاحتل ايطاليا الجنوبية وصقلية وجنوب فرنسا والأندلس • ويممت فئة ثالثة صوب الجنوب فنزلت قبرص وشمال أفريقيـا ومصر • وفى هذا العصر بنى الدوريون مدينتين على ضفتى البوسفور ،احداهما على الضفة الشرقية وهى خلقيدونية ، والأخرى على الضفـة الغربيـة وهى بيزنطية •

وكانت بلاد اليونان القديمة تشغل المنطقة التى تشمل الجزر والسواحل التى تحيط تقريبا بالبحر الايجى وبحر مرمرة ، ويمكن تقسيمها الى ثلاثة اقسام كبرى هى الشمال والوسط والجنوب : ويشمل القسم الشمالى من اليونـان اقليم مقدونيا ومن مدنه سالونيك ، كمـا يشمل أقـاليم تساليا والليريا

وايبيروس • ويشمل القسم الأوسط من اليونان آكارنينا وأيتولى ولوكريس وماليس وبويوتيا ويوبويا واقليم فوكيس وتقع فيه مدينة دلفى مركز نبوءة الاله أبوللون • واقليم أتيكا وعاصمته أثينا وميناؤه بيرية ، واقليم ايجنيـــا وكان له دون سائر أقاليم الجزر اليونانية جالية فى مدينـــة نقراطيس التى أسسها بعض اليونانيين من آسيا الصغرى فى مصر خلال القرن السابع قبل الميلاد • أما جنوب اليونان فهو شبه جزيرة المورة وكان يعرف قـديما باسم بلوبونيسيا ، ويفصل بينه وبين بلاد اليونان الوسطى برزخ كورنثوس ، وأهم أقاليمه ومدنه سيكسيون وآخايا وأركاديا وأرجوليس وأرجوس وكورنثوس التى كانت تعقد فيها المؤتمرات اليونانية الكبرى ، واقليم ايليس الذى كانت تقع فيه مدينة أوليمبيا التى كان يقوم فيها المعبد الرئيسى للاله زيوس ،وكانت تشرف على دورات الألعاب الأوليمبية الشهيرة ، واقليم لاكونيا الذى تقع فيـه مدينة اسبرطة التى كان لها الزعامة فى وقت من الأوقات على كل بلاد اليونان ، واقليم ميسينا وكانت عاصمته ميسينى ، كما كانت به مدينة بيبلوس •

الفصل الثاني

مظاهر الحضارة اليونانية

رأينا كيف كانت الحضارة اليونانية ذات أثر كبير في حياة العالم القديم لمدة تقرب من ألف عام ، كما كان لها أثر مباشر في مصر خلال العصر اليوناني . ومن ثم نتكلم في هذا الفصل عن مظاهر الحضارة اليونانية ، فنشير في ايجاز شديد الى الحياة السياسية والاجتماعية عند اليونان والى عقائدهم الدينية ، وأدبهم وفلسفتهم ، وعلومهم وفنونهم ، وحياتهم الاقتصادية وصلة حضارتهم بالحضارة المصرية وما دار من الصراع بينهم وبين الفرس . ثم نتكلم عن ظهور الاسكندر الأكبر وفتوحه وامبراطوريته الواسعة الأرجاء ، وتفكك هذه الامبراطورية بعد موته ، واقتسام خلفائه لممالكها وولاياتها . فنكون بذلك قد مهدنا لدراسة تاريخ مصر في العصر اليوناني ، ووقوعها في قبضة بطليموس وخلفائه من البطالمة .

البحث الأول

الحياة السياسية عند اليونان

كان اليونان فى بداية أمرهم يعيشون فى قبائل متنقلة ويشتغلون بالرعى ، ثم لم يلبثوا أن استقروا واشتغلوا بالزراعة . ولما كانوا قد جاءوا فى أعقاب شعوب أخرى ذات مدنيات قديمة ، فانهم لم ينشئوا مدنية خاصة بهم وانما استمدوا مدنيتهم من المدنيات الأخرى التى سبقتهم ، ولا سيما المدنية المصرية والمدنية الأسيوية . وقد أخذوا عن تلك المدنيات فكرة المدينة ، فكونوا المدن ، وكانت لكل مدينة من مدنهم حكومة مستقلة تديرها وجيش خاص يدافع عنها واله معين يحميها ، وكانوا يسمونها « بوليس » أى مدينة حرة أو دولة . وكانت كل مدينة تنفصل انفصالا تاما عن غيرها من المدن ، فلم يعرف اليونان فى تاريخهم القديم حكومة مركزية توحد بلادهم وتجمع شملهم . وكان الذى يجعل الاتحاد متعذرا بين تلك المدن أو الدول المتفرقة هو كثرة الجبال الشاهقة التى تفصل بينها ولا سيما جبل أوليمبوس الذى يبلغ ارتفاعه عشرة آلاف قدم ، وكذلك كثرة الخلجان التى تتخلل أقاليم اليونان ، وكثرة جزرها التى تزيد على ستمائة جزيرة ، مما جعل الاتصال بين الأقاليم

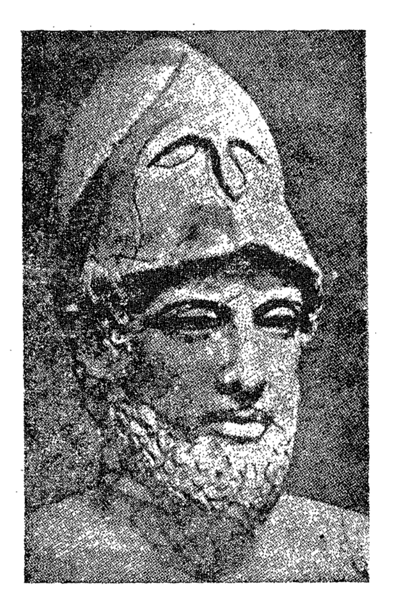
المختلفة شاقا ، بل مستحيلا فى بعض الأحيان · وذلك فضـــلا عن التباين الشديد فى الظروف المناخية والاجتماعية والاقتصادية ، وما يترتب عليه من اختلاف الطباع وأساليب المعيشة · ومن ثم انطوت كل مدينة على نفسهـــا واكتسبت شخصية متميزة عن شخصية سواها من المدن · ونشأ فى كل مدينة يونانية طراز متجانس من الناس يرتبطون كلهم بالمصلحة المشتركة للمدينة · وأصبح أهل كل مدينة يتعصبون لها ضد المـــدن الأخرى ، ويستميتون فى الدفاع عنها اذا اعتدت عليها مدينة أخرى · ومن ثم أدت هذه الروح الانفصالية الحادة الى أن اليونان لم يتماسكوا فى دولة واحدة أبدا · وحتى حين نظمت أثينا فى القرن الخامس علاقاتها ببعض المدن الاغريقية الاخرى وبدت كأنها أدمجتها فى اتحاد واحد ، لم يكن هذا الاتحاد الا ظاهريا لأن كل مدينة منها احتفظت بحكومتها الخاصة وباستقلالها الكامل ، فلم يكن الأمر يتعدى تحالفا بين هذه المدن بزعامة أثينا لمواجهة خطر الفرس · بيد أن المدن اليونانية ــ على الرغم مما كانت تتمتع به من استقلال ذاتى ــ كانت تؤلف فيما بينها عالما واحدا مترابطا هو العالم اليونانى ، الذى تجمع بين أجزائه وحـدة الجنس واللغة والدين ، فكان أبناؤه كلهم يونان ، وكانوا كلهم يتكلمـــون اللغـــة اليونانية ، وكانوا كلهم يعبدون زيوس ، ويحجون الى معبـــده الأكبر فى أوليمبيا ، كما كانوا يتوجهون الى دلفى فى سفح جبل برناس ليتلقوا الوحى من أبوللون ، ويشتركون فى الأعياد الدينية الكبرى ، حاملين معهم التقدمات والقرابين · وكانت تلك الأعياد أزمنة سلام تتوقف فيها الحروب وتقام الألعاب الرياضية ويتنافس أرباب الأدب والفن ، فينشد الشعراء ، ويغنى المغنون ، ويعرض الرسامون تحفهم والمثالون روائعهم · فكان هذا الاتصال المستمر بين اليونان من مختلف أنحاء بلادهم وتلاقيهم فى مواعيد معينة وتبادلهم الأفكـار والآثار عنصرا جـــوهريا وعاملا قويا فى وحدة اليـــونان دفع حضارتهم نحو النماء والازدهار · وقد تلقوا تراث الحضارات الشرقية القديمـة فاستوعبوه وهضموه ثم أخرجوه فى ثوب جديد يتسم بطابع بيئتهم الخاصة ·

وكانت المدينة اليونانية ـ أو ما كانوا يسمونه « بوليس » ـ جماعة حرة مستقلة مكتفية بذاتها معتمدة على نفسها ، أى كانت بمثابة ما نسميه اليوم بالدولة ، على الرغم من صغر مساحتها وقلة عدد سكانها ، وقد رأى أفلاطون أنه لا ينبغى أن يزيد مواطنو المدينة عن ألف نسمة حتى يمكن أن يسود فيها العدل وتتحقق المساواة ، وكان اليونان مقتنعين بهذه الفكرة ومتشبعين بها ، غافلين عن كل ما يحيط بهم من امبراطوريات عظيمة تستمد قوتها وسطوتها من اتحاد البلاد الخاضعة لها ، فما أفاق اليونان من غفلتهم الا حين بدأت جحافل الفرس تهدد مدنهم الصغيرة المتناثرة ٠

وقد أدى ضيق المساحة بالبلاد اليونانية الى الاتجاه نحو البحر ،والحاجة الى الاتجار والنزوع الى الاستعمار ٠ وكانت أسبق المدن اليونانية فى هذا المضمار أثينا ، ومن ثم أصبحت دولة بحرية قوية ، مما أتاح لها أن تفرض زعامتها على كل بلاد اليونان ٠ وقد كان لاستعمار اليونان للبلاد الأجنبية أثر عظيم فى ارتقاء الحضارة اليونانية ، لأن مخالطتهم للأمم الأخرى زادت معارفهم ووسعت مداركهم وحررت عقولهم فانتفعوا الى أقصى الحدود بحضارات تلك الأمم وثقافاتها ، وجعلوا منها دعامة لحضارتهم وثقافتهم ٠

وكانت كل مدينة يونانية فى البداية تتخذ لها ملكا تخضع له ٠ بيد أنه ما جاء القرن السادس قبل الميلاد حتى تحولت أغلب المدن اليونانية الى جمهوريات أرستقراطية يحكمها فئة من الأشراف ٠ وكان يحدث فى كثير من هذه المدن أن يظهر زعماء يتصفون بالقوة والكفاءة فيستأثرون بالسلطة ،وكانوا يسمونهم الطغاة ، ومن أشهرهم ثراسوبوليس طاغية ميليتوس ، وبوليكراتيس طاغية ساموس ، وكليسثينيس طاغية سيكون ، وثياجنيس طاغية ميجارا ، وبرياندر طاغية كورينثوس ، غير أن أشهرهم جميعا بركليس طاغية أثينا ٠ ثم لم يلبث الطغاة أن بدأوا يختفون منذ القرن السادس قبل الميلاد وتحل محلهم الحكومات الديمقراطية ، التى كان الحكم فيها للشعب ، أي هيئة

المواطنين الأحرار ، ولا يعتبر منهم العبيد والغرباء • وكانت أغلب المدن ذات الحكومات الديمقراطية تشترط فى المواطن الحر لكى يتمتع بحــق حضور مجلس الشعب والكلام فيه أن يكون مالكا لقدر معين من الأرض • أما العامة



« بركليس »

والدهماء الكادحون فلا يعتبرون مواطنين أحرارا ، ولا يجوز لهم حضور هــذا المجلس • واذا رغب أحدهم فى حماية القانون كان عليه أن يبحث عن مواطن حر يتولى الدفاع عنه ، اذ لم يكن لغير المواطن الحر حق الالتجاء الى المحاكم • وكان عدد العبيد فى أغلب المدن الاغريقية أكثر من عدد المواطنين الأحرار ،

وكانت العبودية لدى اليونان أمرا مسلما به متغلغلا الى أبعد الحـــدود فى حياتهم ، حتى لقد قال أرسطو أكبر فلاسفتهم أن الغاءه أمر لا يمكن أن يتصوره الانسان • وكان اليونان حين يستعمرون بلدا يعتبرون أهله كلهم عبيدا أو مواطنين غير أحرار ، بينما يعتبرون أنفسهم السادة والمالكين للأرض ويحتكرون السلطة والتجارة وكل موارد الثروة فى البلاد المغلوبة على أمرها •

ومن أشهر المدن اليونانية أثينا التى تزعمت المدن اليونانية زمنا طويلا ، وتمتعت ولا سيما فى القرن الخامس بقدر عظيم من المدنية والحضارة ، وارتفعت فيها منارة الفنون والآداب والعلوم ولا سيما الفلسفة • كما كان من أبرز المدن اليونانية أسبرطة التى تفوقت فى الفنون الحربية فكانت أشــبه بثكنــة عسكرية •

البحث الثاني

الحياة الاجتماعية عند اليونان

وقد كان اليونان شعبا يميل الى الاندماج فى جماعات ، فكانوا حين يهاجرون الى بلاد غير بلادهم لا يخرجون افرادا بل جماعات مؤتلفة متعاونة ، ولم يكن يعنيهم فى البلد الأجنبى أن تلائمهم الظروف الاقتصادية ، بقدر ماكان يعنيهم أن تلائمهم الظروف الاجتماعية ، أى حياة الاجتماع ، ولا سيما فى صورة النوادى التى تكفل لهم روح المساواة وتتيح لهم التشاور فى تحقيق المصلحة المشتركة ، اذ كان فى طبيعة اليونان أن يناقشوا كل أمر يعنيهم فى حرية كاملة ، وأن يصلوا فيه الى قرار يرتاحون اليه .

وكان من أبرز صفات اليونان الحيوية والنشاط والجرأة وحب المغامرة والشغف الشديد بالمعرفة واكتشاف المجهول ، ولذلك ركبوا البحر الى البلاد النائية ، ونقبوا فى أعماق العقل عن الحقيقة ، فبلغوا فى سياحاتهم أقصى الأرض ، ونبغوا فى الفلسفة نبوغا منقطع النظير . وقد دفعت بهم نزعتهم الاستقلالية وطبيعتهم الشديدة التعلق بالحرية الى خوض غمار الحرب وتمجيد

البطولة الحربية ، فكانت لديهم أثمن وأرفع قدرا وأدعى للفخر من كل مفاخر الحياة الأخرى . ومن ثم ساد لديهم النظام الاجتماعى الذى يقوم على تمجيد الأبطال ، والذى صورته الالياذة والاوذيسة أروع تصوير .

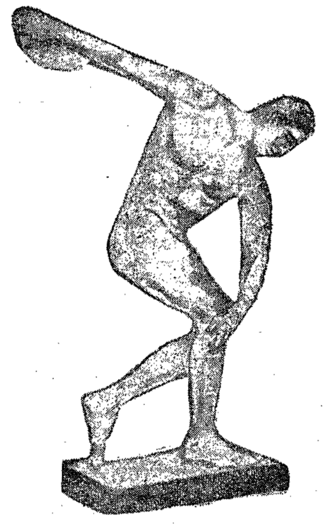
وكان من أبرز مظاهر الحياة الاجتماعية عند اليونان وأهم معالم المدينة اليونانية مركزان عظيمان لكل أنواع النشاط ، هما السوق العامة وكانوا يسمونها « الأجورا » ، ونادى الألعاب الرياضية وكانوا يسمونه « الجيمنازيوم » .

وكانت « الأجورا » سوقا تقام فى وسط المدينة للبيع والشراء . بيد أنها مع مرور الزمن لم يعد الغرض منها قاصرا على ذلك ، وانما أصبحت هى مركز المدينة النابض بكل أنواع النشاط ، فأصبحت مكانا للاجتماعات السياسية ولا سيما اجتماعات الاكليسيا ، وهى المحكمة الشعبية الكبرى ، كما أصبحت مكانا للاحتفالات الدينية ، وقد تكاثرت فيها المعابد والهياكل والمحاريب ، حتى نافست فى ذلك الأكروبول ، وكانت تقوم فيها أو على مقربة منها كثير من المبانى الحكومية كدار البلدية ، ودار حفظ السجلات العامة ، ودواوين بعض الرؤساء ، ومكاتب بعض المجالس ، فضلا عما كان يقوم بها من حوانيت التجار والمضاربين والصيارفة ، كما كانت توجد عادة فى وسطها نافورة مياه ، وتقوم فى أنحائها تماثيل الآلهة والأبطال والزعماء ، وكانت تزخر بالأروقة والأشجار التى تكفل للناس الظل والوقاية من الشمس والمطر، ومن ثم كانت الأجورا مزدحمة على الدوام ومليئة بالضوضاء والضجيج ، اذ كان الناس يرتادونها للبيع والشراء والخطابة والجدل والاستماع الى الخطباء والمتجادلين ، والعبادة وحضور الاحتفالات الدينية ، وتمضية أوقات الفراغ بين الأروقة أو تحت ظلال الأشجار أو فى حوانيت النبيذ . ولا مراء فى أن روح النشاط والحيوية والانطلاق التى كانت تشيع فى الأجورا قد أسهمت الى حد كبير فى ازدهار الروح السياسية والحركة الفكرية عند اليونان ، حتى أصبحوا أساتذة فى فنون الحكم ووضعوا أساس الفلسفة .

أما « الجيمنازيوم » ، وهو نادى الألعاب الرياضية ، فكان كذلك عنصرا جوهريا من عناصر المدينة اليونانية ، وكانت الرياضة البدنية مادة أساسية فى نظام التعليم لدى اليونان . بيد أن الغرض من الجيمنازيوم لم يقتصر مع مرور الزمن على الألعاب الرياضية والتربية البدنية فحسب ، وانما أصبح مركزا للتربية العقلية كذلك ، بل أصبح مركزا للحياة الاجتماعية بكل صورها، وأصبح يزخر بالحدائق الشاسعة والحلبات الواسعة والساحات المكشوفة والمعابد والهياكل وتماثيل الآلهة والأبطال والزعماء ومشاهير الرياضيين . وكانت نوادى الجيمنازيوم تقترن عادة باسم أحد الآلهة أو الأبطال الأسطوريين ، ولا سيما هرميس وهيراكليس . وكان من أشهر هذه النوادى فى أثينا الأكاديمية والليقيون والكينو سارجيس . وكانت الأكاديمية هى أشهر معابد التربية قاطبة ، وقد اشتق اسمها من اسم الاله أكاديموس ، وقد اقيمت فيها محاريب لعبادة « زيوس » و « هرميس » و « هيراكليس » و«أثينا» . وكان الليقيون معبدا لأبوللون . وأما الكينوسارجيس فكان فى رعاية الاله « هيراكليس » . وقد أقيمت فيه كذلك هياكل للآلهة « ألكمين » و « أيولاس » و « هيبى » . ولم يأت القرن الرابع قبل الميلاد حتى كان كل من هذه النوادى مركزا لمدرسة فلسفية ، فقد كانت تجرى بين رواد هذه النوادى مناقشات حرة فى السياسة والأخلاق والطبيعة . وكان سقراط يتردد على الليقيون وغيره من النوادى وأقام أفلاطون مدرسته فى بناء ملحق بالأكاديمية فاكتسبت ذلك الاسم . وأقام ارسطو مدرسته في الليقيون ، وأقام الكلبيون مدرستهم في الكينوسارجيس . ومن ثم ارتبطت تلك النوادى بالمدارس الفلسفية اليونانية فكان لها فى التاريخ شأن عظيم . وكان الجيمنازيوم فى أسبرطة تحت رعاية الالهين « كاستور » و « بولليكس » ، وكان فى مدينة ايليس تحت رعاية « هيراكليس » و « ايروس » و « أنتيروس » .

وقد شغف اليونان بالألعاب الرياضية شغفا شديدا ، فكانوا يقيمون

لها أربع دورات كبرى هى الدورة الأولیمبية التى كانت تقام فى أوليمبيــا باقليم ايليس تكريما للاله « زيوس » الأوليمبى ، والدورة النيمية التى كانت تقام فى نيميا باقليم آرجوليس تكريما للاله « زيوس » النيمى ، والـــدورة



« قاذف القرص »

الأسثمية التى كانت تقام فى أسثموس تكريما للاله « بوسيدون » ، والدورة البيثية التى كانت تقام فى دلفى تكريما للاله « أبوللون » .

وكان من أحب الألعاب الى اليونان ســـباق الجرى والقفز والملاكمـــة والمصارعة وقذف الرمح وقذف القرص وسباق المركبات والخيول . وقد ظلت هذه الألعاب منذ عام ٧٧٦ قبل الميلاد تقام بانتظام مدة تزيد على الف عام .

وكان سباق الجرى يقام فى حلبة تسمى « استاديوم » ، وكانوا يعتبرون الفوز فيه قمة الشرف وذروة المجد ، حتى أنهم كانوا يطلقون اسم الفائز فى هـذا السباق على الدورة الأوليمبية كلها • وكانت حلقة السـباق ترتبط دائما بالجيمنازيوم ، فتارة تكون داخلة فى نطاقه ، وتارة أخرى تكون ملحقة به •

ولما كان اهتمام اليونان منصبا على الحياة الجماعية فى النـوادى أو الأسواق العامة وقضاء الوقت كله تقريبا فى ألوان النشاط المختلفة من ألعاب رياضية أو مناقشات سياسية أو مجادلات فلسفية أو مساجـلات أدبية أو معاملات تجارية أو احتفالات دينية ، لم يكونوا يهتمون بتوفير وسائل الراحة والرفاهية فى بيوتهم ، لأنهم لم يكونوا يقضون فيها سوى لحظات قصيرة ، فكانت تلك البيوت بسيطـة البناء قليلة الأثـاث ، قاصرة على الحاجـات الضرورية •

وقد اقتضت طبيعة الحياة عند اليونان وما اتخذوه من مثل عليا أن تقتصر وظيفة المرأة لديهم على الشئون المنزلية ، فلم يكونوا يهتمـون بتعليمها ، ولم يكونوا يسمحون لها بمخالطة الرجال ، ومن ثم كانت تلازم البيت • ولم يكن يجوز لأحد سوى زوجها والأقربين من ذوى قرباها أن يدخلوا عليها • وكان مركزها القانونى أدنى من مركز الرجل ، فكانت محرومة من الحقوق السياسية بل كانت عديمة الأهلية القانونية فلا تستطيع ادارة الأعمال أو أداء الشهادة فى المحاكم أو أن تكـون طرفا فى عقد قانـونى • وكانت تظل حتى موتها تحت وصاية زوجها أو أقرب أقربائها من الذكور • وكان يجوز للأب فى حالة عدم وجود ورثة له من الذكور أن يوصى بابنته كما يوصى بأملاكه لأى رجـل يختاره • وكان على هذا الرجل أن يتزوج الابنة حتى لو اقتضى منه ذلك أن يطلق زوجته والا تنازل عن الميراث • فاذا مات الأب دون وصية كان من حق أقرب الأقرباء أن يطالب بالزواج من الابنة الوارثة ، فاذا كانت الابنة قـد تزوجت فعليها أن تترك زوجها وتتزوج أقرب أقربائها • وكان من حق الرجل

أن يطلق زوجته فى أى وقت يشاء ، كما كان من حقه أن يعاشر مع زوجته ما يشاء من الخليلات ، ولم يكن فى هذا المسلك ما يعيب الرجل ، اذ كان المجتمع لا يستنكره أو يرى فيه ما يستوجب اللوم • وهكذا ظلت المرأة عند اليونان ممتهنة متخلفة •

البحث الثالث

الديانة اليونانية

وقد كان اليونان في بداية أمرهم يعتقدون أن ثمة أرواحا غريبة في العالم هي التي تدفع الشجر فيحيا ويثمر ، ثم تمنع عنه الحياة فيذبل ويموت ، وتملأ الينابيع بالمـــاء ثم تسلبه منهـا فينضب ، وتسكب المطر أو تحبسه ، وتكشف عن الشمس أو تحجبها ، وتتحكم في الناس فتسعدهم أو تشقيهم ، ومن ثم عمل اليونان على ارضاء تلك الأرواح فكانوا يتعبدون لها ويقدمون اليها الطعام والهدايا ، ثم تطورت ديانتهم فأصبحوا يعتقدون أن ثمة آلهة يمثلون مظاهر الطبيعة المختلفة ، ويسكنون فوق جبل أوليمبوس . وقد تخيلوا أولئك الآلها في صورة البشر ، يعيشون كما يعيش البشر ، ويتزاوجون وينجبون أبناء ، ويتمتعون بالسعادة ويعانون الشقاء ، ويشعرون كما يشعر الناس بالحب والكراهية ، والحنان والحقد ، والرحمة والقسوة ، ويعـدلون ويظلمـــون ، ويعفون وينتقمون ، فهم يشاركون البشر في كل عواطفهم وتصرفاتهم ، ولكنهم يختلفون عنهم في أنهم خالدون . وقد كتب هوميروس في القرن التاسع قبل الميلاد ملحمتين شعريتين هما الالياذة والأوذيسة ، جمع فيهما كل أســـاطير

اليونان في عصره عن الآلهة ومعتقداتهم عن الطبيعة والانسان ، وفيهما نجد الآلهة يؤلفون في قمة جبل أوليمبوس حكومة ملكية يجلس على عرشها « زيوس » ويخضع له سائر الآلهة والآلهات ، وكلهم في صورة البشر ، الا أنهم يجرى في عروقهم سائل عجيب يكفل لهم الخلود . وهم يتمتعون بقوة خارقة ، ويظهرون للناس أو يختفون كما يشاؤون ، ويسكنون في السماء قصورا فخمة يقضون فيها حياة ناعمة ، يأكلون ويشربون ويتمتعون بكل أطايب الدنيا وملذاتها ، وتقوم بينهم العلاقات التى تقوم عادة بين الناس . بيد أن لهم مغامرات يأتون فيها أمورا خارقة للطبيعة يعجز الناس عن أن يأتوا مثلها ، كما أنهم يتدخلون في شئون الناس فلا ينصرون منهم الا الذين يتقربون اليهم بالهدايا والتقدمات مهما كانت أخلاقهم أو عدالتهم ومهما كانوا فاسقين أو ظالمين لأنهم لا يحفلون بفضيلة أو رذيلة ، أو بعدل أو ظلم ، فهم يسخرون بالبشر ويسخرونهم لأغراضهم ومآربهم ، دون رحمة ، وبغير شريعة أو قانون .

وكان رئيس الآلهة « زيوس » يتخذ له في أساطير اليونان زوجات عديدات منهن « هيرا » و « ليدا » و « ليتى » و « نيموسين» ربة الذاكرة ، و « ديمتير » ربة ثمار الأرض . وقد أنجب « زيوس » من زوجاته كثيرا من الأبناء والبنات : فمن أبنائه « كاستور » و « بولليكس » التوأمان اللذان أنجبهما من الالهة « ليدا » وقد منحهما « بوسيدون » اله البحر السيطرة على الرياح والأمواج ولذلك راجت عبادتهما بين الملاحين . ومن أبناء « زيوس » كذلك « أبوللون » و « أرتميس » التوأمان اللذان أنجبهما من الالهة « ليتى » . ومن بنات « زيوس » الالهة « أثينا » وقد أنجبها بطريقة عجيبة ، اذ تحكى الأساطير أنه ترك الاله « هيفايستوس » يشج رأسه بفأس فخرجت منه «أثينا» مدججة بالسلاح ، فكانت حارسة المدينة وقائدة المدافعين عنها ، وكانت كذلك ربة الحكمة وراعية الفنون ، كما أن من بنات زيوس الالهة « هيلينى » زوجة منيلاوس ملك أسبرطة ، والالهة « كليتا يمنسترا » زوجة أجا ممنون ملك

ميكيناى ، والالهة « برسفونى » ابنته من أخته « ديمتير » والالهة « هيبى » ربة الشباب ، والالهات يوفروسينى وأجلايا وثاليا ربات الرشـــــاقة ، وقد كن لشغفهن بالشعر يصاحبن ربات الفنون ٠ ومن أشهر الآلهة كذلك « هاديس » اله العالم السفلى أو عالم الأموات ، و « بوسيدون » اله البحر ، و«هيليوس» اله الشمس ، و « سيلينى » الهة القمر ، و « اسقلابيوس» اله الطب و«هيجايا»



« الاله زيوس »

الهة الصحة ، و « هرميس » اله السوق ، و « هيراكليس » اله الجيمنازيوم ، و « ايروس » اله الحب ، و « أنتيروس » اله الكراهية ، و « أفروديتى » ربة الجمال ، و « نيميس » ربة الانتقام ، و « ديونيسوس » اله الحب والخمر ، و « هيفايستوس » اله النار ، و « أرخيتوس » اله أتيكا ، و « آريس » الـــه الحرب ، و « نيريوس » ابن البحر والأرض الذى تزوج « دوريس » وأنجب منها بناته « النيريديس » وهن حوريات أنصاف الهات ، كن يعشن معه فى

قاع البحر الايجى • وقد كان اليونان يؤمنون بقدرة « نيريوس » على التنبؤ ويسمونه عجوز البحر الحكيم • وذلك فضلا عن الآلهة مينرفا و آفايا و بيلوبيا والكيمين وألكيكتـــوس ويوريديكى وأيولاس وبرسيـــوس وأندروماخى و بلليرفون و الميوزاى ربات الفنون ، و المويراى ربات القدر و الهوراى ربات الفصول وحارسات أبواب أوليمبوس •

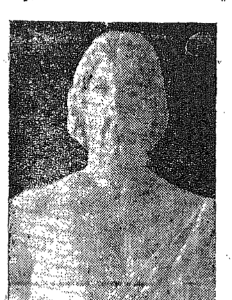
ومن مخـــلوقات الأســـاطير اليـــونانية : « اللابيناى » وهـــو شعب خرافى يزعمـــون أنه كان يعيش فى تســـاليا • و « الـــكنتاورى » وهى مخلوقات خرافيـــة متوحشـــة يزعمـــون أنهـــا كانت تعيش فى جبل بليون ، نصف كل منها فى هيئة البشر ، ونصفه الآخر فى هيئة الخيل• و « الساتيرى » وهى مخلوقات يزعمون أنها كانت تعيش فى الغابات والجبال، نصف كل منها فى هيئة الانسان والنصف الآخر فى هيئة الجواد أو الجدى ، وكانوا يصورونها غالبا فى صحبة « ديونيسوس » اله الخمر •و«الامازونيس» وهن نساء مسترجلات رغم جمالهن الفائق ، كن يحاربن على ظهور الخيـــل بالقوس والدرع ، وكن يتخلصن من أبنائهن الذكور ولا يستبقين الا الاناث ، ولذلك كانت مملكتهن كلها من النساء • و « الميدوسا » وهى امرأة متوحشة ذات أجنحة ، تكسو رأسها بدل الشعر مجموعة من الأفاعى ، وتبرز من فمها أسنان مخيفة ، ومن يجرؤ على النظر اليها يستحيل حجرا على الفور ، وقـد استطاع الاله « برسيوس » أن يقطع رأسها ، فنبت من دمها ابنها«خريساؤر »، كما نبت من ذلك الدم جواد ذو أجنحة يسمى « بيجاسوس » ، وقد ركبـــه « برسيوس » حين ذهب لنجدة « أندروماخى » ، كما ركبه « بلليريفون » فى صراعه مع « الخيمايرا » • وكان اليونان يعتبرون « بيجاسوس » رمزاللعبقرية الشاعرية •

وكان الانسان عند هوميروس ومعاصريه يتكـــون من جســـد ونفس ، والجسد يتكون من ماء وتراب ، وينحل عائدا اليهما بالموت ، والنفس هواء

« الالهة هيرا »



« الاله أبوللون »



« الاله أسقلابيوس »



« الالهة أفروديتى »



« الاله هيليوس »

لطيف يتحد بالجسد ويتشكل بشكله ، ثم ينطلق عند الموت الى العالم السفلى في جوف الأرض وقد احتفظ بالشعور وفقد القدرة على العمل فهو يتألم لذلك ويقضي هناك حياة باهتة مملة ، أفضل منها الحياة على الأرض مهما بلغت من



« الالهة أثينا »

التعاسة والبؤس . وليس بعد الموت حساب ولا ثواب ولا عقـاب ، وانما يتساوى الناس جميعا ، الصالح منه والشرير ، ويلاقون ذات المصير .

وهكذا نرى كيف قامت ديانة اليونـان على مجموعة من الأسـاطير والخرافات التي لا تنطوى على أى شريعة ولا تضع أي قواعد أو مبادىء للسلوك

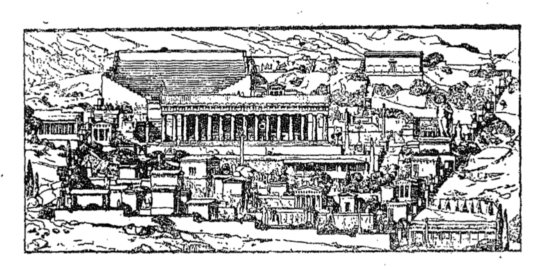
الانسانى ، بل تمجد القوة والأقوياء ، وتنكر كل الفضائل ، فلا عدالة ولارحمة ولا خشية ولا حياء ، ولا وازع من عقيدة ولا رادع من ضمير ، ثم لا عقاب فى الآخرة ولا ثواب ، وانما الأخيار والاشرار والظالمون والمظلومون سواء ٠ ولذلك شاع الانحلال والضلال فى حياة اليونان ، وتفشت بينهم الرذائل والآثام ٠ بيد أن الضمير الانسانى لم يعدم فى ذلك العصر صوتا يجهر بمبادئه السامية وأحكامه المقدسة ، وذلك هو صوت الشاعر هزيود ، الذى عــاش فى القرن الثامن قبل الميلاد ، ونادى بأن الانسانية فوق الحيوانية ، وأن الحق فــوق القوة ٠

وكان من جراء وقو فـاليونان على العقائد الشرقية بعد ذلك أن اصطنعوا لأنفسهم الى جانب ديانتهم القومية ديانات أخرى يمارسونها فى الخفاء ، ومن أهمها الديانة الأورفية ، التى استمـــدت اسمها من البطـــل الأسطـورى « أورفيوس » ، وذاعت فى القرن السادس قبل الميلاد ولا سيما فى جنـوب ايطاليا وصقلية ٠ وتقوم هذه الديانة على أسطورة مؤداها أن كبـــير الآلهـة « زيوس » وهب « ديونيسوس » اله الحب والخمر السلطان على العالم وهو لا يزال طفلا فغارت منه الالهة « هيرا » احدى زوجات زيوس وحرضت عليـــه طائفة من الآلهة الأشرار هم « التيتانوس » فراحوا يهاجمونه ، ولكنه كان لايفتأ يتنكر فى أشكال مختلفة ليأمن شرهم ، حتى انقلب ذات مرة الى ثور فانقضوا عليه وقتلوه وأكلوا لحمه نيئا ٠ وقد استطاعت الالهة « مينرفا » أن تختطف قلبه ، فانبثق من هذا القلب « ديونيسوس الجـــديد » ٠ أما « التيتانوس » فقد غضب عليهم « زيوس » وصعقهم فخرج البشر من رمادهم ٠ ومن ثم كان البشر مزيجا من عنصرين متعارضين هما العنصر التيتانى وهو مبدأ الشر ، ودم ديونيسوس وهو مبدأ الخير ٠ وما حياة الانسان عـــلى الأرض الا صراع بين هذين المبدأين ، غايته التطهير والتكفير ، بالقضاء على الشر وانتصار الخير ٠ ولما كانت حياة الانسان قصيرة لا تكفى لهذه الغاية ، أصبح يتحتم تكرارهـــا

بسلسلة من الولادات المتعاقبة فى آلاف السنين حتى يتحقق للنفس البشرية خلاصها • وقد دأب أنصار هذه العقيدة على اقامة طقوس معينة يزاولونها فى الخفاء تحت جنح الظلام ، ومنها الاستحمام باللبن ، وتقديم القرابين وتمثيل قصة موت ديونيسوس وقيامته تمثيلا كاملا يتضمن ذبح ثور وتقطيعه وأكل لحمه نيئا ، وتلاوة صلوات تشبه تمام الشبه صلوات قدماء المصريين الواردة فى كتاب الموتى ، مما يدل على أنهم تأثروا بهذا الكتاب ، كما تأثروا بتعاليم كهنة مصر فيما يتعلق بالطريق الذى على الروح أن تسلكه لتصل الى الجنة • ويؤكد ذلك اكتشاف صفائح من الذهب فى بعض القبور اليونانيـــة تتضمن ارشادات للنفس عما يجب أن تسلك بعد الموت من طرق ، وأن تتلـــو من ابتهالات • كما يتضح من هذه الأسطورة تأثر أصحابها بقصة موت أوزوريس وقيامته • أما فكرة الولادات المتعاقبة ، أى التناسخ ، فلا بد أنهم أخذوها عن الهند ، وربما جاءت اليهم عن طريق الفرس • وتمتاز الديانة الأورفيـــــة بالايمان الراسخ بالعدالة الالهية ، وبانتهاج سبيل الطهارة لخلاص النفس من الجسد الذى هو بالنسبة لها بمثابة القبر ، وهو عدوها اللدود ، الذى لاسعادة لها ولا صفاء ما دامت مقيدة به حبيسة فيه • كما تمتاز هذه الديانة بأن الهها عديم النظير بين آلهة اليونان لأنه يمثل الحب والخير والحـــق ازاء الآلهة الآخرين من أعدائه الذين يمثلون الكراهية والشر والباطل ، وقد لاقى منهم العذاب والموت ظلما وعدوانا ، ولكنه انتصر فى النهاية ، كما ينبغى أن ينتصر كل صاحب حق • ولذلك كانت الديانة الأورفية هى عقيدة الطبقة المثقفة التى اعتمد رجالها على التأمل والتفكير ، فلم يقبلوا الأساطير اليونانية على علاتها ، وانما عملوا على تهذيبها والسمو بها مستعينين فى ذلك بالعقائد الشرقية • فكانوا طبقة وسطى بين اللاهوتيين الأوائل والفلاسفة الذين ظهروا بعد ذلك • ولا شك أن عقيدتهم كان لها أكبر الأثر فى كل المفكرين اليونان ، وعلى رأسهم فيثاغورس واكسانوفان وسقراط وأفلاطون وأصحاب الفيثاغورية الجـديدة

والأفلاطونية الجديدة ، فاننا نجد عندهم جميعا مبادىء هذه العقيدة ، ونلمس رغبتهم فى وضع الأساس العقلى لها والبرهنة عليه .

بيد أنه الى جانب العقيدة الأورفية ، كانت لدى اليـــونان كثـير من المعتقدات الدينية ذات الأسرار الخفية والطقوس السرية والاجتماعات التهتكية الزاخرة بأفظع وأبشع التصرفات الخليعة الوحشية ، كانتهاك الأعراض وذبح



« معبد دلفى »

الأطفال وتقديم الضحايا البشرية . ومن ذلك العقيدة الديونيسية ، والعقيدة الديمترية ، وغيرهما من العقائد التى كان يزاول اليونان طقوسها فى الخفاء .

وكان لليونان كهنة ، ولكن عددهم كان قليلا ، ولم يكن لهم من النفوذ والسطوة ما كان للكهنة فى مصر وبابل ، ولم يكن لطبقتهم أى امتياز على غيرها من طبقات الشعب . الا أن اليونان كانوا شديدى الشغف باستشارة الآلهــة ومعرفة ما يتنبأون به بواسطة أولئك الكهنة أو بواسطة العرافين ، ولا سيما فى دلفى . وقد ذاعت شهرة كثير من هذه النبوءات .

البحث الرابع

الأدب اليونانى

وقد أخذ اليونان فيما أخذوا عن الشرق الحروف الهجائية التى نقلها اليهم الفينيقيون بعد أن أخذوها من مصر وجردوها من الصور وجعلوها اثنين وعشرين حرفا كلها حروف ساكنة ، وقد أضاف اليها اليونان الحروف المتحركة ، واستعملوها فى الكتابة ، فكانت تلك هى بداية الطريق الى حضارة اليونان ، وحضارة العالم بعد ذلك بأسره .

وكانت أول ثمار الثقافة اليونانية التى نشأت عن استعمال الكتابة هى أدب القصة والشعر الملحمى ، فقد شغف اليونان بالحرب والمبارزة ، وأغرموا بسيرة الأبطال وما كانوا يبدونه فى ميادين القتال من شجاعة واستبسال . وكانوا يحبون أن يقضوا أوقات فراغهم فى الاستماع الى قصص حروبهم القديمة والاستمتاع بما تزخر به من مغامرات جريئة وبطولات رائعة . وقد نشأ من بينهم شاعر عظيم صاغ تاريخهم القديم كله ومعتقداتهم وأساطيرهم وسيرة أبطالهم فى مجموعة من الأسفار الخالدة ، وذلك هو « هوميروس » الذى عاش فى نحو القرن التاسع قبل الميلاد ونظم الملحمتين الرائعتين المعروفتين بالالياذة والأوذيسة ، وقد كانتا بمثابة الكتب المقدسة لدى الاغريق وقد ملأتا

حياتهم الدينية والقومية والأدبية . ومن ثم كان شعر الملاحم هو أساس كل شعر آخر لدى اليونان ، وقد انقضت عدة قرون لم يكونوا يعنون فيها الا بهذا النوع من الشعر . ثم ظهرت بعد ذلك فى القرنين السابع والسادس قبل الميلاد نماذج أخرى من الشعر مثل المراثى والشعر الغنـــائى وكانوا يسـمونه « بويزيا » . وقد شغف اليونان بالغناء فكانوا يلحنون كل ما تجود به قرائح



« هوميروس »

الشعراء ويغنيه المغنون فى الأعياد والحفلات العامة ، مستعملين الناى الليدى أو القيثارة ذات السبعة أوتار .

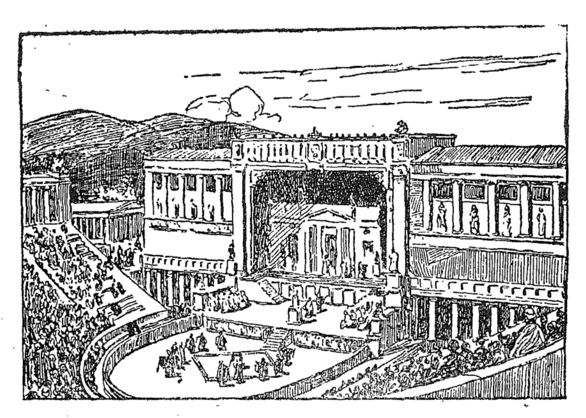
ثم ظهر الفن المسرحى بعد ذلك باسم « الدراما » ، فظهرت « التراجيديا » وهى المأساة فى أواخر القرن السادس قبل الميلاد ، وظهرت « الكوميديا » وهى الملهاة فى القرن الخامس قبل الميلاد . وقد ظهرت المسرحية فى بداية الأمر بوصفها جزءا من احتفالات « ديونيسوس » اله الخمر ، حيث كانت فرقـة

يسمونها « الكورس » تقوم بترتيل أغنيات لتمجيد هذا الاله ، ثم يتقدم قائد الفرقة فيغني بمفرده ، ثم تجيبه الفرقة بأغنية جماعية٠ثم أدخل «ايسخيلوس» عام ٥٢٥ قبل الميلاد ممثلا ثانيا يخرج من بين الفرقة ويتولى الاجابة على الممثل الأول ، ثم تأتي بعد ذلك الأغنية الجماعية للفرقة كلها ٠ وأخيرا ظهر الممثل الثالث على يد « سوفوكليس » عام ٤٩٥ قبل الميلاد ، فأصبح يدور حوار بين الممثلين الثلاثة لم يلبث أن تطور الى رواية درامية كاملة ٠ فما جاء القرن الخامس قبل الميلاد حتى كانت المسارح قد ظهرت بشكلها المعروف ٠ وكانت

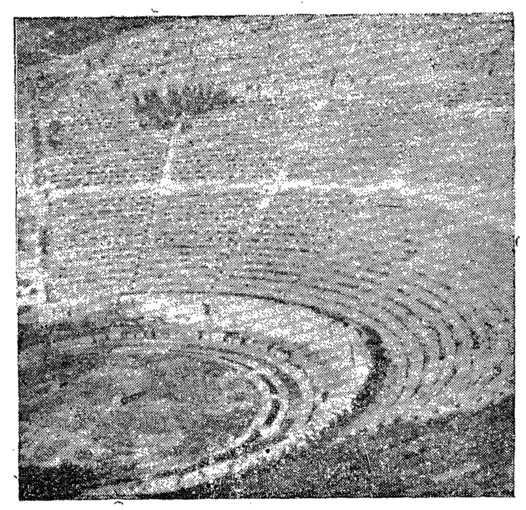


« سوفوكليس »

الدولة ترعى هذا الفن مما أدى الى تقدمه وازدهاره ، فكان الشعراء يقدمون مسرحياتهم قبيل أعياد ديونيسوس الكبرى الى لجنة حكومية تختار من بينهم ثلاثة شعراء تراجيديين وخمسة شعراء كوميديين لاجراء المسابقة بينهم ،وكانت اللجنة تخصص لكل شاعر من المتسابقين واحدا من أثرياء المدينة يتولى الانفاق على الفرقة التي ستقوم بتمثيل مسرحيته والانفاق على تدريب الممثلين ودفع أجورهم وشراء ما يلزم لهم من الملابس وغير ذلك من اللوازم ، حتى اذا فازت احدى المسرحيات في المسابقة أصبح ذلك موضع اغتباط عظيم لدى الشخص

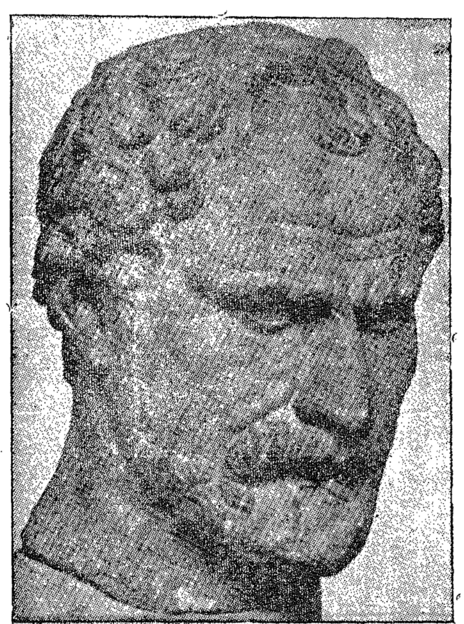


« مسرح ديونيسوس كما كان فى عصره الذهبى »



« الآثار المتبقية من مسرح ديونيسوس »

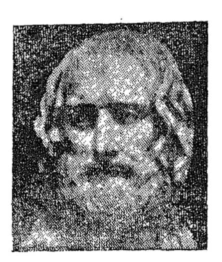
الذى أنفق على اخراجها ، فكان يبادر الى اقامة صرح لتخليد ذكرى ذلك الفوز في الشارع الممتد بين الأكروبول ومسرح ديونيسوس ، حتى لقد امتلأ ذلك الشارع بهذا النوع من الصروح ٠



« سوفوكليس »

ومن أشهر شعراء اليونان بعد « هوميروس » شاعر عظيم آخر هو « هزيود » ، والشاعر الأسبرطى « ألكمان » ، والشاعرة « سافو » وزميلها « ألكايوس » اللذان كانا يعيشان فى موتيلينى بجزيرة لسبوس ؛

و « سيمونيدس » و « باكخيليديس » الذى ولد بجزيرة كيوس فى أواخر القرن السادس قبل الميلاد . ويعتبر « سوفوكليس » و « آيسخيلوس » و « يوريبيديس » أئمة الشعر المسرحي التراجيدى ، وقد بلغوا بالماساة اليونانية قمة روعتها ، وقد ولد « سوفوكليس » فى أثينا عام ٤٩٥ قبل الميلاد ويقال أنه كتب أكثر من مائة وعشرين مسرحية ، لم يصلنا منها سوى سبع مسرحيات كاملة ، منها « أوديب » و « أنتيجونى » و « أليكترا » . أما « يوريبيديس » فقد ولد فى جزيرة سلاميس عام ٤٨٠ قبل الميلاد ، وتلقى

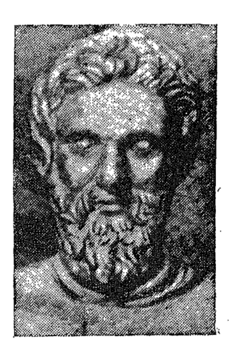


« يوريبيديس »

الفلسفة على يد « أناكساجوراس » ، واستمع الى سقراط ، ولم يصلنا من مسرحياته سوى تسع عشرة مسرحية منها « ميديا » و « اليكستس » و « أندروماك » وكان « أرستوفانيس » أعظم كتاب الكوميديا اليونانية .وكان من الشعراء الغنائيين « بنداروس » و « هيبريديس » و « ثيموسيوس » و « مناندروس » و « هيروندواس » و « بيناكيس » و « كركيداس » ، وقد ولد هذا الأخير عام ٢٩٠ قبل الميلاد ، وكان شاعرا فذا ، كما كان فيلسوفا ينتمى الى المدرسة الكلبية ، وكان لاذع النقد للأوضاع الاجتماعية فى عصره ، ورغم أنه كان غنيا فقد ناصر الفقراء وحذر الأغنياء من ثورة الفقراء عليهم .

وقد كان افلاطون ـ رغم طبيعته الشاعرية ـ يسىء الظن فى الشعراء ،

وينصح مواطنيه بأن يستبعدوا من تعليم أبنائهم قصص هوميروس وهزيود ومن نحا نحوهم من الشعراء ، قائلا انها مرذولة من حيث موضوعها ومن حيث أسلوبها . وقد سممت عقول اليونان وأفسدت ضمائرهم بما تروى عن الآلهة والأبطال من أخبار الخصومات وقبيح الأفعال ، وبما تصف من هول الموت وتفاهة الحياة الأخرى مما يوهن العزيمة ، ويدفع بالشباب الى أخطر المسالك ويضرب لهم أسوأ الأمثال .



« أرستوفانس »

وقد اشتهر لدى اليونان — فضلا عن الشعراء — كثير من الخطباء والأدباء والمؤرخين : فمن الخطباء اشتهر «ديموستينوس» و « هوبريديس » ،ومن الأدباء اشتهر « كاليماخوس » الذى نشأ في قيريني باقليم برقة بشمال أفريقيا فى أوائل القرن الثالث قبل الميلاد ، وهاجر الى الاسكندرية حيث عاش فى بلاط بطليموس فيلادلفوس وبطليموس يورجيتيس ، وعين أمينا لمكتبة الاسكندرية ووضع فهرسا بمحتوياتها الأدبية . ومن المؤرخين اشتهر « هيرودوت » الذى ولد بمدينة هيلكارناسوس فى آسيا الصغرى حوالى عام ٤٨٤ قبل الميلادوطاف

ببلاد كثيرة ، وقد زار مصر بين عامي ٤٤٨ و ٤٤٥ قبل الميلاد وكانت وقتئذ ولاية فارسية ، كما زار أثينا في زمن « بركليس » وروى مأساة هذه المدينة . وقد أطلق شيشرون الخطيب الروماني الشهير على « هيرودوت » لقبا جليـــلا فوصفه بأنه « أبو التاريخ » . كما اشتهر من المؤرخين اليونان «ثوسيديوس»



« ديموستينوس »

الذي روى قصة حرب بلوبونيسيا . واشتهر « زينوفون » الذي قام بتأليف كتاب معروف باسم « الأناباسيس » . أما أروع نماذج الأدب اليوناني المنثور فاننا نجدها في مؤلفات الفلاسفة اليونان ، ولا سيما « أفلاطون » الذي كانت مؤلفاته بساتين زاخرة بكل ألوان البيان والبلاغة والابداع .

البحث الخامس

الفلسفة اليونانية

ولعل أبرز مظاهر الحضارة اليونانية ، وأكثر عناصر تراثها خلودا هو الفلسفة اليونانية التى وضعت الأسس الأولى للتفكير والبحث العلمى ، وكانت هى نقطة البداية لكل ما انتهت اليه الحضارة الحديثة من أفكار وعلوم . وقد كان لتلك الفلسفة الأثر الأكبر فى كل المناقشات العقلية واللاهوتية التى جرت فى العالم منذ القرن الخامس قبل الميلاد حتى اليوم . وكانت هى السائدة بين المفكرين حين ظهر الدين المسيحى ، فاتخذ منها أعداؤه سلاحا لمحاربته ، كما اتخذ منها أنصاره سلاحا للدفاع عنه ، ومن ثم غدت الفلسفة اليونانية مدارا ومصدرا للنزاع والتطاحن فى كل أنحاء العالم وفى مصر على وجه الخصوص ، حيث نشبت الحرب بين أنصارها وبين علماء الأقباط الأوائل ، فكانت هذه الحرب جزءا هاما من تاريخ الأقباط . ولذلك نذكر فيما يلى بعض أسماء الفلاسفة اليونان ونشير الى لمحات مقتضبة من أفكارهم ، على أن نعود فى الأجزاء التالية من هذه الموسوعة الى تناول تلك الأفكار بقدر أوفر من الاسهاب كلما دعت المناسبة الى ذلك .

١ - الطبيعيون الأوائل :

وأول فلاسفة اليونان هو « طاليس » ، وقد ولد في ملطية عام ٦٢٤ قبل الميلاد ، وجال في بلاد الشرق ومنها مصر حيث تبحر في العلــوم ولا سيما الرياضيات والفلك • وقد هداه تفكيره في أصل الكون الى أن الماء هو المادة الأولى والجوهر الأوحد الذى تتكون منه الأشياء ، وأن ثمة نفســا منبثة في العالم هى التى تعطيه الحياة ، فالعالم اذن مادة حية • وكان طاليس هو أول الفلاسفة الطبيعيين ومؤسس المدرسة الملطية التى نادت بالفلسفة الطبيعية •

وكان تلميذ طاليس وخليفته في مدرسته هو « أنكسيمندريس » ، وقد ولد عام ٦١٠ قبل الميلاد ، وقال ان المادة الأولى هى اللامتناهى ، وهى مزيج من الأضداد جميعا، وأن هذه الأضداد كانت في البدء مختلطة متعادلة ، ثم انفصلت بفعل الحركة فتالفت الأجسام ، ولا تلبث هذه الأجسام أن تتحلل وتعود الى اللامتناهى ، ثم يتكرر ذلك الى ما لا نهاية • أما الأحياء فقد تولدت في البحر من التراب والماء والهواء • فهو يفسر الوجود تفسيرا آليا محضا ينحصر في اجتماع العناصر المادية وافتراقها ، دون علة تدفعها أو غاية تهدف اليها •

وكان تلميذ « أنكسيمندريس » هو « أنكسيمانس » الذى ولد عام ٥٨٨ قبل الميلاد وقال ان المادة الأولى هى الهواء ، وأن الأشياء توجد من تكـــاثفه وتخلخله • وأنه هو نفس العالم وعلة وحدته ، ومن ثم فان هذا الفيلسوف كغيره من فلاسفة المدرسة الملطية يرد الأشياء الى جوهر مادى واحد ، ويفسرها بتطور هذا الجوهر تطورا آليا محضا •

ثم جاء بعد ذلك «هيرقليطس» الذى ولدفى افسوس عام ٥٤٠ قبل الميلاد، فقال ان أصل الأشياء واحد هو النار ، وأن الأشياء في تغير مستمر ، ولولا التغير لم يكن شيء ، لأن الاستقرار موت وعدم • وهو يعنى بالنار نسمة الهية حارة حية عاقلة أزلية أبدية تملأ العالم ، هى الله ذاته • وقال ان الأشـــياء

لا تلبث أن تضمحل وتعود نارا صافية ، ثم يتكرر ذلك الى غير نهاية بموجب قانون حتمى هو « اللوغوس » أو « الكلمة » • أما النفس الانسانية فهى قبس من النار الالهية ، وهى تحكم الجسم ولا ينبغى أن تجعل الجسم يحكمها ، لأن الدين الحق هو العمل بموجب القانون الالهى ، أى اللوغوس ، وهذا يقضى



« هيرقليطس »

بالتجرد من المادة والاندماج فى النار الالهية • فهـذا الفيلسوف يؤمن بوحدة الوجود ويؤمن فى ذات الوقت بالتغير ، ولما كان هذان المبدآن متعارضين ، فقد أدى ذلك الى غرس بذرة الشك فى أذهان كثير من الفلاسفة اللاحقين •

٢ — الفيثاغوريون :

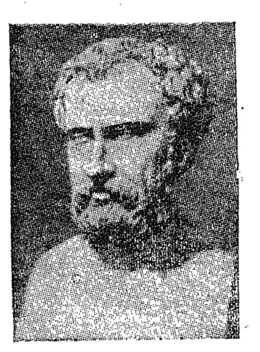
وبعد المدرسة الملطية جاءت المدرسة الفيثاغورية التى أنشأها «فيثاغورس» وقد ولد هذا الفيلسوف فى ساموس عام ٥٨٢ قبل الميلاد • وكان من أتباع العقيدة الأورفية ، فأنشأ مذهبا دينيا فلسفيا استمده منها • وكان له مريدون كثيرون يتبعونه ويسمونه « المعلم » ، ويعيشون حسب تعاليمه فى بساطة وعفة ومداومة للصلاة والترتيل والدرس ، وكانوا يشتغلون بالفلسفة والطب والفلك • وكان « فيثاغورس » هو الذى وضع لفظ « فلسفة » ، اذ قال « اننى لست حكيما فان الحكمة لا يوصف بها غير الآلهة ، وما أنا الا فيلسوف » أى محب للحكمة • وقد اعتقد هذا الفيلسوف أن العالم خلاء لا بداية له ولا نهاية ، يستوعب هواء غاية فى اللطافة ، وأن الأشياء قد وجدت بتكاثف هذا الهواء وتخلخله بنسب معينة وأعداد متفاوتة ، وأن الكائن الحى هو مركب من كيفيات متضادة كالحار والبارد ، واليابس والرطب ، وهو يسمى توافق هذه الأضداد بالنغم ، ويقول أن هذا النغم هو سر حياة الكائن الحى ، أى أنه هو النفس • فما الكون عند فيثاغورس الا عدد ونغم • وهو على هذا الأساس يعتقد أن النفس مادية كالجسد وان كانت هى علة حركته ، وهو يعتقد أن النفس تهبط بعد الموت الى الجحيم لتتطهر بالعذاب ثم تعود الى الارض لتتقمص جسما بشريا أو حيوانيا أو نباتيا ، ولا تفتأ هكذا تتردد بين الأرض والجحيم حتى يتم تطهيرها •

٣ — الايليون :

ثم جاء « بارمنيدس » و « اكسانوفان » فأسسا المدرسة الإيلية ، وقد ولد الأول فى ايليا عام ٥٤٠ قبل الميلاد ، وولد الثانى فى قولوفون عام ٥٧٠ قبل الميلاد • ثم تزعم المدرسة من بعدهما « زينون » ثم « ميليسيوس » •

ويعتقد الايليون أن العالم موجود واحد وطبيعة واحدة ، وأنه ساكن ،

وموجود منذ الأزل لأنه يستحيل أن ينشأ من اللاوجود ، كما أنه سيوجد الى الأبد لأنه يستحيل أن يتحول من الوجود الى اللاوجود • ويعتقد الايليون بوجود الله ويقولون أنه لا يوجد غير اله واحد هو أرفع الموجودات السماوية والأرضية ، وهو ليس مركبا على هيئتنا ولا مفكرا مثل تفكيرنا ولا متحركا كحركتنا ، ولكنه ثابت ، كله بصر وكله فكر وكله سمع ، وهو يحرك الكل بقوة عقله وبغير عناء • ومن ذلك نرى أن الايليين قد آمنوا بعقيدة التوحيد



« اكسانوفان »

والتنزيه للذات الالهية لأول مرة فى تاريخ اليونان ، ولذلك كانوا هم واضعوا العلم الالهى فى الفلسفة •

٤ ـ الطبيعيون المتاخرون :

وجاءت بعد ذلك مدرسة الطبيعيين المتاخرين • وكانت تتألف من « أنبادوقليس » و « ديمقريطس » و « أنكساغوراس » •

وقد ولد « أنبادوقليس » فى اغريغنتا عام ٤٩٣ قبل الميلاد • وقد اعتقد

أن للوجود أصولا أربعة هى الماء والهواء والنار والتراب ، وأن الأشياء تحدث بانضمام هذه العناصر وانفصالها بمقادير معينة . ويكون انضمامها وانفصالها بفعل قوتين كبيرتين هما المحبة والكراهية ، وهاتان القوتان فى صراع دائم ، فاذا تغلبت المحبة تكونت الأشياء ، واذا تغلبت الكراهية فسدت الأشياء وفنيت . وتتكون الأحياء من نفس وجسد ، وتتكون النفس كما يتكون الجسد من العناصر الأربعة ، ولكنها يغلب عليها عنصرا الهواء والنار . ومن ثم فالحياة عند هذا الفيلسوف واحدة فى كل الأحياء . أما النفوس البشرية فقد اعتقد أنها آلهة خاطئة وقعت تحت سلطان الكراهية فقضى عليها بأن تهيم فترة من الزمن بعيدا عن مقر السعداء ، وأن تتقمص على التوالى جميع الصور الفانية حتى يتم لها الخلاص ، ووسيلة الخلاص هى الطهارة والزهد وتغليب العقل على الحواس حتى ينتصر الحب على الكراهية ، وينتصر الخير على الشر .

وأما « ديمقريطس » فقد ولد فى أبديرا من أعمال تراقيا عام ٤٧٠ قبل الميلاد . وقد اعتقد أن الوجود عبارة عن ذرات مادية غاية فى الدقة ، كل ذرة منها هى الجوهر الفرد ، وهى متحركة بذاتها ، وهى أزلية وأبدية لا بداية لها ولا نهاية ، وهى التى بتلاقيها تحدث الأشياء وبافتراقها تتحلل وتفنى . وما الانسان الا مجموعة من هذه الذرات ، ائتلفت بنسبة معينة فتكون منها الجسد ، كما تكونت منها النفس ، وان كانت النفس تتألف من ذرات أكثر دقة وأسرع حركة ، بل ان الآلهة أنفسهم مكونون من هذه الذرات ذاتها كالبشر وخاضعون مثلهم للفناء . فالكون كله عند هذا الفيلسوف مادة صرفة تتكون ثم تنحل دون دافع يدفعها أو غاية تقصد اليها .

وأما « أناكسا غوراس » فقد ولد فى أقلازومان بالقرب من أزمير فى آسيا الصغرى عام ٥٠٠ قبل الميلاد . وقد اعتقد أن الوجود مكون من مبادىء دقيقة جدا تجتمع فى كل جسم بمقادير متفاوتة ويترتب على ذلك التفاوت بقاؤها أو فناؤها . ويتعين لكل جسم نوعه بالمزاج الذى يسوده ، أى الطبيعة

الغالبة فيه ، وقد كان الكون فى البداية ذا مزاج واحد لا يتميز فيه شىء عن شىء • ثم حدثت فيه الحركة بفعل فاعل فأدت الى تمييز كل شىء عن سواه ، وهذا الفاعل هو العقل ، وهو متحرك بذاته ، عليم بكل شىء ، قدير على كل شىء •

٥ – السوفسطائيون :

ثم فى النصف الثانى من القرن الخامس ظهر السوفسطانيون ، وكانوا فى بداية أمرهم معلمى بلاغة وبيان ، ثم لم يلبثوا أن اتخذوا العلم تجارة ، وانقلبوا الى مجادلين مغالطين لا يرمون من وراء الجدل الى أن يصلوا الى الحقيقة، بل أن يتظاهروا بالعلم وأن يجنوا من وراء ذلك منافع شخصية لهم • وفى سبيل ذلك عبثوا بكل المسائل الفكرية وبكل المبادىء الدينية والخلقية والاجتماعية ، وقد أشاعوا التشكك فى الدين وفى كل القيم المعروفة من خير وشر وحق وباطل وعدل وظلم ، ومجدوا القوة قائلين أنها هى القانون ، وأن الحق هو ما يراه الأقوياء ، وقالوا ان السعادة هى اللذة ، فعلى الانسان أن يسعى اليها كيفما يفهمها وأينما يجدها • وكان أشهر السوفسطائيين « بروتا غوراس »و « غورغياس » •

أما « بروتا غوراس » فقد ولد فى أبديرا عام ٤٨٠ قبل الميلاد • وقد قال أنه لا يستطيع أن يعلم ان كان الآلهة موجودين أم غير موجودين ، فان أمورا كثيرة تحول بينه وبين هذا العلم • وقال ان كل شىء فى تحول مستمر • فما نحسه انما هو موجود على النحو الذى نحسه ، وما لا نحسه فهو غير موجود • وعلى ذلك تبطل الحقيقة المطلقة ويكون مرجع الخير والشر والعدل والظلم الى تقدير كل انسان على حدة • ولما كان كل انسان يختلف عن غيره من الناس فى الشعور والتقدير ، لا يمكننا أن نصل الى الحقيقة فى أى شىء •

وأما « غورغياس » فقد ولد فى لونثيوم من أعمال صقلية فى أواخر

القرن الخامس قبل الميلاد ، ويتلخص مذهبه فى أنه لا يوجد شىء ، واذا كان هناك شىء فالانسان قاصر عن ادراكه ، واذا فرضنا أن انسانا أدركه فلن يستطيع أن يبلغه لغيره من الناس لأن اللغة قاصرة ، ويختلف فهمها من انسان لآخر • وهو يدلل على هذه المبادىء ببراهين تدخل فى باب المغالطة والعبث • وهكذا كاد السوفسطائيون أن يقضوا على الفلسفة وهى فى مهدها ، لولا أن جاء سقراط فانتشلها من الهوة التى أوشكت أن تسقط فيها •

٦ ـ سقراط :

وقد ولد سقراط فى أثينا عام ٤٦٩ قبل الميلاد ، فما بلغ طور الشباب حتى انطلق يفكر ويجادل وينصح الآثينيين متحررا من كل قيد ، ومتحللا من كل المذاهب والمعتقدات القديمة • فلم يلبث الحكام أن اتهموه بالالحاد وحكموا عليه بالموت ، فلم يجزع لذلك أو يحزن ، وانما أعلن أنه مغتبط بالموت مشتاق اليه ، وأنه لا يعتبره شرا بل خيرا • وقد هيأ له تلاميذه سبيل الفرار ولكنه رفض ذلك ، وشرب كأس السم بثبات وهو يدعو الآلهة أن يوفقوه فى رحلته من العالم الفانى الى العالم الباقى • وحين أجهش تلاميذه بالبكاء انتهرهم وأسلم الروح راضيا مطمئنا •

وقد كان من تعاليم سقراط أن الانسان جسد وروح وعقل • وأن العقل يسيطر على الجسد ويدبره • وأن القوانين العادلة هى التى تصدر عن العقل وعن الطبيعة الحقة ، فمن يحترم القوانين العادلة انما ينتهج بذلك سبيل العقل ويخضع للنظام الالهى • أما من يخالف هذه القوانين أو يحتال فى مخالفتها بحيث لا ينال جزاءه فى الحياة الدنيا فانه سيلحق به الجزاء العادل لا محالة سواء فى هذه الحياة أو فى الحياة المقبلة • والانسان يريد الخير لنفسه دائما ويهرب من الشر بالضرورة • فالفاضل هو الذى يعرف خير نفسه فيسعى اليه ، وأما الشهوانى فهو الذى يجهل خير نفسه ، فيدفعه جهله الى ارتكـــاب



« سقراط »

الشر حاسبا أنه الخير . ومن ثم فالفضيلة علم والرذيلة جهل . أما الدين فهو تكريم الضمير النقى للعدالة الالهية ، لا تقديم القرابين وتلاوة الصلوات بينما النفس ملطخة بالاثم . وقد عينت القدرة الالهية لكل انسان مهمته فى هذه الحياة وهى لا تفتأ ترعى جميع الناس بعنايتها . ولما كانت نفس الانسان متمايزة عن جسده فانها لا تفسد بفساده ولا تموت بموته ، بل تتخلص بموت الجسد من سجنها وتعود الى صفاء طبيعتها الخالدة . وهكذا قضى سقراط على الفلسفة المادية بالفلسفة الروحية ، وارتفع بالانسان الى ذروة عالية بين الكائنات ورفع عينيه نحو السماء معترفا بقدرة الله .

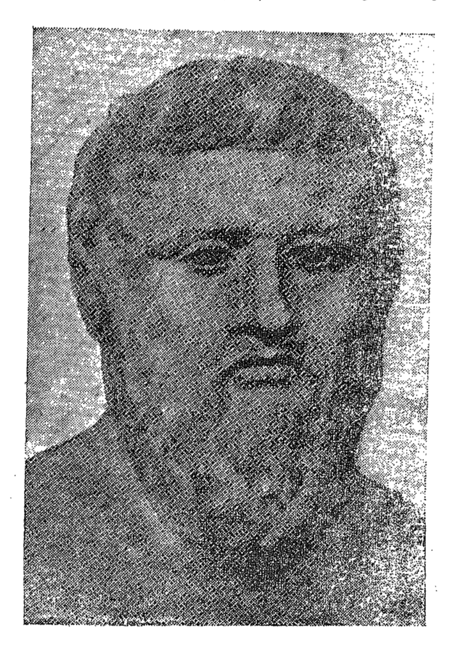
وقد تفرق تلاميذ سقراط بعد موته : فذهب « اقليدس » الى ميغارى حيث أنشأ المدرسة الميغارية ، وهناك لحق به «أفلاطون» . وذهب «أرستبوس» الى صقلية ثم عاد الى وطنه قورينا فى شمال افريقيا حيث أنشأ المدرسة القورينائية . أما « أنتستان » فأسس فى أثينا المدرسة الكلبية .

٧ ـ افلاطون :

وكان أعظم تلاميذ سقراط هو « أفلاطون » . وقد ولد فى أثينا عام ٤٢٧ قبل الميلاد ، وتتلمذ فى مطلع شبابه على سقراط ، ثم رحل بعد موته الى ميغارى كما رأينا وانضم الى « اقليدس » وقضى معه زمنا طويلا ، ثم سافر الى مصر حيث أقام بعض الوقت فى عين شمس واتصل بمدرستها اللاهوتية ، وأحاط بكثير من عقائد المصريين وتقاليدهم وأخلاقهم وعلومهم وآدابهم ، كما يتضح ذلك من مؤلفاته ، ثم راح يتنقل بعد ذلك فى بلاد عديدة حتى استقر به المقام فى أثينا وأنشأ بها مدرسة بالقرب من نادى الأكاديمية ، ولذلك اشتهرت بهذا الاسم ، وظل أفلاطون فيها يعلم تلاميذه ويؤلف كتبه أربعين سنة كاملة . وقد وصلت الينا كل مؤلفات أفلاطون فى كل فروع الفلسفة ومن أشهرها « الجمهورية » و « القوانين » و « السياسى » و « فيدون »

و « تيماوس » ٠

وقد رأى أفلاطون أن المنطق هو السبيل الى المعرفة فجعله أساسا لكل بحوثه ٠ وكان المنطق عنده هو العلم الكلي بالمبادىء الأولى وبالأمور الدائمة ،



« أفلاطون »

وهو الذى يؤدى بنا الى ادراك المثل الأعلى لكل ما يحتوى عليه الوجود المحسوس من أنواع وأجناس ، ثم يتدرج بنا الى ادراك المثل الأعلى الذى يعلو على كل المثل العليا ، وهو الخير المطلق ٠



« أفلاطون بين تلاميذه فى الأكاديمية »

وقد اعتقد أفلاطون أن لهذا الوجود غاية ، ولكل شيء فيه غاية ، وأن الغاية لا تتمثل الا فى العقل ، وأن العقل لا يوجد الا فى النفس ، وأن النفس غير منظورة ولكنها فوق العناصر المنظورة . فعالم النفس هو عالم العقل ، وعلى قمته يوجد الله . والله هو علة حركة العالم ، وقد رتب كل شيء فيه عن قصد . وهو بسيط منزه عن التركيب ، ثابت لا يتغير ، صادق لا يكذب ، متصف بالجمال والخير والعدل والرحمة وكل صفات الكمال . وهو يشمل العالم بعنايته ، على عكس ما يدعى السوفسطائيون محتجين بنجاح الأشرار ، لأن ساعة الأشرار آتية لا محالة . فوجود الله وكماله وعنايته حقائق لا ريب فيها وانكارها جميعا أو انكار واحدة منها جريمة يجب العقاب عليها لأنها تؤدى الى فساد السيرة واختلال النظام الاجتماعى . ولا ينبغى أن نسيء الظن فى أغراض الله لأننا عاجزون عن ادراكها ، وقد صنع الله العالم والآلهة ، وصنع الآلهة الانسان ، فمن كان صالحا من بنى الانسان عاد بعد الموت الى عالم الآلهة ، ومن كان شريرا ولد ثانيا بعد الموت فى مخلوقات دنيئة ليكفر فيها عن شروره ، ولا يفتأ ينتقل من مخلوق الى آخر حتى يغدو انسانا صالحا ، فيعود الى عالم الآلهة . فالنفس اذن خالدة لا تموت بموت الجسم لأنها روحية تدرك الروحيات وتتوق اليها وتعلم ما بينها وبين المادة من اختلاف وتدرك أن سعادتها لا تتحقق الا بالخلاص من المادة والانطلاق الى عالم الروح .

وقد أنكر أفلاطون على السفسطائيين زعمهم أن سعادة الانسان فى اللذة، قائلا ان السعادة تكمن فى الفضيلة ، والفضيلة هى توازن قوى النفس ، أو بعبارة أخرى هى العدالة ، لأن العدالة هى اعطاء كل شيء حقه . ومن تطبيقات العدالة عند أفلاطون أنها لا تعنى الاحسان الى الأصدقاء والاساءة الى الاعداء ، وانما تعنى الاحسان الى الأصدقاء والأعداء على السواء . وخير للانسان عنده ان يكون مظلوما من أن يكون ظالما . فاذا اتصف الانسان بالعدالة بهذا المعنى توفرت له السعادة حتما ، لأنها تكسبه طمأنينة يتغلب بها على كل متاعب

الحياة • ومن ثم فالعادل سعيد مهما لقى فى الدنيا من عذاب • أما الظـــالم فشقى مهما أحاط به من أسباب الثروة والقوة والسلطان • ولا يصل الى العدل الا الحكيم • فالحكمة اذن هى المطلب الحقيقى للنفس • والحكيم الحق هو الذى يتجاوز الماديات الى الالهيات ، ويزدرى الحياة الدنيا مشتاقا الى الحياة الأخرى ، فيلتزم العفة لينقى روحه من أدران الجسد ، ويواظب على ذلك حتى يغدو فى النهاية روحا خالصة •

وكما أن الفضيلة عند أفلاطون هى العدالة فى النفس ، فان السياســـة الصالحة عنده هى العدالة فى الدولة • ولذلك فهو ينظم الدولة على مقتضى ما ينبغى أن تكون عليه النفس •

ومن هذه الأفكار نستشف سمو روح أفلاطون وعمق ادراكه ، اذ جمع فى شخصه كل مزايا العقل اليونانى واستوعب كل مذاهب الفلاسفة اليونان ومحصها ووضع الصالح منها فى اطار واحد ، فمزج بين الروح والعقـــل ، ونقل الدين الى الفلسفة ، فكان ينبوعا غزيرا للمعرفة لا يزال يفيض عـــلى العقل البشرى •

وقد توفى أفلاطون فى نحو عام ٣٤٧ قبل الميـــلاد فتولى المدرســـة الأكاديمية من بعـــده ابن أخته « أسبوسيبوس » ، ثم خلفـــه فى رئاستها « أكسانوقراطيس » ، وقد بقيت هذه المدرسة قائمة الى عام ٥٢٩ بعد الميلاد ، أى الى أن أغلق جوستينيانوس المدارس الفلسفية •

٨ ـ ارسطو :

وكان أعظم تلاميذ أفلاطون هو أرسطو وقد ولد فى تراقية عام ٣٨٥ قبل الميلاد ، وكان أبوه طبيبا للملك المقدونى أمنتاس الثانى جد الاسكندر الأكبر• وقد التحق فى شبابه بأكاديمية أفلاطون فى أثينا • ثم عهد اليه الملك فيليب المقدونى بتثقيف ابنه الاسكندر ، فلزمه أربع ســـــنوات • حتى اذا ارتقى

الاسكندر عرش مقدونيا بعد وفاة أبيه عاد أرسطو الى أثينا فى أواخر عام ٣٥٥ قبل الميلاد وأنشأ مدرسة فى نادى الليقيون ، فاشتهرت بهذا الاسم . وكان من عادة أرسطو أن يقضى معظم الوقت فى حديقة مجـاورة للنادى ويوافيه التلاميذ هناك فيلقى عليهم دروسه وهو يتمشى ، وهم يسيرون من حـوله ،



« أرسطو مع أستاذه أفلاطون »

ولذلك اشتهر هو وأتباعه بالمشائين . وفى أواخر عمره اتهمه الأثينيـون بالالحاد فعهد بالمدرسة الى « ثاوفراسطس » وغادر أثينا قاصدا الى مدينـة خلقيس فى جزيرة أوبا وهناك مات فى السنة التالية وكان فى الثالثة والستين من عمره . وقد كتب أرسطو عددا عظيما من المؤلفات ولكنها ضاع أكثرها . ومن أشهر الكتب التى وصلتنا « الأخلاق » و « المقـولات » و « النفس »

و « السياسة »و « الكون والفساد » و « الحياة والموت » ٠

وقد وضع أرسطو علم المنطق على أساس مكين وجعله أداة للبحث فى كل العلوم ٠ وقد اعتقد أن العالم أزلى أبدى ، وأنه قديم بمادته وصورته وحركته وأنواع موجوداته ، فلا ينشأ ولا يتحلل فيه سوى جزئيات الأنواع ٠ واعتقد أن الانسان مكون من نفس وجسم ، وأن النفس والجسم جزآن فى جوهر واحد ، ومتحدان اتحادا تاما ٠ فالنفس تشمل الجسم كله ، وهى ليست جسما ، ولا تبقى بعد فناء الجسم ، وانما يبقى العقل فقط لأنه ليس صورة لمادة ، بل هو قوة خالصة ٠ وأعلى العلوم عند أرسطو هو الحكمة لأنها تبحث عن جوهر الوجود والمبادىء الأولى والعلل العليا وهى العلم الالهى ، لأنها تبحث فى الله الموجود الأول والعلة الأولى ٠ والغاية من الحياة عندأرسطو هى الخير الأعظم ، لأن لكل موجود وظيفة يؤديها ٠ وكمال الموجود أو خيره الأكمل يقوم فى تمام تأدية وظيفته ٠ ولما كان للانسان عقل يفكر به كان خيره الأعظم والأكمل يكمن فى التفكير ، أى التعقل ، أى الحكمة ٠ والحكمة تقضى بالفضيلة ، لأن جمال الحياة الفاضلة يسطع حتى فى الشدائد ، والرجل الفاضل أسعد من الشرير مهما كانت الظروف ٠ ولا توجد الفضيلة عند الانسان بهذا المعنى الا اذا أصبحت عن طريق التربية والمران ملكة أو عادة تصدر عنه كما يصدر الفعل الطبيعى طواعية وفى سهولة وعن اختيار ، أى بمحض الارادة ٠ وموضوع الارادة دائما هو الخير ، والرجل الفاضل يستطيع أن يميز الخير من الشر ، ويفضل الخير ويختاره ، وهو يستطيع ذلك التمييز بالحكمة ٠ فالحكمة هى السبيل الى الفضيلة ، ومن ثم الى الخير الأعظم ٠ والحكمة والفضيلة والخير اذن كلها أمور متلازمة وكل منها يؤدى الى الآخر ٠

وقد عالج أرسطو موضوع سياسة الدول ، فقال ان مهمة الدولة هى توفير الأسباب المادية والأدبية ليبلغ شعبها السعادة ٠ والسعادة بالنسبة للشعب هى اكتمال أسباب الأمن والرخاء ٠

وقد تناول أرسطو كل العلوم فكان فيها هو المعلم الأول ، وترك تراثا علميا لا زال يعتبره العالم ثروة لا تقدر بثمن ٠

ومن أبرز تلاميذ أرسطو « ثاوفراسطوس » و « أوديموس » و « مينون » و « فانياس » و « ديفايرخوس » و « استراتون » ٠ وقد استمرت مدرسة أرسطو قرونا عديدة كانت لا تفتأ تزدهر فيها ولا سيما فى القرن الثانى بعد الميلاد ، حين انتشرت تعاليمها وصادفت نجاحا عظيما ٠

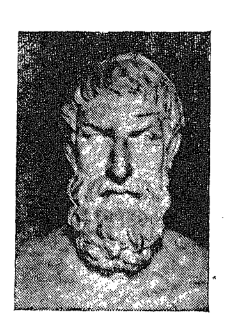
٩ ـ تلاميذ سقراط الآخرون :

أما بقية تلاميذ سقراط ـ غير أفلاطون وتلميذه أرسطو ـ فهم «اقليدس» مؤسس المدرسة الميغارية ، و « أنتستانس » مؤسس المدرسة الكلبية ، و « أرستبوس » مؤسس المدرسة القورينائية ٠

ومن أقوال « اقليدس » ان الوجود واحد والخير واحد ، وما ليس خيرا فلا وجود له ٠ ولكن الخير يسمى بأسماء كثيرة ، فيقال له الله ، أو العناية ، أو العقل ٠

وكان « أنتستانس » يجتمع بتلاميذه فى مكان يسمى « الكلب السريع » ولذلك اشتهروا بالكلبيين ٠ وكانوا يشترطون على من يريد الانضمام اليهم أن ينزل عن خيرات الدنيا وأن يتنازل عن مكانته الاجتماعية فيلبس لباس عامة الشعب ، ويرسل شعر الرأس واللحية ٠ وكانوا يحملون العصا بأيديهم والجراب فوق ظهورهم ويطوفون فى التماس قوتهم كرهبان الهنود ، وليس لهم من مأوى غير المعابد والأمكنة العامة ٠٠وكانت الفضيلة عندهم هى الشىء الوحيد الضرورى للحياة ، فكانوا يزدرون اللذة ويسفهون رأى القائلين بها ٠ ومن أشهر أتباع المدرسة الكلبية « ديوجينيس » الذى أصبح الناس يروون عنه قصصا كالأساطير ٠

أما « أرستبوس » منشىء المدرســـة القورينائية ، فكان يقيم الأخلاق على أساس الشعور باللذة والألم • فاللذة عنده هى الخير الأعظم وهى مقياس القيم جميعا • وقد أنكر أصحاب هذه المدرسة وجود الله • وكان آخر ممثلى هذه المدرسة هو « هجسياس » الذى قال بأن اللذة هى الخير الأوحد ، ولكن لما كانت اللذة تؤدى الى ألم ، فالحل الوحيد أمام الناس للتخاص من الألم هو الموت • ولذلك أصبح لقب هجسياس « الناصح بالموت » •



« أبيقوروس »

١٠ ـ أبيقوروس :

وبعد ذلك أنشأ أبيقوروس عام ٣٤١ قبل الميلاد مدرسة فى أثينا ليعلم الناس فيها « حياة اللذة السهلة » • وكان يقول أن الأحيــاء نشأت اتفاقا ، وان النفس الانسانية جسم حار لطيف للغاية ، وهى تتألف مع الجسم وتنحل بانحلاله • وكان يؤمن بأن الآلهة موجودون وخالدون وأنهم سعداء بعيدين عن العالم ولذلك فهم لا يعنون بالبشر •

والسعادة عند أبيقوروس هى اللذة الجسمية ، فغــاية الحياة هى اللذة

الحسية ، لأننا اذا استبعدنا الحس من الانسان لا يبقى شيء • فكل لذة خير ، وكل وسيلة الى اللذة خير كذلك • ولكننا يجب أن نجتنب اللذة التى تؤدى الى ألم ، ويجب أن نتحمل الألم الذى يؤدى الى لذة • والحكيم هو الذى يدرك السبيل الى اللذة ويتجنب الأوهام التى تقضى عليها وفى مقدمتها الخوف من الموت ، لأنه يعلم أن الخلود مستحيل فلا يفكر فيه ولا يتحسر عليه • وهو لا يتزوج لما يجره الزواج من متاعب • ويرى أبيقوروس أننا اذا وجدنا فى الخروج على القانون منفعة لنا وأمكننا أن نخرج عليه دون أن ينالنا أذى ، فلنا ذلك ونحن بمأمن من حكم الضمير • لأن الحكيم لا يراعى العدالة الا ليضمن لنفسه السلامة من انتقام المظلوم • أما العدالة فى ذاتها فلا وجود لها • ولذلك أصبح اسم « أبيقوروس » رمزا للذة والاستهتار •

١١ ــ الرواقيون :

وقد أنشأ « زينون »مدرسة فى أثينا عام ٣١٢ قبل الميلاد ، اتخذ مقرها فى رواق كان فيما سلف مكانا لاجتماع الشعراء ، فاشتهرت بالمدرسة الرواقية ، وقد خلفه فى رئاستها « أقلانيتوس » ثم « أقريسيبوس » • وقد كان الرواقيون ماديين ، فكل معرفة لديهم هى معرفة حسية ، وكل موجود هو جسمى ، حتى العقل • والجسم مركب من مبدأين هما مادة ونفس حار يتحد بالمادة ويتوتر ، فيستبقى أجزاءها متماسكة ، وهو يؤلف معها مزيجا كليا دون أن يفقد كل منهما شيئا من جوهره • والنفس الحار فى الانسان والحيوان هو النفس • وفى البداية كانت النار فى الملأ اللامتناهى ولم يكن عداها شيء ، ثم توترت فتحولت الى هواء ، وتوتر الهواء فتحول الى ماء ، وتوتر الماء فتحول الى تراب • وقد انتشر فى الماء نفس حار فتولدت منه « بذرة مركزية » هى قانون العالم ، أى اللوغوس • ولا تلبث النار أن تخلص بالتدريج من العناصر الأخرى حتى تصبح فى النهاية نارا خالصة • ثم يعود الدور على

نفس النسق بنفس الموجودات ونفس الأحداث ، ويتكرر ذلك الى غير نهاية . فالعالم أزلى ولكن نظامه حادث . وهو الهى بالنـــــار التى هى العلة الأولى والوحيدة . والله هو « العقل الكلى الذى وقعت بموجبه الأحداث الماضية ، وتقع الأحداث الحاضرة ، وستقع الأحداث المقبلة » . والعناية الالهية تشمل الكون ، وهى مبرأة من الشر ، ولا تريد الا الخير ، ولكن تحقيـــق الخير قد



« ماركوس أوريليوس »

يستلزم وسائل لا تكون خيرا من كل وجه . أما الخطيئة فيعزونها الى حرية الانسان ، لأن مناسبات أفعالنا محتومة ، ولكنها ليست محتمة بذاتها ، فان الأفراد لاختلاف طبائعهم وتفاوت ملكاتهم لا يأتون فى الظروف المتشابهـة أفعالا متشابهة ، وانما يتصرف كل منهم حسب تفكيره وتقديره ، والطبيعة تتجه الى غاياتها في الجماد عفوا دون تصور ولا شعور ، وفى الحيوان بالغريزة

مع التصور والشعور • أما في الانسان فتتخذ طريقا آخر هو العقل أكمل الطرق لتحقيق أسمى الغايات • فعلى الانسان أن يحيا وفق الطبيعة والعقل • وهو من ثم يطلب الخير ، والخير هو الفضيلة ، والفضيلة نعرفها بالحكمة ، والحكيم يعتبر الموضوعات المطابقة للطبيعة جديرة بالاختيار والموضوعات المضادة لها جديرة بالرفض ، وهو يصمد للشدائد فلا يخاف ولا يرجو ولا يأسف ولا يندم ، بل يرتفع بنفسه فوق كل شيء ، وينعم بفضيلته عالما أن كل ما يحدث انما مقدر عليه • ومن ثم يعود الرواقيون الى رأى سقراط القائل بأن الفضيلة علم والرذيلة جهل •

وقد استمرت تعاليم المدرسة الرواقية سائدة حتى عصر القياصرة الرومان • وكان من أشهر أتباعها في ذلك العصر سنيكا وأبيكتاتوس والامبراطور ماركوس أوريليوس •

١٢ ـ مدرسة الشك :

وهكذا نرى كيف تعددت المذاهب واشتد تعارضها ، ومن ثم تولد الشك في الحقيقة لدى كثيرين ، أصبحوا يؤلفون طائفة الشكاك ، ومنهم « بيرون » و « أرقاسيلاس » و « قرينادس » و « أناسيداموس » و « أغريبا » و « سكستوس » •

وقد ولد « بيرون » في ايليس عام ٣٦٥ قبل الميلاد ، ووضع مذهب اللاأدرية الذى يتلخص في قوله « لا أدرى » ، فقد أنكر العلم واليقين ، لأن كل قضية في رأيه تحتمل قولين ، ويمكن الجواب عليها بالايجاب والسلب بقوة متعادلة • فالحكمة اذن في العدول عن الايجاب والسلب ، والامتناع عن البحث والجدل ، والوقوف عند الظواهر • فلا راحة ولا طمأنينة للانسان الا بذلك •

أما « أرقاسيلاس » فقد ولد في أيولية عام ٣١٦ قبل الميلاد ، وقال ان

الانسان لا يملك وسيلة للتمييز بين الفكرة الحقيقية وغير الحقيقية ، غير أن من الآراء ما يبدو معقولا ، ومن الأفعال ما يبدو مستقيما ، وهى تلك التى يمكن الدفاع عنها بعد استعراض الحجج التى تؤيدها والتى تعارضها ، دون أن يؤخذ هذا الدفاع برهانا على مطابقتها لحقيقة ممتنعة الادراك ·

وأما « قريناس » فقد ولد فى قورينا عام ٢١٤ قبل الميلاد ، وقد رأى عدم امكان الوصول الى الحقيقة واكتفى بالاحتمال والترجيح القائم على الانتباه الى التصورات والتأكد من عدم تناقضها ، والاحاطة بكل تفاصيلها ·

وأما « أناسيداموس » فقد عاش بالاسكندرية فى القرن الأول قبل الميلاد أو بعده ، وقد ذهب الى أن الحقيقة اذا كانت موجودة فلا تخرج عن أن تكون محسوسة أو معقولة · ولا يمكن ادراك الحقيقة بالاحساس لأنه خال من البرهان ، كما لا يمكن ادراكها بالعقل لأن ذلك يتضمن أن كل شىء محسوس غير حقيقى وهذا مستحيل · ولا يمكن الاعتماد على الظواهر لأن الناس لايتفقون على تأويلها ، فالعلم اذن ممتنع ·

وأما « أغريبا » فكان من تلاميذ « أناسيداموس » ، وهو كذلك ينكر امكان العلم أو الوصول الى الحقيقة لأسباب كثيرة ، منها تناقض الفلاسفة ، واحتياج برهان كل قضية الى برهان بدوره فلا يمكن الوصول الى برهان نهائى أبدا · فاليقين غير موجود ولا يمكن أن يوجد ·

وأما « سكستوس » فقد عاش فيما بين القرنين الثانى والثالث بعد الميلاد ، وكان زعيم طائفة احترف أعضاؤها الطب واكتفوا بالاستفادة بالتجارب دون حاجة الى التفكير فى حقائق الأشياء ، أى أنهم أقاموا الفن بدلا من العلم ، ولذلك اشتهروا بالتجريبيين · ويتلخص مذهب « سكستوس » فى أن الانسان ينبغى أن يتبع الطبيعة ، فيأكل عند الجوع ، ويشرب عند العطش ، ويلبى سائر الحاجات الطبيعية ، وأن يخضع للقوانين والعادات لأنها

مفروضة عليه ، وأن يدرك الظواهر وترابطها فيكتسب تجربة تؤدى به الى توقع بعضها عند حدوث بعض ، دون أن يكون لهذا التوقع أساس فى الحقيقة أو مبرر فى عقله.

وقد ظل مذهب الشك واليأس من الوصول الى الحقيقة ذا أثر كبير على المفكرين فى كل عصور التاريخ الى اليوم .

١٣ ـ الأفلاطونية الجديدة :

وفى القرن الثانى قبل الميلاد نهضت الأفلاطونية فى عدة مدن بين أهل الطبقة الراقية . ثم فى القرن التالى نهضت الفيثاغورية واختلطت النزعتان عند كثير من المفكرين ، وقد تأثرتا بالديانات الشرقية . وفى القرنين الأول والثانى بعد الميلاد اشتد الجدل حول فلسفة أفلاطون ولا سيما عن أصل العالم ، واتخذت الأفلاطونية شكلا جديدا عند « فيلون » اليهودى الاسكندرى ، وكانت الاسكندرية قد خلفت أثينا كمركز للفلسفة ، وزخرت بالعلماء من مصريين ويونان ورومان ويهود . وكان اليهود فيها قد تشبعوا بالثقافة اليونانية ، حتى لقد كانوا لا يقرأون التوراة الا باللغة اليونانية ، بل كانوا يشرحونه شرحا رمزيا كما كان اليونان يشرحون هوميروس ، فكانوا يصورون التوارات كأنها قصة النفس مع الله ، تدنو منه تعالى أو تبتعد عنه بمقدار دنوها من الجسم أو ابتعادها عنه . وكانوا يؤولون الفصل الأول من سفر التكوين مثلا بأن الله خلق عقلا خالصا ، ثم صنع على مثال هذا العقل عقلا أقرب الى الأرض وهو آدم ، وأعطاه الحس وهو حواء ، ثم طاوع العقل الحس وانقاد للذة وهى الحية ، وهكذا . وقد انتهج « فيلون » هذا السبيل فى أبحاثه الفلسفية واللاهوتية ، وكانت الفكرة الأساسية عنده أن الله خلق العالم ، ولكنه من البعد والتسامى عنا بحيث لا نستطيع أن نعلم عنه شيئا ، وهو يعتنى بالبشر ، ولكن لا بصفة

مباشرة ، وانما عن طريق وسطاء . والوسيط الأول هو « اللوغوس » أو الكلمة ابن الله نموذج العالم ، ويليه الحكمة ، ثم الرجل الأول وهو آدم ، ثم الملائكة ، ثم القوات التى تنفذ أوامر الله . وبالطهارة والتقوى والعبادة الباطنة تصعد النفس من وسيط الى وسيط حتى الوسيط الأعظم وهو كلمة الله ، ويبدأ هذا الصعود حين تعلم النفس بطلان الماديات وزوالها . وليست غاية النفس هى معرفة الله بواسطة العالم أو بواسطة الوسيط ، وانما غايتها البلوغ الى الله والاتحاد به اتحادا كاملا .

أما أكبر مجددى الأفلاطونية ، فهو « أفلوطين » ، وقد ولد فى ليكوبوليس بمصر عام ٢٠٥ بعد الميلاد ، وقصد فى شبابه الى الاسكندرية وتتلمذ لأمونيوس الملقب ساكاس أو السقاص ، وبعد أن مكث معه سنوات طويلة رحل الى سوريا والعراق وأنطاكية ، ثم استقر به المقام فى روما حتى وفاته . وقد ذهب « أفلوطين » الى أن للعالم أربعة أقانيم ، أى أربعة جواهر ، هى المادة والنفس والعقل والجوهر الأول أو الأوحد . وقال ان الوجود الحقيقى هو التأمل والفكر الذى يجمع المتعدد فى واحد ، ومن ثم فان علة الطبيعة هى النفس ، وعلة وحدة النفس هى العقل ، وفوق العقل يوجد الواحد الذى هو رباط الأشياء جميعا ، وهو مبدأ الوجود ، وهو الموجودات جميعا لأنه يحويها بالقوة ولكنه ليس واحدا منها . وهو كامل لا يفتقر الى شىء ، ولما كان كاملا فان كماله يفيض فينشىء شيئا غيره ، ويتوجه هذا الشىء نحوه ليتأمله فيصير عقلا . ولما كان العقل شبيها بالواحد فانه يفيض فينشىء صورة منه هى النفس الكلية . وتتوجه النفس نحو العقل فتفيض نفوس الكواكب ونفوس البشر وسائر الأشياء المحسوسة . والشىء المحسوس هو انعكاس الصورة على المادة التى هى أدنى مراتب الوجود ، واتصال النفس بالمادة هو أصل نقائصها وشرورها ، فلا يكون تطهيرها من المادة باخضاعها لها وانما بتخلصها منها والعودة الى حال النفس الأول ، والفلسفة هى وسيلة النفس فى صعودها

حتى تصل الى الأول الواحد ، وهى لا تصل اليه بالتأمل أو التفكير ، وانما بنوع من الانجذاب الذى هو أرفع من الفكر والمعرفة ، ولا يمكن لأحد أن يصفه الا الذين ذاقوه ، لأنه اتحاد بالله .

***

وأخيرا أصدر الامبراطور جوستينيانوس أمره باغلاق مدارس الفلسفة ، بعد أن عاشت أكثر من ألف عام . ولكن تراث هذه المدارس ظل ملكا للمفكرين فى كل عصور التاريخ . ولئن كانت الفلسفة اليونانية قد عانت كثيرا من التخبط فى فهم الطبيعة الالهية وأصل الكون ، فقد كان مرجع ذلك الى أنها لم تتلق وحيا الهيا يهديها الى الحقيقة ، فراحت تتلمسها بالعقـــل البشرى فى مثابرة واجتهاد ، وكانت تصيب تارة وتخطىء تارة أخرى ولكنها على أى حال كان لها فضل الغوص فى أعماق هذا العقل واكتشاف ما فيه من قوة كامنة ، هى ولا شك هبة من الله . حتى جاءت المسيحية فكشفت للناس الحقيقـــة وألهمتهم الحق .

البحث السادس

العلوم اليونانية

كان اليونان فى عصورهم الأولى يفتقرون الى المعرفة ، وكان البحث العلمى لديهم يكاد أن يكون معدوما ، بل لقد كان كذلك محظورا ، فكان أى خروج فى البحث العلمى عن الأفكار الموروثة أو التقاليد السائدة أو العقائد الدينية التى يؤمن بها اليونان يعتبر كفرا والحادا يتعرض من يجرؤ عليه للمحاكمة والموت • ومن ثم فان قيمة علماء اليونان الأوائل لم تكن تكمن فى النتائج العلمية التى توصلوا اليها بقدر ما كانت تكمن فى أنهم اجترأوا على ممارسة البحث العلمى •

وقد أخذ اليونان عن الأمم الشرقية ولا سيما مصر كثيرا من العلوم التى تصدوا للبحث فيها كالفلك والهندسة والطب والعلوم الاجتماعية ، ولكنهم زادوا عليها وتعمقوا فى بحثها حتى أصبحوا أساتذة فيها •

وقد وضع أرسطو قواعد البحث العلمى التى تقوم على الاستقراء والاستنباط وتتطلب تجميع قدر عظيم من المعلومات لدراستها واستخلاص

النتائج منها ٠

ولا شك أن أغلب معلومات اليونان عن الفلك أخذوها عن مصر وفارس ، وكانت الفكرة السائدة لديهم عن الكون منذ عهد ايودوكسوس فى القـرن الرابع قبل الميلاد أن الشمس والقمر والكواكب تدور حـول الأرض ، حتى توصل علماء الاسكندرية الى تصحيح هذا الخطأ ٠

وقد ارتقى الفيثاغوريون وأفلاطون ومدرسته بالهندسة الى منزلة رفيعة حتى أن معهد أفلاطون كان يضع فى مدخله لوحة نقش فيها أن دخول هذا المعهد لا يباح لمن يجهل الهندسة ٠ وقد اشتهر من علماء اليونان على الخصوص « فيثاغورس » الذى نبغ فى الهندسة وكشف من الحقائق العلمية ما أصبح أساسا لكثير من النظريات الرياضية فى العصر الحديث ٠

وقد وضع هيبوكراتيس فى القرن الخامس قواعد علم الطب ، وقـد استقى أغلبها من مبادىء الطب عند قدماء المصريين ٠

ولم تكن معرفة اليونان بالجغرافيا تتعدى دائرة حوض البحر الأبيض المتوسط وحدود فارس ، فرسموا أول خريطة للعالم المعروف فى عصرهم ٠

وكان اليونان شغوفين بعلم الحيوان ٠ وقد قام أرسطو بكثير من الأبحاث فى هذا العلم وجمع قدرا كبيرا من الملاحظات التى تفيد الباحثين فيه ٠ ثم واصل هذه الأبحاث من بعده تلميذاه ثيوفراسطوس وستراتون اللذان خلفاه فى رئاسة مدرسة المشائين ٠ وقد اهتم ثيوفراسطوس كذلك بعلم النبـات فأدى له من الخدمات نظير ما أداه أرسطو لعلم الحيوان ، وقد جمع بشأنه عددا عظيما من الحقائق ، واكتشف معلومات يثير اكتشافها الدهشة فى ذلك الزمن الذى لم يكن العلماء قد توصلوا فيه بعد الى استخدام الميكروسكوب ٠ ولم يكن علم الكيمياء قد تقدم كثيرا ٠ وقد كتب « ثيوفراسطوس » رسالة عظيمة عـن تاريخ النبات بقيت زمنا طويلا هى المرجع الوحيد فى هذا الموضوع ٠

وقد ضرب اليونان بسهم وافر في العلوم التشريعية والدستورية على ضوء تجارب حكامهم وتعاليم حكمائهم وفلاسفتهم ، وقد وضع أفلاطـــون وأرسطو كتبا كاملة في السياسة وأساليب الحكم ، شرحوا فيهـــا مبادىء العدالة وأسس الدولة العادلة •

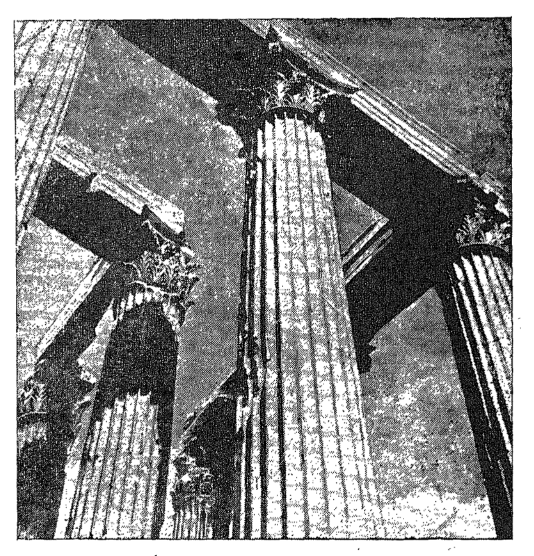
البحث السابع

الفنون اليونانية

وقد ازدهرت الفنون عند اليونان ولا سيمـــا العمارة والنحت ، وقد استمدوا كثيرا من قواعد فنونهم من الأمم الشرقية ولا سيما مصر واشور وفينيقيا ، ولكنهم طوروها وحوروها حتى اكتسبت طابعا يونانيا متميزا ٠

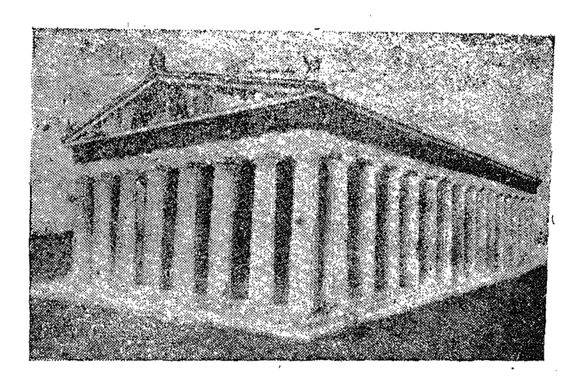
ويتجلى فن العمارة اليونانية فيما أقامه اليونان الأوائل من معـــابد لآلهتهم ولا سيما فى أثينا ، ومن أروعها معابد الأكروبول ، والبارثينون وقد شيد تمجيدا للالهة « أثينا » العذراء ، ومعبد أيرختيوم وقد شيد تمجيدا للالهة « أثينا » حارسة المدينة ولعبادة « ايرختيوم » اله أتيكاو « بوسيدون » اله البحر ، ومعبد « هيفا يستوس » اله النار ، ومعبد « زيوس » الأوليمبى ٠ كما أقيمت معابد بديعة فى كثير من مدن اليونان الأخرى ، ومنها معبد « نيميس » ربة الانتقام فى رامنوس ، ومعبد « بوسيدون » فى سونيوم ومعبد « آفـــايا » فى « أيجينا » ، ومعبد « أبوللون » فى بساى ، ومعبد « زيوس » فى أوليمبيا، ومعبد « أبوللون » فى دلفى ، ومعبد « أثينا » فى اسبرطة ، ومعبد «أرثميس» فى تيجيـــا ، ومعبد « زيوس » فى أكراجاس ، ومعبـــد « بوسيدون » فى

بوسيدونيا ، ومعبد « أرثميس » فى أفسوس ، ومعبد « ديميتير » فى اليوسيس . ويمتاز الفن المعمارى لدى اليونان بالدقة والرقة والرشاقة ، ويتميز بمجاميع الأعمدة الرائعة ذات الاكليل الدورى الضخم أو الاكليل الأيونى الرشيق ، أو الاكليل الكورنثى الذى يشبه باقة الزهور .

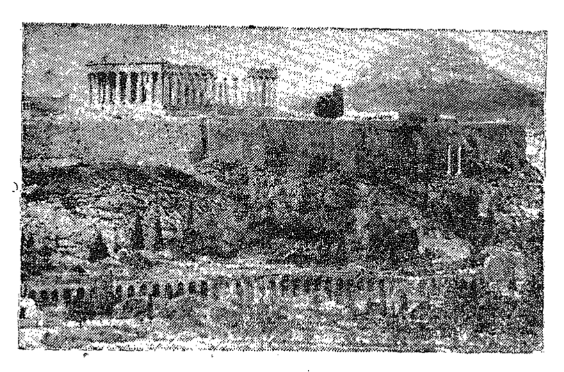


« أعمدة يونانية » .

ولم يهتم اليونان ببناء القبور كما اهتم قدماء المصريين . بيد أنهم بنوا بعض القبور التى اشتهرت بروعتها ، ولا سيما قبر « ماوسولوس » الذى كان صاحبه من أثرياء هليكارناسوس المهتمين برعاية الفنون والآداب اليونانية فى آسيا الصغرى ، وكان مبنيا كله بالرخام الأبيض . وقد بلغ ارتفاعه مائة



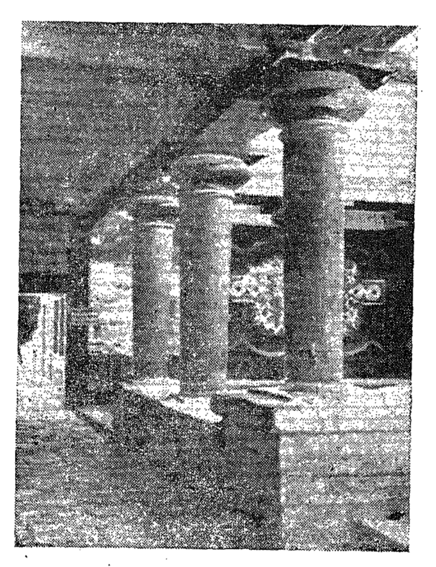
« البارثينون »



« الأكروبول »

وأربعين قدما ، فكان معتبرا لضخامته وفخامته احدى عجائب الدنيا ، وبلغ من شهرته أن صارت كلمة « موسوليام » المشتقة من اسم صاحبه تطلق على كل قبر فاخر البناء .

أما فن النحت عند اليونان فكان متأثرا فى الغالب بالطابع الدينى ، اذ



« ردهة بالقصر الملكى فى كنوسوس »

اقتصر استخدامه فى البداية على زخرفة المعابد ، وصنع تماثيل الآلهة التى كانت تقام فى أبهائها أو محاريبها ، بيد أنه استخدم كذلك فى صنع تماثيل الأبطال الفائزين فى المباريات الرياضية التى كانت تقام تمجيدا لزيوس أو بوسيدون أو هيرا أو غيرهم من الآلهة . وكانت هـــذه التماثيل توضع فى

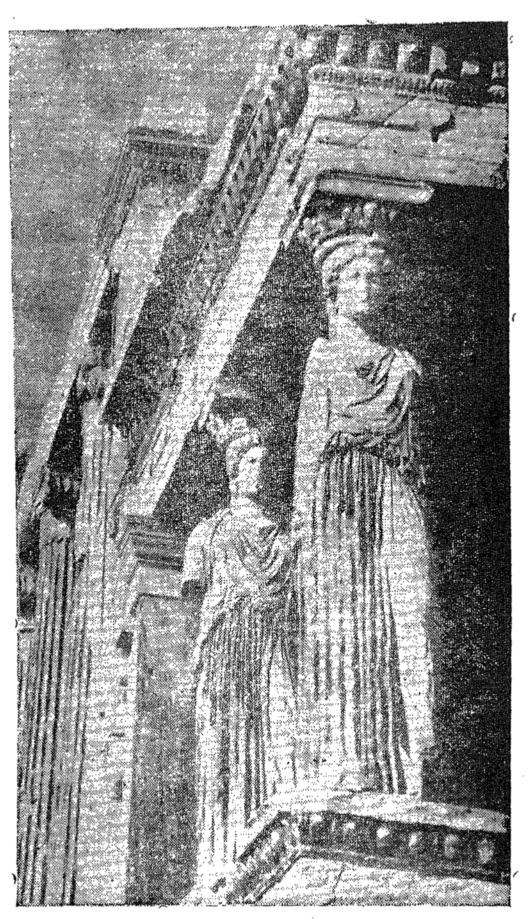
الميادين والأسواق العامة ونوادى الجمنازيوم • كما كان اليونان يخلدون ذكرى انتصاراتهم الكبيرة باقامة تمثال أو مجموعة من التماثيل • ومن أمثلة ذلك تمثال النصر فى أوليمبيا للمثال « بايونوس » ، والتمثال البرونزى للالهة « أثينا » فى الأكروبول للمثـــال فيدياس ، وتمثالا « هارموديوس » و « أرسطوجيتون » قاتلى الطاغية « هبارخوس » وكانا يقومان بالسوق العامة فى أثينا • كما كان هناك مجموعة كبيرة كذلك من التمـــاثيل لايرخثيوس



« تمثال للاله أبوللون »

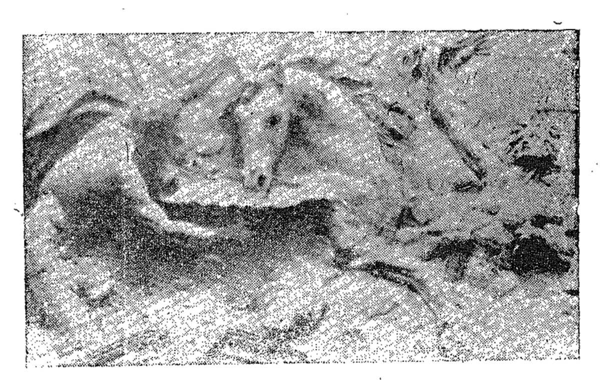
وكيكروبس وآيجيوس وملتيادس وغـــيرهم من الأبطال • وكذلك اســتخدم اليونان فن النحت فى اقامة النصب الجنائزية • وكانت الأشكال الرئيسية التى راجت فى هذا الصدد هى اللوحات المنقوشة برسوم بارزة تمثل المتوفين فى مشاهد حياتهم اليومية قبل موتهم ، واللوحات المتوجة بحليات زخرفية بديعة ، والتماثيل الكاملة للمتوفين أو لبعض الآلهة •

وكانت القصص والأساطير التى تشتمل عليها الالياذة والأوذيســـة



« تماثيل في معبد بالأكروبول »

وغيرهما من الملاحم الشعرية التى تتميز بانطلاق الخيال وغرابة الأحداث التى تدور بين الآلهة ، مادة خصبة استمد منها الفنانون اليونان روائعهم • فكانت المنحوتات المعمارية تشتمل دائما على تصاوير أسطورية ولا سيما مناظر المعارك التى اشترك فيها « هيراكليس » و « ثيسيوس » و « اللابيناى » • ومن أشهر المنحوتات الدينية ، اللوحة التى كانت منقوشة على واجهة معبد « أثميس » فى جزيرة كوركيرا ، وكانت تتوسطها صورة المرأة الأسطورية « ميدوسا »



« تمثال رائع لحصان أبوللون »

وعلى يمينها ابنها « خريساؤر » وعلى يسارها الجواد الذى نبت من دمهـا « بيجاسوس » وغيرهم من أشخاص الأساطير ، واللوحة التى كانت منقوشة على واجهة أحد معابد الأكروبول وتمثل دخول « هيراكليس » الى جبـل أوليمبوس ، وقد ظهر فيها زيوس وهيرا ومجمع الآلهة • واللوحة المنقوشة على الواجهة الشرقية من معبد البارثينون وتمثل أسطورة مولد الالهة « أثينا » من رأس « زيوس » ، ويظهر فيها « هيليوس » اله الشمس ، يوشك على الشروق فى طرف البحر ، و « سيلينى » الهة القمر ، توشك على المغيب فى الطرف

الآخر ، ومن أبدع النقوش اليونانية كذلك لوحة تتضمن رسما بارزا يسمى « تأليه هوميروس » ، وفيه يظهر « زيوس » كبير الآلهة واقفا فوق الجبل ومعه زوجته « نيموسينى » ربة الذاكرة ، وحولهما تقف بناتهما « الميوزاى » ربات الفنون ، كما يقف « أبوللون » ممسكا بقيثارته ، وقد بدا بجانبه الحجر المقدس في دلفي • وقد جلس هوميروس على عرش كأنه اله بين تمثالين راكعين أحدهما يرمز الى الالياذة ، والآخر يرمز الى الأوذيسة ، ومن خلفه يقف الزمان « خرونوس » وفي يده لفافة تتضمن أشعار هوميروس ، كما يقف العالم فى صورة اله يضع اكليلا على رأسه ، رمزا الى أن شهرة هوميروس غير محدودة بزمان أو مكان ، وأمامه يقف غلام اسمه « ميثوس » ــ أى الأسطورة ــ يحمل قدحا وابريقا ويؤدى وظيفة الخادم فى المذبح ، رمزا الى أن هوميروس قد استخدم الأساطير في تصوير عالم الآلهة • كما يقف التاريخ « هيستوريا » ناثرا البخور على المذبح ، رمزا الى أن الأساطير قد أصبحت تاريخا راسخا ، ثم تأتى بعد ذلك صور متتابعة تمثل الشعر الغنائى « بويزيا » والمأساة « تراجيديا » والملهاة « كوميديا » •

ومن أشهر المثالين اليونان فيدياس وبوليكليتوس وألكامنيس ، وسكوباس وثيموسيوس وبرباكسيس وليوخاريس وبراكسيثليس و ميرون و آرجوس •

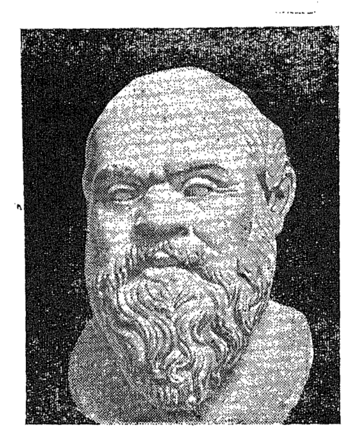
ومن أشهر التماثيل اليونانية تمثال « زيوس » الذى كان قائما داخل هيكل معبده فى أوليمبيا ، وقد صنعه فيدياس الأثينى فى القرن الخامس قبل الميلاد ، من الذهب والعاج ، ويمثل « زيوس » جالسا على عرشه وفوق رأسه اكليل على هيئة غصن الزيتون ، وفى يده اليمنى تمثال النصر ، وفى يده اليسرى صولجان من الذهب المطعم بالأحجار الكريمة ، وفى قدميه نعلان من الذهب ، وقد ارتدى ثوبا ذهبيا مزركشا بزهور السوسن • وأما العرش فمرصع بالذهب والأبنوس والعاج والأحجار الكريمة ، ومنقوش برسوم



« تمثال أثينا العذراء بالبارثينون »

ملونة تمثل بعض مناظر الأساطير ، ويبلغ حجم التمثال سبعة أضعاف الرجل العادى ويطاول ارتفاعه سقف المعبد ٠

كما أن من أشهر التماثيل اليونانية كذلك وأجملها تمثال « أثينا العذراء» الذى كان قائما بمعبد البارثينون فى أثينا ٠ وقد صنعه فيدياس من الذهب والعاج ، وكان ارتفاعه أربعين قدما ، ووزن الذهب الذى فيه ٢٥٣٧ رطلا ،



« تمثال لسقراط »

وهو يمثل أثينا منتصبة القامة مرفوعة الرأس ، ترتدى ثوبا من الذهب الخالص يصل الى قدميها ، وقد بلغ من فخامته وروعته أن ذاعت شهرته فى العالم القديم كله ٠

وذلك غير تمثال « هيرا » الذى كان قائما فى معبدها بالقرب من آرجوس، وقد صنعه « بوليكليتوس » فى القرن الخامس قبل الميلاد ويمثل « هيرا » زوجة « زيوس » جالسة على عرشها ، وفوق رأسها تاج رائع من الذهب ٠

وكذلك تمثال « افروديتي » الذى صنعه « براكسيثاليس » فى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد ، وقد أصبح نموذجا خالدا لربة الحب والجمال .

أما تماثيل الشخصيات الشهيرة التى صنعها المثالون اليونان فكثيرة جدا ، وقد بقى منها عدد كبير ، ومنها تماثيل هوميروس وبريكليس وهيرودوت وسقراط وأفلاطون وأيسخيلوس وسوفوكليس ويوريبيديس والاسكندر الأكبر .

البحث الثامن

الحياة الاقتصادية عند اليونان

وقد شهدت بلاد اليونان منذ القرن السادس قبل الميلاد رواجا عظيما في حياتها الاقتصادية ولا سيما في التجارة والصناعة . وقد اكتسبت المدن التجارية مركزا هاما بين أسواق البحر الأبيض المتوسط ، اذ كانت تصدر الى كل بلاد العالم المعروف حينذاك أنواعا عديدة من السلع أهمها النبيذ والزيت والأواني الخزفية ، كما كانت تستورد كثيرا من السلع الغذائية ولا سيما القمح . وقد برع اليونان في محاكاة المصنوعات التي كانت ترد اليهم من بلاد الشرق ولا سيما مصر ، فلم تلبث الصناعة ان ازدهرت لديهم ، وكان لمصر عليهم في ذلك فضل كبير .

وكانت كورنثوس وأيجينا هما السابقتان في التجارة في أوائل القرن الخامس قبل الميلاد . ولكن سرعان ما سبقتهما أثينا ، وكان أهم صادراتها النبيذ والزيت . وقد انفردت تساليا ومقدونيا وصقلية بتصدير الحبوب . اما أسبرطة وبويوتيا وغيرهما من المدن الفقيرة في الغرب والشمال فكانت

بالكاد تكفى نفسها بنفسها . وقد أصبحت اقتصاديات كل المدن اليونانيـة فى القرن الخامس قبل الميلاد قائمة على النقود بعد أن كانت تتبع نظـام المقايضة . وكانت النقود الأثينية هى الأداة الأساسية فى التعامل. وأصبحت أهم موارد حكومات المدن اليونانية فى ذلك العصر هى الضرائب غير المباشرة . وقد نعمت مدن اليونان فى القرن الرابع قبل الميلاد بقدر عظيم من الرخاء .

البحث التاسع

صلة الحضارة اليونانية بالحضارة المصرية

وقد اتصلت الحضارة اليونانية منذ نشأتها بالحضارة المصرية ، ولاسيما عن طريق كريت : فقد كانت العلاقات قد توثقت بين كريت ومصر منذ بداية عهد الدولة القديمة عن طريق التجارة ، فأخذ الكريتيون عن مصر كثيرا من مظاهر حضارتها ، ومنها الحروف الهجائية والعقائد الدينية وصناعة النحاس والبرونز والأواني الخزفية ، كما أنشأوا مدنهم على نمط المدن المصرية ٠ حتى اذا غزا اليونان جزيرة كريت بعد أن غزوا جزر بحر ايجة في القرن العاشر قبل الميلاد ، تأثروا بحضارة الكريتيين التي كانت قد تأثرت بدورها بالحضارة المصرية ، واستمرت العلاقات قائمة بعد ذلك بين اليونان ومصر ، فأخذوا عنها كثيرا من مظاهر حضارتها ٠

وكذلك اتصل اليونان بمصر عن طـــريق الفينيقيين الذين كانت لهم علاقات تجارية بالمصريين منذ أقدم العصور ، ثم خضعت فينيقيا لمصر في عصر الامبراطورية حين بلغت مصر ذروة قوتها وحضارتها ، فأخذ الفينيقيون عنها

كثيرا من عقائدها وتقاليدها وآدابها وعلومها وفنونها وصناعاتها ، ثم نقلوها الى الأمم التى كانوا يتاجرون معها ، ومنها اليونان ، فكانوا هم حلقة الاتصال بين الحضارة المصرية العريقة والحضارة اليونانية الناشئة فى ذلك العهد البعيد .

وفى القرن الثامن قبل الميلاد أخذاليونان ولا سيما تجار ميليتوس يفدون الى مصر ، وأنشأوا لهم فيها مدينة يونانية على النمط الذى يألفونه وهى مدينة « نقراطيس » التى كانت تقع بالقرب من مدينة « سايس » بالوجه البحرى ، كما انتشر اليونان فى كل أنحاء البلاد وأصبح لهم حى خاص فى مدينة «منف» ولم يلبث الفراعنة منذ عهد بسامتيك الأول أن راحوا يشجعون اليونان على النزوح الى مصر لترويج تجارتها وتنمية ثروتها ، كما استعانوا بهم كمتطوعين مأجورين فى الجيش . وقد تمكن بسامتيك الأول بمعاونة الجنود اليونان من طرد الأشوريين ، ثم اتخذ من أولئك الجنود حرسه الخاص ، وأقام لهم معسكرين أحدهما فى « ماريا » بالقرب من كانوب ، والآخر فى « دافناى » عند برزخ السويس . وقد واصل خلفاء بسامتيك سياسته فى العطف على اليونان والاستعانة بهم فى الجيش . الا أن ازدياد ذلك العطف لم يلبث أن أدى الى غضب المصريين ، فثاروا على أبريس بزعامة قائد مصرى يدعى أحمس ، وانتهى الأمر بقتل أبريس وجلوس أحمس على عرش مصر باسم « أحمس الثانى » . ولكى يرضى هذا الملك شعور المصريين ألغى معسكر الجنود اليونان فى « دافناى » ونقلهم الى منف ليكونوا تحت رقابته ، وأصدر أمره الى جميع اليونان المقيمين فى بلاد مصر المختلفة بالاقامة فى نقراطيس وحدها . بيد أنه لم يلبث أن أظهر العطف على اليونان فاتخذ من جنودهم حرسه الخاص ، وتزوج من سيدة يونانية ، وعقد أواصر الصداقة مع بوليكراتس طاغية ساموس ، وكرويسوس ملك ليديا ، كما أغدق هداياه على المعابد اليونانية .

وفى عصر بسامتيك الثالث هجم قمبيز ملك الفرس على مصر واستولى

عليها عام ٥٢٥ قبل الميلاد ، وعامل المصريين أسوأ معاملة ، ثم جاء بعده دارا عام ٥٢٢ قبل الميلاد فتظاهر بالتودد اليهم ولكنهم مع ذلك ما علموا بموته حتى أعلنوا الثورة على الفرس ، فسارع اليونان من أهل أثينا الى مساعدة المصريين ، لأن العداوة كانت على أشدها فى ذلك الحين بين اليونان والفرس ، وبالفعل نجح المصريون فى ثورتهم وأعلنوا استقلالهم ، وأجلسوا أحد الأمراء المصريين وهو « خباش » على عرش بلادهم ، وكان ذلك فى عام ٤٨٥ قبل الميلاد ، الا أنه فى العام التالى أتى أكسركسيس ابن دارا فأخمد الثورة وقتل « خباش » ، ولكن المصريين ما بلغتهم أنباء موت اكسركسيس فى عام ٤٦٥ قبل الميلاد حتى أعلنوا الثورة من جديد بزعامة أمير مصرى يدعى « ايناروس » ، وفى هذه المرة كذلك بادر اليونان الى مساندة المصريين فى ثورتهم ، فأرسلت أثينا اليهم أسطولا يتكون من مائتى سفينة حربية ، ومن ثم نجحوا فى طرد الفرس مرة أخرى . ولكن القوات الأثينية ظلت تحتل مصر ، فحاول أرتاكسركسيس ملك الفرس الجديد أن يغرى أسبرطة بغزو أثينا لكى تضطر هذه الى سحب قواتها من مصر ، ولكنه فشل فى ذلك فأرسل الى مصر جيشا قويا هزم المصريين وقتل زعيمهم ايناروس وطرد القوات اليونانية من مصر ثم حاصرها فى جزيرة بروسوبيس وظل يشدد عليها الخناق حتى قضى عليها .

وفى عام ٤٠٤ قبل الميلاد ثارت مصر على حكم الفرس عقب وفاة دارا الثانى بزعامة أحد الأمراء المصريين يدعى « ميرتايوس » الذى نجح فى طرد الفرس واستقل بحكم مصر ست سنوات ولكنه لم يلبث أن راح يتودد الى الفرس فخلعه المصريون وأجلسوا على العرش أميرا آخر يدعى « نفريتس » ، وفى عهده جمع الفرس أسطولا ضخما فى فينيقيا لاستعادة مصر . وكانت أسبرطة فى ذلك الحين تتزعم بلاد اليونان بعد انتصارها فى الحرب البلوبونيسية ، فمدت يد المساعدة لمصر ، وعقدت معها معاهدة ضد الفرس ، كان من نتيجتها احتفاظ مصر باستقلالها طوال عهد « نفريتس » وثلاثة ملوك

آخرين جاءوا بعده ، وكان ثالثهم يدعى « هاكورى » ، وقد تحالفت مصر فى عهده مع « افاجوراس » ملك قبرص اليونانى عام ٣٨٩ قبل الميلاد ، فدفع هذا التحالف الفرس الى عقد الصلح مع أسبرطة ، ومن ثم انضمت أثينا الى تحالف مصر وقبرص ، فلم يجرؤ الفرس على مهاجمة مصر ٠ الا أنه فى عام ٣٩٦ قبل الميلاد عقد الصلح بين البلاد اليونانية كلها وبين الفرس ، فانتهز أرتاكسركسيس ملك الفرس هذه الفرصة وهجم على مصر عام ٣٧٨ قبل الميلاد،



« أرتاكسركسيس »

ولكنه باء بالفشل ، فتركها بضع سنوات ثم عاود هجومه عليها عام ٣٦٤ قبل الميلاد ، وكان يعاونه فى هذه المرة عدد كبير من الجنود اليونان المأجورين ، ولكنه باء بالفشل هذه المرة كذلك ٠ وفى عام ٣٦١ قبل الميلاد كان على عرش مصر الملك « تاخوس » ، وقد انتهز فرصة الصراع داخل الامبراطورية الفارسية فأعد حملة لغزو سوريا ، وقد استعان فى تدريب جيشه بملك أسبرطة أجيسيلاوس ، كما استعان فى تجهيز أسطوله بالقائد البحرى الأثينى خابرياس ٠ ولكن تاخوس استولى على جانب كبير من دخل المعابد المصرية لمواجهة تكاليف الحملة ، فأغضب ذلك المصريين ٠ حتى اذا وصلت الحملة الى فينيقيا

دب الخلاف بين الملك الأسبرطي أجيسيلاوس وتاخوس ، فبادر أجيسيلاوس الى عزله مستندا الى غضب المصريين عليه وأقام في مكانه أميرا مصريا آخر باسم « نكتانيبو الثاني » ، وقد قرر هذا الملك الجديد العدول عن الحملة والعودة الى مصر ، حتى اذا استتب له الأمر فيها تركه أجيسيلاوس وخابرياس فاضطر الى استخدام قائدين آخرين من اليونان لتدريب جيشه ، وكان اليونان قد أصبحوا خبراء في الفنون العسكرية ، ومن ثم أصبحوا عنصرا ضروريا في كل الجيوش التي تخوض ميادين القتال .

وفي عام ٣٥٨ قبل الميلاد ارتقى عرش الفرس أرتاكسركسيس الثالث فاعتزم استعادة مصر وهاجمها بجيشه عام ٣٥٧ قبل الميلاد ، ولكنه فشل في غزوها ، فعاد الى بلاده وظل يترقب حتى واتته الفرصة عام ٣٤٣ عندما ثارت فينيقيا وقبرص على الفرس بزعامة ملك صيدا وبمساندة نكتانيبو الثاني ملك مصر الذي أرسل الى ملك صيدا قوة من الجنود اليونان على رأسها القائد اليوناني منتور ، ولكن هذا القائد خان العهد وانضم بجنوده الى أرتاكسركسيس فزحف بمؤازرة أولئك الخونة على مصر واستولى عليها وأهان المصريين اهانات تفوق اهانات قمبيز ، ومن ذلك الحين استمرت مصر ولاية فارسية حتى غزاها الاسكندر المقدوني عام ٣٣٢ قبل الميلاد .

وهكذا ظل اليونان على صلة بمصر قرونا عديدة يتبادلون التجارة مع أهلها ، ويعملون كمتطوعين في جيشها ، ويحالفونها ضد أعدائها ، ويغترفون بين ذلك من علومها وفنونها وسائر مظاهر حضارتها ، وقد تقاطر أشهر رجال اليونان عليها وتفاخر أعلامهم وعلماؤهم بأنهم تلقوا العلم والحكمة فيها . وقد جاء الى مصر طاليس أول فلاسفة اليونان وأخذ عنها أصول الفلك والحساب والهندسة ، كما أخذ عنها فكرة أن الماء هو أصل عناصر الطبيعة وهي الفكرة التي أقام عليها فلسفته . وجاء الى مصر كذلك فيثاغورس وديمقريطس وهيراقليطس وأناكساجوراس ، وجاء اليها أفلاطون الذي أقام زمنا في

عين شمس واستقى من كهنتها مبادىء الحكمة والفلك ، وكان لا يفتأ يذكرها بالاجلال فى احاديثه ومؤلفاته ولا سيما كتاب « الجمهورية » وكتاب « القوانين » . كما جاء الى مصر المشرع العظيم « سولون » واقتبس بعض قوانينها ، وجاء اليها المؤرخ المشهور هيرودوت وكتب عنها ، فكانت مصر هى النبع الذى استقى منه اليونان أغلب مظاهر حضارتهم . وكان الكثير من معلوماتهم فى الفلك والرياضيات والطب والأدب والفلسفة والفنون والصناعات ماخوذة فى الأصل عنها . فلئن كان للحضارة اليونانية فضل على الحضارة الحديثة ، فقد كان الفضل الأول والأسبق للحضارة المصرية على اليونان والعالم كله .

البحث العاشر

الصراع بين اليونان والفرس

ظلت قوة اليونان تزداد وحضارتهم تزدهر ، فما جاء القرن الخامس قبل الميلاد حتى كانت شهرتهم قد انتشرت فى كل العالم المعروف يومذاك ، وحتى كان نفوذهم قد استقر فيما يحيط ببلادهم من جزر ، وامتد الى صقلية وجنوبى ايطاليا ، وما فتئوا يتطلعون بأنظارهم الى غير ذلك من الأقطار ، فلم تقف مطامعهم عند حد .

وكانت الامبراطورية الفارسية فى ذلك الحين قد بلغت أوج قوتها واتساعها . وكان الفرس قد نزحوا منذ عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد الى المنطقة المسماة اليوم ايران ، وظلوا يتكاثرون ويستفحل أمرهم حتى استولوا على مملكة آشور عام ٦٥٠ قبل الميلاد ؛ ثم استولى ملكهم قورش على ليديا ثم على بابل عام ٥٣٨ قبل الميلاد ، ثم استولى ابنه قمبيز على مصر عام ٥٢٥ قبل الميلاد . حتى اذا جلس دارا الأول على عرش فارس كانت امبراطوريته تضم الامبراطوريتين الحيثية والليدية فى آسيا الصغرى وسوريا ، كما كانت تضم

الامبراطوريتين الأشورية والبابلية فى مصر وميديا والقوقاز ومنطقة قزوين وشمال الهند • فلما شعر الفرس باستفحال أمر اليونان ، ساورهم القلق وخافوا منهم على امبراطوريتهم • ومن ثم نشب الصراع بين الفرس واليونان ، فزحف دارا الأول الى البلقان واستولى على مقدونيا ، ثم أخضع الجزر اليونانية واحدة بعد أخرى • وفى عام ٤٩٩ قبل الميلاد ثار عليه الأيونيون بمساعدة أريتريا وأثينا فهجم على أريتريا واستولى عليها ، ثم هجم على أثينا من البحر على رأس أسطول ضخم ، الا أن الأثينيين هزموه فى موقعة ماراثون عام ٤٩٠ قبل الميلاد ، فتراجع بأسطوله الى آسيا • وفى هذه الأثناء مات دارا الأول فخلفه ابنه اكسركسيس وظل يستعد سنوات عديدة • ثم عاود الهجوم على اليونان وهزمهم فى موقعة ثرموبيلاى عام ٤٨٠ قبل الميلاد ثم أخضع طيبة وبويوتيا ، حتى اذا اقترب من أثينا هرب أهلها فاحتل المدينة وأحرقها ، ثم تبع الأثينيين الى سلاميس فخرجوا لمقاتلته بقيادة ثيموستكليس وتمكنوا من تحطيم أسطوله فتراجع الى تساليا ، وهناك ترك الجانب الأكبر من جيشه تحت قيادة ماردونيوس وعبر الدردنيل الى سارديس بعد أن هلك الكثير من رجاله • أما الجيش الذى بقى فى تساليا فقد استمر يقوم بالحملات العدوانية على اليونان عاما كاملا حتى هزمه اليونان هزيمة نهائية فى موقعة بلاتيا عام ٤٧٩ قبل الميلاد • وحين رأت المدن الأيونية فى آسيا الصغرى ما حل بالفرس بدأت تجاهر بالتمرد عليهم ، فما جاء عام ٤٤٩ حتى تحررت من ربقتهم ، ومنذ ذلك الحين لم تقم فارس بأية محاولة أخرى لغزو اليونان •

ولما كانت أثينا هى التى تزعمت المدن اليونانية وتصدت للفرس وردت حملاتهم وهزمتهم شر هزيمة ، فقد تملكها الزهو وطمحت الى السيطرة على غيرها من المدن اليونانية • ولكنها اصطدمت وهى تحاول ذلك بمدينة يونانية أخرى كانت تضاهيها فى مكانتها وتتفوق عليها فى قوتها الحربية وهى أسبرطة ، فنشبت بين المدينتين حرب طويلة تعرف بحرب البلوبونيز وقد

استمرت قرابة ثلاثين عاما ، سطع خلالها نجم أثينا فى بادىء الأمر ، ثم خبا وسطع فى مكانه نجم أسبرطة ، ثم قامت طيبة تنافس أسبرطة وتبزها . وقد أدت تلك الحرب الطويلة الأمد الى استنزاف قوة هذه المدن المتنازعة جميعا ، بينما بزغ نجم ولاية أخرى فى شمال اليونان هى مقدونيا ، التى ظلت خاملة الذكر متخلفة فى الحضارة عن سواها من المدن اليونانية ، حتى جلس على



« ثيمو ستوكليس »

عرشها عام ٣٥٦ قبل الميلاد ملك قوى يدعى فيليب ، كان قد نشأ فى احدى المدن اليونانية الزاهرة وهى طيبة ، وتلقى فيها العلم ، ورأى ما فيها من مظاهر الحضارة ، وتدرب على ما أتقنه جنودها من فنون الحرب ، فعمل على ترقية بلاده وتقويتها ، ومن ثم أدخل اليها كثيرا من مظاهر المدنية وكون لها جيشا عظيما اجتهد فى تدريبه وتزويده بالأسلحة وأدوات الحصار ، حتى اذا استكمل استعداده ، راح يستولى على مدن اليونان الشمالية ، وواصل زحفه

نحو الجنوب • الا أن الأثينيين والأسبرطيين والأخائيين حالوا دون تقدمه • وقد بادر ديموستينوس حاكم أثينا الى عقد تحالف ضده مع مدن بلوبونيسيا ويوبويا وبيزنطة • ولكن فيليب سحق جيوش أثينا وحلفائها فى خايرونيا عام ٣٣٨ قبل الميلاد ، ثم دعا الى عقد مؤتمر فى كورنثوس اشتركت فيه جميع المدن اليونانية ـ ما عدا أسبرطة ـ وكونت « الحلف الهيلينى » برئاسة فيليب • وفى عام ٣٣٨ قبل الميلاد أعلن هذا الحلف الحرب على الامبراطورية الفارسية التى كانت تشكل خطرا عظيما على اليونان • وقد بدأ فيليب يشن



« فيليب الثانى »

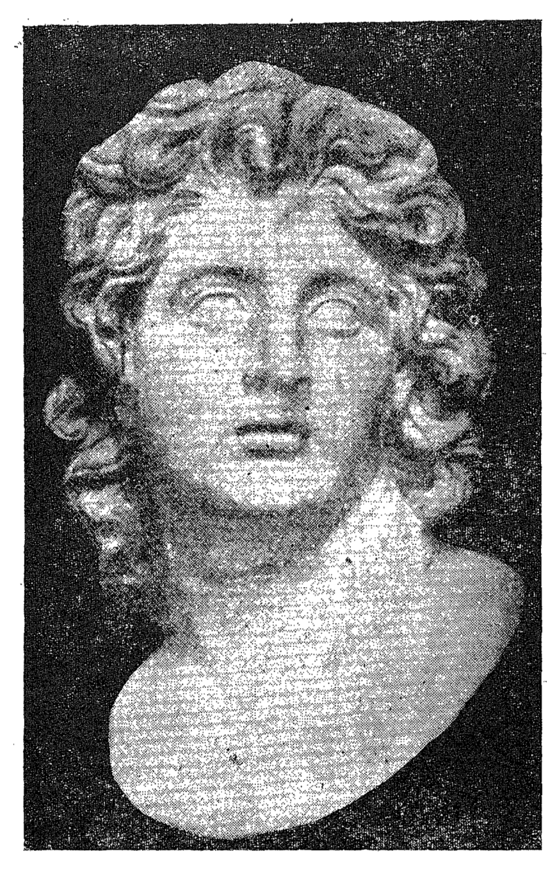
هجومه عليها عام ٣٣٦ قبل الميلاد ولكنه مات مقتولا بتحريض من زوجته أوليمبيا ، لأنه كان قد طلقها منذ مدة وجيزة بسبب ما قاساه من شرورها ، وتزوج سيدة أخرى تدعى كليوبترا وأنجب منها طفلا ، فلجأت أوليمبيا الى أخيها ملك ايبيروس ودبرت مؤامرة لقتل فيليب ، حتى اذا تمكنت من قتله ، جلس ابنه منها على العرش ، وهو الاسكندر الثالث الذى اشتهر بالاسكندر الأكبر • وعندئذ عادت أوليمبيا الى مقدونيا وقتلت ابن كليوبترا الطفل وهو بين ذراعيها ، ثم أطبقت يديها على عنقها وخنقتها ، وأصبحت هى صاحبة الكلمة العليا فى البلاد الى جانب ابنها الملك الشاب •

البحث الحادي عشر

امبراطورية الاسكندر الأكبر

وقد كان الاسكندر شابا ذكيا جسورا جمع بين الدهاء والجرأة ، فأصبح من أقدر وأشهر رجال التاريخ • وقد تلقى تعليمه وتربيته على يدى الفيلسوف العظيم أرسنطو ، فكان لذلك ولا ريب أثر عظيم فى تكوين شخصيته وازدهار عبقريته • وكان حين ارتقى عرش مقدونيا لا يتجاوز العشرين من عمره ،ولذلك استخف به اليونان وظنوا أن الفرصة قد سنحت للتخلص من سيطرة مقدونيا عليهم ، فأعلنت المدن اليونانية التمرد وعلى رأسها طيبة • بيد أن الملك الشاب كان حازما وصارما من أول لحظة ، فبادر الى اخماد الفتنة فى مهدها وانتقم ممن أشعلوها إنتقاما رهيبا ، وقد جعل من طيبة عبرة لكل المدن اليونانية بما أنزله عليها من عقاب مريع ، اذ دكها دكا ودمرها تدميرا وباع ثلاثين الفا من أهلها فى أسواق الرقيق • ومن ثم خافته كل أنحاء اليونان وخضعت له ، واجتمعت كلمتها تحت لوائه • فما استتب له الأمر حتى شرع يستعد لتنفيذ الخطة التى كان أبوه قد وضعها قبل موته للقضاء على الامبراطورية الفارسية ، فجمع جيشا

عظيما من كل المدن اليونانية ، ولم تمض سنتان على ارتقائه العرش حتى خرج لملاقاة الفرس . واذ كان يدرك أن السر فى قوتهم هو سيادتهم البحرية ، قرر أن يقضى على هذه السيادة بالاستيلاء على قواعد أساطيلهم ، فترك أنتيبا تروس ليحكم بلاد اليونان فى غيبته ، وعبر البحر فى ربيع عام ٣٣٤ قبل الميلاد على رأس جيش يتألف من اثنين وثلاثين ألفا من المشاة وخمسة آلاف من الفرسان ، يشد أزره أسطول يتألف من مائة وستين سفينة ، ونزل فى آسيا الصغرى بالقرب من مدينة طروادة ، ثم سار فى محاذاة الساحل واستولى على موانيه واحدا بعد الآخر حتى يدمر كل القواعد البحرية الفارسية ، ثم التحم بالفرس على ضفاف نهر جرانيكوس وهزمهم هزيمة منكرة ، ثم استولى على سارديس وافسوس وميليتوس وهاليكارنسوس ، ثم تقدم نحو الشرق حتى وصل الى اسوس فى كيليكيا ، وكان ينتظره هناك جيش فارسى عظيم يقوده امبراطور الفرس دارا الثالث ، فالتحم به الاسكندر فى معركة عنيفة هزمه فيها هزيمة منكرة ، وقد هرب دارا الى بابل تاركا كل شىء حتى حريمه فى يد الاسكندر ، ثم أرسل الى الاسكندر يطلب منه الصلح ويبدى استعداده لأن يتنازل له عن كل ممتلكاته الآسيوية الواقعة غرب الفرات ، ولكن الاسكندر — وقد صمم على القضاء على دولة الفرس — رفض الصلح وواصل زحفه الى سوريا وفينيقيا ، فلم يصادف أى مقاومة الا فى مدينة صور التى تصدت له فحاصرها سبعة أشهر ثم فتحها عنوة ونهبها وهدمها وذبح معظم أهلها وباع الباقين فى أسواق الرقيق . وبذلك أصبح الطريق مفتوحا أمامه الى مصر التى كانت فى ذلك الحين فى قبضة الفرس ، فزحف اليها عام ٣٣٢ قبل الميلاد ، وكان الفرس قد سحبوا حاميتهم منها لصد جيوشه فى الشمال ، فدخلها دون مقاومة ، اذ أدرك حاكمها الفارسى « مازاكيس » أنه لا جدوى من المقاومة بعد رحيل الحامية الفارسية ، كما لم يكن لمصر فى ذلك الحين — بسبب الاحتلال الفارسى — أى حامية وطنية تدافع عنها ، ومن ثم سيطر الاسكندر على مصر . حتى اذا استتب له الأ. منها غادرها عام ٣٣١ قبل الميلاد لمواصلة الزحف على البقية الباقية من



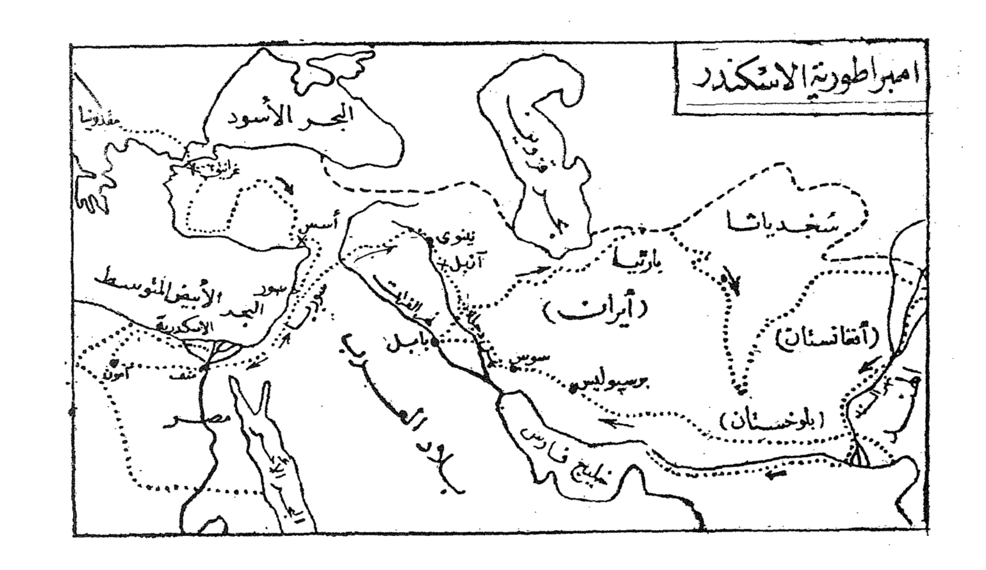
« الاسكندر الأكبر »

الامبراطورية الفارسية ، فيمم شرقا نحو شبه جزيرة سينا ، ثم اخترق فلسطين وسوريا وعبر نهر دجلة بالقرب من موقع مدينة نينوى ، ثم التحم بالجيوش الفارسية التي كان يقودها دارا الثالث عند « جاوجاميلا » ، فسحقها سحقـا ، وهرب دارا الى ميديا ، وتقدم الاسكندر الى « أربلا » فاخضعها واستولى على ما فيها من كنوز عظيمة ، ثم استولى على بابل ، ثم توغل في بلاد الفرس ذاتها واستولى على عاصمتها « سوسا » ، كما استولى على سائر مدنها ، وحين قاومته « برسيبوليس » نهبها ثم أحرقها • وبذلك قضى الاسكندر قضاءا نهائيا عـلى



« موقعة اسوس بين الاسكندر ودارا الثالث »

دولة الفرس • ولكنه لم تقف مطامعه عند هذا الحد وانما أراد الاستيلاء على آسيا كلها ، فزحف الى ميديا وراح يتعقب دارا الذى ظل يفر من وجهه حتى لقى حتفه • ثم تقدم الاسكندر الى افغانستان واستولى عليها ، ثم اجتاز جبال هيمالايا وزحف الى الهند معتزما التوغل فيها ، ولكن جنوده كانوا قد نال منهم الارهاق فاضطر أن يسير فى محاذاة نهر السند حتى بلغ الشاطىء المطل على المحيط الهندى ، ومن هناك اتجه غربا فى طريق العودة الى بابل واتخذهـا عاصمة له ، واستقر هناك ليشرع فى تنظيم امبراطوريته المترامية الأطراف ، وقد وضع الخطة لمرحلة تالية يستولى بها على البلاد الواقعة غربى حوض البحر الأبيض المتوسط • ولكن الأقدار لم تشأ أن تحقق آماله الواسعة ، اذ لم


امبراطورية الاسكندر
البحر الأسود
مقدونيا
أسس
نينوى
آربل
شغدياثا
بارثيا
(أيران)
(أفغانستان)
البحر الأبيض المتوسط
الاسكندرية
سورية
بابل
سوس
برسيبوليس
(بلوخستان)
مصر
بلاد العرب
خليج فارس

يلبث أن أصيب فى بابل بحمى شديدة أودت بحياته عام ٣٢٣ قبل الميلاد ، ولم يكن قد جاوز الثالثة والثلاثين من عمره ٠

وقد كان مما يهدف اليه الاسكندر فى فتوحاته توحيد البلاد الشرقية والغربية تحت سلطانه وصبغها جميعا بالصبغة اليونانية ٠ وكان من مظاهر ذلك أنه حين كان فى فارس أقام وليمة عرس كبرى تزوج فيها من ابنة دارا ملك الفرس مع أنه كانت لديه من قبل زوجة آسيوية أخرى هى روكسانا ابنة ملك سمرقند ٠ كما عقد فى هذه الوليمة زواج ثمانين من ضباطه وعشرة آلاف من جنوده على نساء فارسيات ٠ وقد نشر الاسكندر الحضارة اليونانية فى البلاد التى أخضعها على أوسع نطاق ، وأنشأ المدن القائمة على الأنظمة اليونانية فى كل أنحائها ولا سيما فى آسيا الصغرى وسوريا وبلاد النهرين ومصر وفارس وما بعدها حتى حدود الهند ٠ وقد أطلق اسم الاسكندرية على كل المدن التى أنشأها ، ولكن هذا الاسم ناله فيما بعد كثير من التحوير فى كثير من البلاد على مقتضى اللغات المحلية فيها ، فتحور مثلا الى الاسكندرونة فى سوريا، والى سيكندر باد فى الهند ٠ ولكى يجعل الاسكندر من العالم وحدة واحدة تخضع لسلطانه أصدر أمره الى كل رعاياه بأن يعتبروه الها تجب له العبادة والطاعة من الجميع ٠

وبموت الاسكندر عام ٣٢٣ قبل الميلاد يبدأ فى العالم اليونانى عصر اتفق المؤرخون على تسميته بالعصر الهيلينستى ، وقد استمر الى عام ٣١ قبل الميلاد ، وهو تاريخ موقعة أكتيوم التى قضى فيها الرومان على آخر معقل من معاقل الامبراطورية اليونانية التى أنشأها الاسكندر وأورثها لخلفائه من بعده ٠ وقد تدفقت أفواج المهاجرين اليونان فى ذلك العصر على البلاد التى غزاها الاسكندر حاملين معهم معتقداتهم وتقاليدهم وعاداتهم وثقافتهم وسائر مظاهر حضارتهم ، فكان لها أكبر الأثر فى كل أنحاء العالم القديم ، ولا سيما فى ذلك العصر الهيلينستى ٠ وقد استمرت الحضارة اليونانية القديمة طوال ذلك العصر

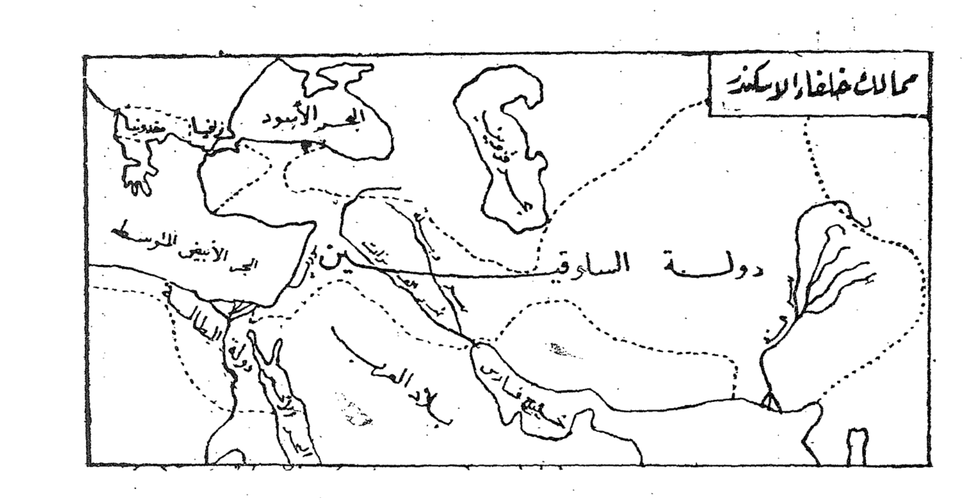
محتفظة بجوهرها ، ولكنها اتخذت صـــورة جديدة تأثرت فيها بالحضارات الشرقية ، واتخذت فى ذلك الوقت اطارا عالميا ، ينتهج نهجا واحدا فى التفكير، ويستخدم لغة يونانية واحدة ، هى لغة أثينا ، التى أصبحت تعرف باللغـــة الهيلينستية ، وأصبح يتكلم بها الجميع فى كل أنحاء العالم الهيلينستى . وقد أوجد التفكير المشترك واللغة المشتركة حضارة مشتركة ، عديدة المميزات ، بعيدة الأثر . وقد ظل أثرها باقيا فى كل شعوب العالم زمنا طويلا .

البحث الثاني عشر

خلفاء الاسكندر الأكبر

كان موت الاسكندر كارثة نزلت بامبراطوريته العظيمة ، لأنه كان من العسير أن تظل متحدة متماسكة الا فى ظل شخصيته القوية وادارته الحازمة • ولم يكن الاسكندر قد ترك وصية بمن يخلفه ، كما أنه لم يترك وريثا سوى الجنين الذى كان عند موته لا يزال فى أحشاء زوجته الآسيوية روكسانا • وكان للاسكندر أخ يدعى أرهيدايوس ، ولكنه لم يكن شقيقه وانما كان ابنا غير شرعى للملك فيليب أنجبه من احدى محظياته ، وكان ضعيف العقل مصابا بالصرع •

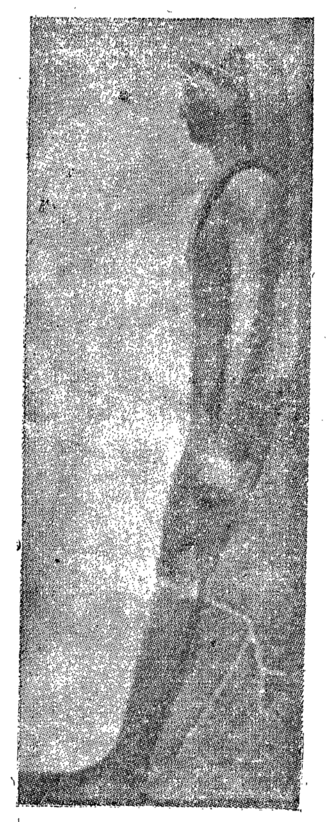
ولما كانت المناداة بالملك وفقا للتقاليد المقدونية من حقوق الجيش ، فقد عقد قواد الاسكندر مؤتمرا فى بابل • وقد أبدى الضباط رغبتهم فى المناداة بابن الاسكندر من روكسانا ملكا • ولكن الجنود فضلوا أن يكون الملك مقدونيا وأبدوا رغبتهم فى أن يجلس على العرش أرهيدايوس أخو الاسكندر • ومن ثم اختلفت الآراء اختلافا شديدا كاد يؤدى الى أوخم العواقب لولا أن اتفق الجميع


ممالك خلفاء الاسكندر
البحر الأسود
البحر الأبيض المتوسط
دولة السلوقيين
دولة البطالسة
بلاد العرب
خليج فارس

أخيرا على حل وسط هو ارتقاء أرهيدايوس العـــرش تحت اسم فيليب ، والاعتراف فى ذات الوقت بحق جنين روكسانا اذا كان ذكرا فى أن يكون شريكا لفيليب على العرش · وبذلك أمكن الاحتفاظ بوحدة الامبراطورية · ولكنها لم تكن الا وحدة شكلية ، اذ قرر مؤتمر بابل توزيع ولايات الامبراطورية بين قواد الجيش ليحكموها بصفتهم ولاة من قبل الأسرة المالكة المقدونية ، مما أدى الى تقسيم الامبراطورية فعلا بين أولئك القواد · وكان من مقتضى هذا التقسيم أن يحكم بطليموس بن لاجوس فى مصر ، ولاوميدون فى سوريا ، وميناندروس فى ليديا ، وليوناتوس فى فريجيا ، وليسيماخوس فى تراقيا ، وفيلوتاس فى كيليكيا ، وكاسا ندروس فى كاريا ، وبايثون فى ميديا الكبرى ، وأرثوباتيس فى ميديا الصغـــرى ، وكوينتـــوس فى سوسيانا ، وأرخون فى بـــابل ، وأركيسيلاوس فى بلاد النهرين ، وأنتيجونوس فى فريجيا الـكبرى وبامفيليا وليكاؤنيا وليكيا ، ويومينيس فى أفلاجونيا وكاباروكيا · أما بلاد اليونان فقد تقرر أن تبقى مدنها خاضعة لمقدونيـــا وموحدة فى عصـــبة كورنثوس تحت سيطرة أنتيباتروس ·

وقد قرر مؤتمر بابل أن يكون برديكاس خيليارخيس وصيا على الملكين ، ويتضمن ذلك أن يكون هو القائد الأعلى للجيش والمهيمن على شئون الامبراطورية كلها · وقرر أن يكون مساعده فى ذلك ملياجروس · كما قرر أن يكون كراتيروس وصيا على الملكين وحاملا لأختام الدولة ، أى يكون بمثابة رئيس الوزراء ·

وقد حدث عندما بلغت بلاد اليونان أنباء وفـــاة الاسكنـــدر أن هبت لاستعادة حريتها من مقدونيا ، فسارع كراتيروس الى هناك لاخضاع المـــدن الثائرة ، بينما بقى برديكاس فى بابل ، ولم تلبث روكسانا أن انجبت ولـــدا فنادى به الجيش ملكا مع فيليب باسم الاسكندر الرابع · ووضع برديكاس الملكين تحت سيطرته ، وطلب الى جميع القواد الذين أسند اليهم مؤتمر بابل حكم الولايات أن يطيعوا أوامره باسم التاج · الا أنهم غادروا بابل وقد اعتزم



« الاسكندر الرابع »

كل منهم الاستقلال بولايته · وسرعان ما نشب الصراع المسلح بينهم منذ عام ٣٢٢ قبل الميلاد واستمر أكثر من أربعين عاما ، اذ أراد كل منهم أن يستأثر بالسلطان وحده · ومن ثم تمزقت امبراطورية الاسكندر ، ولم تمض أعـــوام قليلة حتى فنيت عائلته كلها : فقد سارعت زوجته روكسانا الى قتل زوجته الأخرى ابنة ملك الفرس ، ثم قتلت هى مع ابنها الاسكندر الرابع · وكذلك قتل أرهيدايوس أخو الاسكندر · وأما أوليمبيا أم الاسكندر فقد قتلت فى مقدونيا بعد أن قامت بقتل كثيرين ·

ولم تلبث أن برزت فى امبراطورية الاسكندر ثلاث شخصيات قوية هى شخصية أنتيجونوس الذى كان يحكم مقدونيا وممتلكات اليونان فى أوروبا والجزء الغربى من آسيا الصغرى ، وشخصية سيليوكوس ، أو سيلوق ، الذى كان يحكم سوريا وشطرا كبيرا من الامبراطورية الفارسية القديمة يمتد الى السند شرقا والى ليديا غربا ، وشخصية بطليموس الذى كان يحـــكم مصر وشمال أفريقيا ، وقد أسس فى مصر دولة البطالمة ·

الباب الثانى



ظلت مصر تحت حكم اليونان ثلاثمائة عام ، خضعت أثناءها لبطليموس وخلفائه الذين ظهروا بمظهر الفراعنة وتمثلوا بهم ، ومع ذلك اعتبروا أنفسهم مستعمرين للبلاد ، واعتبروا أهلها خاضعين لهم بحكم الفتح ، وعاملوهم معاملة العبيد . وفى حين كان رعاياهم من اليونان يتمتعون بكل مظاهر الطبقة الممتازة ، ويمارسون كل حقوق المواطنين الأحرار ، ويتمتعون بالثروة والجاه، ويشغلون أرفع المناصب فى البلاد ، ويزاولون عاداتهم وتقاليد حضارتهم كأنهم فى بلادهم ، كان المصريون يعانون الهوان والحرمان والفقر ، ولكنهم احتفظوا مع ذلك بكثير من عناصر شخصيتهم الأصيلة ، فلم تتمكن مظاهر الحضارة اليونانية من طمس معالم حضارتهم التى ظلت مستقلة متميزة .

لذلك نتكلم فى الفصلين التاليين عن ملوك مصر فى العصر اليونانى ، ثم عن مظاهر الحضارة فى ذلك العصر .

الفصل الأول

ملوك مصر في العصر اليوناني

الاسكندر الأكبر

دخل الاسكندر مصر عام ٣٣٢ قبل الميلاد ، وقد بلغ بيلوزيون على الحدود الشرقية فى نوفمبر من ذلك العام ، فلم يصادف أى مقاومة ، اذ أدرك الوالى الفارسى مازاكس أنه لا جدوى من المقاومة ، لأن الحامية الفارسية التى تحتل مصر كانت قد رحلت عنها لنجدة ملك الفرس فى آسيا ، ولأن المصريين كانوا بغير جيش وطنى يدافع عنهم ، فضلا عن أنهم كانوا يكرهون الفرس كراهية شديدة بسبب ما لقوه على أيديهم من مظالم ومن مذلة وهوان ، ولعلهم كذلك ظنوا أن اليونان قد جاءوهم منقذين وحلفاء ضد الفرس كما فعلوا كثيرا من قبل ، غير عالمين أنهم جاءوا هذه المرة غزاة مستعمرين ليفرضوا سيادتهم عليهم ويقيموا مكان الحكم الفارسى حكما أشد بأسا وأطول بقاء . وقد استطاع

المصريون على الدوام عقب كل غزوة أجنبية تجتاح بلادهم أن يقيموا عليهم ملكا مصريا يحتفظ لهم بكرامتهم ويحافظ على ديانتهم ولغتهم وسائر مظاهر حضارتهم المجيدة وتقاليدهم التليدة • ولكنهم منذ قدوم الاسكندر ظلوا خاضعين ما يقرب من عشرة قرون لملوك أجانب من اليونان ثم من الرومان •

وقد وصل الاسكندر الى بيلوزيون على رأس جيش يتألف من نحو أربعين الف مقاتل ، يحرس جناحه الأيمن في البحر الأبيض المتوسط أسطول ضخم • وقد تقدم الجيش عبر الصحراء الشرقية الى هليوبوليس ثم واصل السير الى منف • بينما سار الاسطول في محاذاة الساحل فوصل الى منف عن طريق الفرع الشرقي للنيل • وبذلك احتل الاسكندر البلاد وطرد الفرس منها •

واذ كان من أهم أسباب سخط المصريين على الفرس أنهم انتهكوا حرمة ديانتهم ، كان أول ما اهتم به الاسكندر عندما وصل الى منف ـ كى يستميل اليه المصريين ويسترضيهم ـ أن أظهر احترامه للديانة المصرية ، فقدم القرابين للالهين بتاح وأبيس ، كما رسم نفسه في معبد بتاح فرعونا على مصر طبقا للطقوس المصرية ، واتخذ لنفسه بعض الألقاب الفرعونية وهى «حوريس» و « سارع » أى ابن رع ، و « نسوت بيت » أى ملك مصر العليا والسفلى • ولكى يكتسب لنفسه شرعية في نظر المصريين بصفته فرعونا لهم ، أراد أن يدخل في روعهم أنه ينتسب الى الاله آمون وأنه سليل أسرة فرعونية سابقة ، فأوعز الى الكهنة أن يشيعوا بين المصريين قصة فحواها أنه حين طرد الفرس « نكتانيبو الثاني » آخر الفراعنة المصريين هرب الى مقدونيا وأغرم بملكتها أوليمبيا ، وأنجب منها ـ وهو متقمص صورة الاله آمون ـ ولدا هو الاسكندر ، قائلا لها « افرحي أيتها السيدة لأنك حملت منى ابنا سيحكم العالم كله » •

ولئن كان الاسكندر قد أظهر احترامه للديانة المصرية ، فانه لم ينس أنه

رافع لواء الحضارة اليونانية وحامى حمى اليونان ، ومن ثم أقام فى منف حفلا رياضيا وموسيقيا على النمط اليونانى ، حضره رجال جيشه وكثير من المستوطنين اليونان فى منف ونقراطيس ، وأحياه بعض مشاهير الموسيقيين والممثلين فى العالم اليونانى .

وبعد ذلك ركب الاسكندر فرع النيل الكانوبى حتى اذا بلغ نهايته استلفتت نظره رقعة من الأرض تتوسط بين البحر الأبيض وبحيرة مريوط والمصب الغربى للنيل ، وكانت تقوم فيها قرية تسمى راكوتيس ، فقرر أن يقيم فى هذا المكان مدينة تحمل اسمه ، وتكون بمثابة قاعدة بحرية وميناء تجارى ، لأنه كان بالقرب من شاطئها جزيرة صغيرة تسمى جزيرة فاروس ، وقد فطن الى أنه اذا أقام جسرا بين الشاطىء والجزيرة نشأ عن ذلك حوضان طبيعيان للسفن ، كما فطن الى أن بحيرة مريوط الواقعة فى الجانب الآخر تصلح مرفأ للسفن الآتية من داخل البلاد عن طريق النيل ، ومن ثم كلف المهندس الشهير « دينوكراتيس » بوضع تصميم للمدينة والشروع فى بنائها ، فرسم ذلك المهندس حدود المدينة فى ذلك المكان على رقعة مستديرة يبلغ محيطها نحو أربعة فراسخ ، وقد طبق فى تصميمها قواعد تخطيط المدن التى وضعها هيبوداموس الميليتوسى فى القرن الخامس قبل الميلاد ، فقسمها الى أربعة أقسام يفصل بعضها عن البعض الآخر طريقان عموديان يتقاطعان عند محور الدائرة ، وخطط شوارعها بنظام هندسى دقيق . فكانت تلك هى مدينة الاسكندرية ، التى أصبحت بعد ذلك قلب العالم المتحضر ومركز المدنية والثقافة ما يقرب من ألف عام . وقد أقام عليها الاسكندر قبل مغادرته مصر حاكما يديرها هو الأمير اليونانى اقليومينيس اللوكراتينى ، فتعهدها بالرعاية ، وما فتئت تتسع وتزدهر بعد ذلك حتى أصبحت عروس البحر الأبيض المتوسط .

وبعد ذلك أخذ الاسكندر جزءا من جيشه ونفرا من صحبه واتجه غربا فى محاذاة الشاطىء حتى وصل الى بارايتونيون التى كانت تقع فى مكان مرسى

مطروح الحالية ، ومن هناك انحرف جنوبا وراح يضرب فى بطن الصحراء قاصدا واحة سيوة حيث كان يقوم معبد شهير هو معبد آمون ، وقد قاد الاسكندر الى هذا المعبد اعتقاده فى نفسه بأنه اله ابن اله ، اذ كانت أمه أوليمبيا تزعم أنها لم تنجبه من الملك فيليب وانما من كبير الآلهة زيوس ، ولما كان اليونان يعتقدون أن آمون هو زيوس ، فقد كان الاسكندر يعتقد أنه ابن آمون • وقد أراد الاسكندر بزيارته لمعبد آمون أن يبرز هذه الحقيقة أمام العالم كله حتى يخضع له ويعترف بسيادته عليه ، لا باعتباره فاتحا تجب له



« الاله زيوس آمون »

الطاعة فحسب ، وانما باعتباره الها تجب له العبادة والخشوع • وقد قطع الاسكندر الطريق من بارايتونيون الى سيوة فى اثنى عشر يوما حافلة بالمصاعب والأخطار ، حتى اذا بلغ معبد آمون استقبله كبير الكهنة استقبال الملوك باعتباره فرعون مصر ، ودعاه وحده الى دخول قدس الأقداس ، وهناك وجه الاسكندر الى الاله الذى كان يعتبره أباه أسئلة بصدد بعض الأمور التى كانت تشغل فكره ، وتلقى منه الاجابة عن أسئلته ، فلما خرج الى صحبه قال لهم أنه سمع ما سره ، ولكنه لم يبح بشىء من أسئلته أو الاجابة عنها • ومنذ ذلك الحين حرص الاسكندر على تلقيب نفسه بابن آمون ، وأمر بتزيين صورته

على النقود التى سكها بقرنى الكبش المقدس الذى كان رمزا لذلك الاله • ومن ثم ظلت ذكرى الاسكندر مرتبطة بهذه الصورة على مدى الأجيال ، حتى لقد عرفه العرب فيما بعد باسم « الاسكندر ذي القرنين » •



« الاسكندر الأكبر فى حضرة الاله آمون »

ثم عاد الاسكندر من سيوة الى منف ، وهناك أقام حفلا يونانيا ثانيا اجلالا لزيوس • واستقبل بعد ذلك البعثات التى وفدت إليه من المدن اليونانية كما تلقى الامدادات من مقدونيا •

وقد عمل الاسكندر أثناء اقامته فى مصر على التودد الى المصريين وارضاء

عاطفتهم الدينية على الخصوص ، فاعترف بالديانة المصرية ديانة رسمية للبلاد، وانتهج خطة الفراعنة الأقدمين في انشاء المعابد الجديدة واضافة مبان أخرى الى المعابد القائمة ، فوضع أساس معبد ايزيس بالاسكندرية ، وأقام أمام قدس الأقداس في معبد الاقصر هيكلا صغيرا على النمط المصرى في عمارته وزخرفته ، أهداه للآلهة آمون وموت وخنسو ، وزينه بصورة تمثل الاسكندر في حضرة هذه الآلهة ، كما أصلح الواجهة الغربية في معبد الكرنك .



« الاسكندر ذو القرنين »

وقبل أن يبرح الاسكندر مصر ، قام بتنظيم البلاد تنظيما دقيقا . ولما كان المصريون قد رحبوا به اذ توهموا أنه ما جاءهم الا ليخلصهم من ربقة الفرس ، لم ير داعيا للخوف منهم أو اتخاذ التدابير التى تكفل اخضاعهم بالقوة ، فمنحهم استقلالا داخليا وأقام عليهم حاكمين مصريين هما بيتيسيس ودولواسبيس ، ووضع الأقاليم المتاخمة للدلتا تحت اشراف حاكمين يونانيين هما أبولونيوس خارينوس وكليومينيس النقراطيسى . وجعل الادارة المالية

كلها فى قبضة هذا الأخير ، كما عهد اليه بالاشراف على انشاء الاسكندرية • وقد توخى الاسكندر فى هذا النظام توزيع السلطة بين أشخاص عديدين حتى يتفادى استبداد فرد واحد بالسلطة كلها وتطلعه الى الاستقلال عن الامبراطورية كما توخى الاسكندر فى هذا النظام ارضاء المصريين بابقاء جانب من السلطة فى أيديهم • الا أنه سرعان ما خيبت الحوادث ظن الاسكندر ، اذ لم تلبث السلطة كلها أن تركزت فى يد الحاكم اليونانى كليومينيس ، وقد سيطر بدهائه على الحكام الآخرين ، فما مضت بضع سنوات حتى كان هو الحاكم المطلق فى مصر • وقد انتهج أساليب الطغيان والابتزاز والنهب لتوطيد سلطته وتضخيم ثروته • وقد جاء فى كتاب « الاقتصاد » الذى ينسبونه الى أرسطو أنه « عندما أصدر الاسكندر أمره الى كليومينيس بتشييد مدينة الاسكندرية ، ذهب الى مدينة كانوب وأخبر كهنتها وأثرياءها أنه اعتزم أن ينقل سوقهم الى المدينة الجديدة ، فجمعوا مبلغا كبيرا من المال وأعطوه اياه لكى يحتفظوا بسوقهم ، فأخذه ورحل عنهم ، ولكنه لم يلبث أن عاد اليهم بعد قليل ، وطلب منهم مبلغا من المال أكبر من الأول زاعما أن هذا المبلغ يعادل الفرق بين وجود السوق فى بلدهم ووجوده فى الاسكندرية ، فلما أبدوا له أنهم عاجزون عن دفع هـذا المبلغ أخرجهم جميعا من مدينتهم ونقلهم الى المدينة الجديدة • وحدث فى مرة أخرى أنه جمع الكهنة وذكر لهم أن نفقات المعابد فى البلاد باهظة جدا وأنه مضطر الى اغلاق بعض المعابد وطرد كهنتها ، فلم يجد الكهنة بدا من أن يعطوه مبلغا كبيرا من المال كى لا يفعل ذلك » • ولعل أبلغ دليل على طغيان كليومينيس وتعسفه فى ابتزاز الأموال أنه جمع لنفسه ثروة تقدر بثمانية آلاف تالنت أى ما يزيد على مليون وستمائة ألف جنيه ، بينما كان أغنى رجل فى العـالم اليونانى لا تزيد ثروته فى ذلك الحين عن ثلاثين ألف جنيه •

وقد غادر الاسكندر مصر فى ربيع عام ٣٣١ ليواصل فتوحاته فى آسيا ، حتى اذا مات فى بابل عام ٣٢٣ قبل الميلاد ، قام بطليموس الأول بنقل جثته

الى مصر حسب وصيته ودفنها فى منف ، بعد أن وضعها فى تابوت من الذهب ثم نقلها الى الاسكندرية حيث دفنها فى مقبرة لا يزال موضعها غير معروف الى اليوم ٠

بطليموس الأول

وبعد وفاة الاسكندر وتوزيع ممتلكاته بين قواده فى مؤتمر بابل ، كانت مصر من نصيب بطليموس ابن لاجوس ، الذى كان رفيقا للاسكندر فى طفولته وقد تربى معه فى قصر أبيه الملك فيليب المقدونى ، ثم كان أحد القواد الذين لازموه وأخلصوا له واشتركوا معه فى كل غزواته ، كما كان أحد السبعة المقربين اليه والمخصصين لحراسته ٠ وحين أمر الاسكندر رفاقه باتخاذ زوجات فارسيات تزوج بطليموس من أرتاكاما ابنة الوالى الفارسى أرتابازوس ، ولكنه تركها بعد موت الاسكندر وتزوج من يوريديكى ابنة أنتيباتروس حاكم مقدونيا ثم تزوج معها امرأة أخرى تدعى برينيكى ٠ كما كان له عدد كبير من الحظيات اشتهرت منهن امرأة أثينية تدعى تاييس ٠

وقد جاء بطليموس الى مصر فى عام ٣٢٣ قبل الميلاد ليحكمها باعتباره واليا يتبع التاج المقدونى ٠ أما كليومينيس الذى كان يحكم مصر قبل مجيئه فقد أصبح مساعدا له بعد أن كان صاحب الكلمة العليا فى البلاد ٠ ثم لم يلبث بطليموس أن أعدمه ليتخلص من منافسته ٠

وقد عمل بطليموس الأول على الاستقلال عن امبراطورية مقدونيا ٠ كما تطلع الى القيام بالدور الأول فى العالم الهيلينستى والسيطرة عليه فى الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية ، ومن ثم قام بتكوين جيش عظيم يكفل له تحقيق هذه الغاية ، كما يكفل له النصر فى صراعه مع غيره من خلفاء الاسكندر فى الحروب التى نشبت بينهم ٠ وقد اعتمد فى تكوين هذا الجيش على اليونان الذين تدفقوا على مصر كالسيل المنهمر ٠ كما اعتمد عليهم فى

ادارة البلاد ، فعهد اليهم بالمناصب الكبرى ، وكفل لهم مركزا ممتازا ، ومن ثم أصبحوا يمثلون السادة ، ويؤلفون الطبقة الحاكمة ، وأصبحت مصر أمام العالم دولة يونانية • أما المصريون فقد عاملهم بطليموس باعتبارهم شـــعبا مهزوما مغلوبا على أمره ، فأبعدهم عن الوظائف الهامة ، كما أنه تجنب تجنيـــدهم أو



« بطليموس الأول »

الاستعانة بهم فى أى عمل من الأعمال الحربية ، فأصبحوا يمثلون الطبقـــة الكادحة التى تتألف من العمال الزراعيين والصناعيين وصغار الكتبة والموظفين، فكان ذلك مثارا للألم الذى يحز فى نفوسهم ولا يفتأ يدفعهم الى الثـــورة ما وجدوا الى ذلك سبيلا •

وقد كان مما زاد فى ألم المصريين وضاعف من مراراتهم ، أن بطليموس جعل منهم طبقة أدنى كذلك من اليهود الذين احتضنهم وأغدق عليهم كثيرا من

الامتيازات ، وقد نزحت الى مصر فى عهده أفواج عظيمة منهم ، ولا سيما من فلسطين ، للاشتغال بالتجارة والمعاملات المالية ،وقد اجتمع منهم فىالاسكندرية وحدها نحو مائة ألف ، فتألفت منهم جالية ضخمة كانت مصدرا لكثير من المتاعب وأسباب الشقاق أجيالا طويلة بعد ذلك .

وفى أواخر عام ٣٢٣ قامت ثورة فى المدينة اليونانية قيرينى - أو برقة - الواقعة فى شمال أفريقيا على حدود مصر الغربية ، وطرد الثوار حاكم المدينة المسمى « ثيبرون » ، ولكنه عاد اليها وحاصرها ، فاستنجد الثوار ببطليموس الذى انتهز الفرصة وقبض على ثيبرون وقتله وضم برقة الى سلطته . وقد أوغر ذلك صدر برديكاس الذى كان صاحب الكلمة العليا فى الامبراطورية المقدونية ، وكان يضمر العداوة لبطليموس لأنه تحالف مع أنتيباتروس وكراتروس وأنتيجونوس ضده ، متهمين اياه بمحاولة اغتصاب العرش .

وقد انتهز بطليموس فرصة انهماك برديكاس فى صراع مع حكام آسيا للفوز بجثة الاسكندر ودفنها فى مصر ليجعل منها دعامة لمركزه فى العالم الهيلينستى . وكان مؤتمر بابل قد قرر دفن الاسكندر فى ايجيا بناء على رغبة الجيش المقدونى ، ولكن بطليموس أشاع بين الناس أن الاسكندر أوصى بدفنه فى واحة سيوه ، حيث معبد آمون . وقد نقل بطليموس جثة الاسكندر فى مظاهرة عسكرية رائعة ، ودفنها فى منف ، لأنها كانت عاصمة مصر فى ذلك الحين ، ثم نقلها بعد بضع سنوات الى الاسكندرية حين أصبحت هى العاصمة . وكانت هذه ضربة أخرى أثارت برديكاس وضاعفت غضبه فأعلن الحرب على بطليموس ، يشد ازره فى ذلك أوليمبيا أم الاسكندر وكليوبترا أخته ويومينيس والى كبادوكيا . بينما وقف أنتيباتروس وكراتروس وأنتيجونوس فى صف فى بطليموس . وقد اتجه برديكاس على رأس قواته نحو مصر وفى صحبته الملكان القاصران فيليب أرهيدايوس واسكندر الرابع ، ولكنه فشل فى الاستيلاء على بيلوزيون ، فثار عليه جنوده بزعامة بايثون

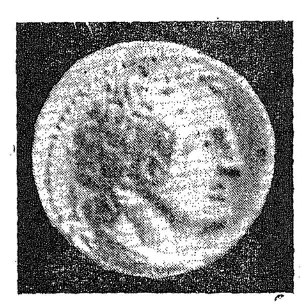
وسيليوكوس وقتلوه ، كما قتلوا حليفه يومينيس وعرضوا منصب الوصاية على العرش على بطليموس ، ولكنه كان يدرك ما يحف بهذا المنصب من المخاطر ، فنصح بعقد مؤتمر لاختيار الوصي ، وفعلا عقد المؤتمر فى سوريا وقرر اختيار أنتيباتروس وصيا عاما على الامبراطورية ، كما قرر تعيين انتيجونوس قائدا عاما للجيش الملكى فى آسيا ، وتعيين سيليوكوس واليا على بابل •

ومنذ انتصار بطليموس على برديكاس اعتبر مصر ولاية اكتسبها بحد السيف ، أى أنه اعتبرها ملكا خاصا له ، واستقل بها استقلالا تاما ، ثم راح يتطلع الى توسيع سلطانه والفوز على الخصوص بالسيادة على بحر ايجه ، متخذا من الاسكندرية قاعدة لمشروعاته وتحقيق تطلعاته •

وفى عام ٣١٩ زحف بطليموس على آسيا واستولى على فينيقيا وجوف سوريا وكان هذا الاقليم يشمل جنوب سوريا وفلسطين ويحده جبل حرمون شمالا ونهر الأردن شرقا والبحر المتوسط غربا • وقد استولى بطليموس فى هذه الحملة على أورشليم •

وعندما أشرف أنتيباتروس على الموت أوصى باختيار بوليبرخون وصيا على الملكين وقائدا أعلى للجيش • ولكن الولاة لم يعترفوا بالوصى الجديد لأنهم كانوا يتطلعون الى تحقيق مطامعهم الخاصة ، ومن ثم واجهت الامبراطورية أزمة خطيرة أخرى ، وقد استمال بوليبرخون اليه أوليمبيا أم الاسكندر ، كما انحازت اليه سائر المدن اليونانية ، بينما تحالف ضده كاساندروس مع بطليموس وأنتيجونوس وليسيماخوس وفيليب أرهيدايوس • ولم تلبث الحرب أن اشتعلت بين الجانبين • وقد انتصر كاساندروس على بوليبرخون عام ٣١٦ واستولى على أثينا • وكانت أوليمبيا أم الاسكندر فى هذه الأثناء قد قتلت فيليب أرهيدايوس ، فقبض عليها كاساندروس وقتلها ، كما أراد

أن يقتل اسكندر الرابع وأمه روكسانا حتى يخلو له الطريق لارتقاء العرش ، ولكنه اكتفى بسجنهما . وبذلك أصبح كاساندروس سيد مقدونيا . بينما انتصر أنتيجونوس على يومينيس فاصبح سيد آسيا وبحر ايجه . أما بطليموس فقد انتهج سياسة تنطوى على المكر والدهاء ، اذ راح يشجع هؤلاء المتصارعين على الاستمرار فى صراعهم حتى يفنى بعضهم بعضا ، بينما يظل هو محتفظا بقوته وسطوته .



« صورة بطليموس الأول على النقود »

وقد تطلع أنتيجونوس بعد ذلك الى السيطرة على كل ولايات الامبراطورية والجلوس على عرشها ، وقد أيدته كل المدن اليونانية ، ومن ثم تحالف ضده بطليموس وكاساندروس وليسيماخوس وسيليوكوس ، وتكاتفوا للقضاء عليه . وفى عام ٣١٥ قبل الميلاد بدأ أنتيجونوس فى تنفيذ خطته فأرسل الى آسيا جيشا بقيادة ابنه ديمتريوس ، احتل سوريا وفينيقيا وصور ، كما سيطر بأسطوله على جزر الكيكلاد ، وبذلك آلت اليه السيادة البحرية فى شرق البحر الأبيض المتوسط ، فكان ذلك ضربة قاضية على سيادة مصر البحرية . ولكى يخفف بطليموس الضغط على حلفائه ويمنع ديمتريوس من غزو مصر هاجمه

عام ٣١٢ قبل الميلاد وأحرز عليه نصرا حاسما عند غزة واسترد منه جـوف سوريا وأتاح لسيليوكوس أن يسترد ولايته • الا أن ديمتريوس لم يلبث أن ثار لنفسه من بطليموس فى العام التالى اذ أسر سبعة آلاف من جنـوده ، ثم استرد جوف سوريا ، وساعد حاكم برقة على الاستقلال بها ، ثم غزا بابل كى يقضى على سيليكوس ، ولكنه فشل فى ذلك ، فلم يسع أنتيجونوس الا أن يعقد صلحا مع بطليموس وكاساندروس وليسيماخوس • وقد تضمنت شروط الصلح أن يحكم أنتيجونوس آسيا ، وأن يحتفظ كاساندروس بسيطرته على مقدونيا الى أن يبلغ الاسكندر الرابع سن الرشد ويتولى الحكم بنفسه وأن يحكم ليسيماخوس تراقيا ، ويحكم بطليموس مصر • وبعد أن عقد أنتيجونوس هذا الصلح أعلن الحرب على سيليوكوس ولكنه فشل فى القضاء عليه فلم يسعه الا أن يعقد الصلح معه • وفى أثناء هذه الحرب كان الاسكندر الرابع يقترب من بلوغ سن الرشد ، فخاف كاساندروس أن يتولى الحكم بنفسه حسب شروط الصلح ، ومن ثم قتله مع أمه روكسانا ، وبذلك انقرضت أسرة الاسـكندر الأكبر كلها •

وفى عام ٣١٠ قبل الميلاد رأى بطليموس أن الفرصة مواتية لاستعـادة سيادته البحرية ، فاستولى على قبرص وأقام أخاه منيلاوس حاكما عليها ، كما استولى على جزيرة كوس وعلى بعض قواعد فى بامفيليا وليكيا وكاريا • وفى هذا الوقت حاول بطليموس الزواج من كليوبترا أخت الاسكنـدر ، الا أن أنتيجونوس كى يحول دون زواجه منها قتلها •

وفى عام ٣٠٨ قبل الميلاد ذهب بطليموس على رأس أسطوله الى بحر ايجـه وحرر جزره من ربقة أنتيجونوس ، فاعتبره أهلها الها وعبدوه باسم «سوتير» أى الاله المنقذ ، فكان هذا هو اللقب الذى ارتبط باسمه فى التاريخ •

وقد لاحت لبطليموس فى عام ٣٠٨ فرصة لاسترداد برقة فارسل اليها

قوة بقيادة ماجاس ابن زوجته برينيكى ، فلما نجح فى الاستلاء عليها عينه نائبا للملك فيها ٠

ولم يلبث أنتيجونوس أن أرسل ابنه ديمتريوس فحرر أثينا من الحامية المقدونية ، ثم دخل ميجارا وطرد منها الحامية التى كان كاساندروس قد أقامها هناك ، ثم اتجه الى قبرص التى كانت أهم قاعدة لأسطول بطليموس فاستولى عليها ، كما استولى على كل ممتلكات مصر الخارجيـــة ٠ وعنـــدئذ اتخـذ أنتيجونوس لنفسه لقب ملك وخلع هذا اللقب على ابنه ، واعتبر نفسه مع ابنه ملكى الامبراطورية المقدونية التى خلا عرشها بانقراض أسرة الاسكندر ٠ فما سمع بطليموس بذلك حتى نادى بنفسه ملكا هو الآخر ، وكان ذلك عام ٣٠٦ قبل الميلاد ٠

وقد غزا أنتيجونوس بواسطة ابنه ديمتريوس بلاد اليـــونان الوسطى وحرر بلوبونيسيا ثم أعاد تكوين عصبة كورنثوس فاختارته قائدا لها فى مكان الاسكندر الأكبر ٠ وعندئذ اتحد ضده بطليموس وكاساندروس وليسيماخوس وسيليوكوس ، وشنوا الحرب عليه مع ابنه وهزموهما هزيمة منكرة ، فلقى أنتيجونوس حتفه وهرب ديمتريوس الى أفسوس ٠ ونظرا لأن بطليموس اتخذ موقفا سلبيا فى هذه الحرب غضب حلفاؤه وقرروا حرمانه من الأسلاب ومن ثم اقتسمها سيليوكوس وليسيماخوس اللذان اضطلعا بالعبء الأكبر فى الحرب ففاز سيليوكوس بكل سوريا وآسيا الصغرى حتى منتصف فريجيا ، وفـــاز ليسيماخوس بغرب آسيا الصغرى ٠ وقد أدى ذلك الى حرمان بطليموس من جوف سوريا الذى أصبح من ممتلكات سيليوكوس ، ومن ثم أصبح موضـــع خلاف دائم بين البطالمة والسيليوكيـــين ، مما أفضى الى سلسلة طـــويلة من الحروب ٠

وفى عام ٣٠١ قبل الميلاد كانت امبراطورية الاسكندر الأكبر قد انحلت وأصبح يقتسم العالم الهيلينستى أربعة أشخاص أقوياء ، هم « كاساندروس »

فى مقدونيا ، و « ليسيماخوس » فى تراقيا وآسيا الصغرى ، و «سيليوكوس» فى سوريا وبابل ، و « بطليموس » فى مصر • أما أنتيجونوس فقد خلفه ابنه « ديمتريوس » • ونظرا للنزاع الـــذى نشب فى ذلك الحين بين بطليمـوس وسيليوكوس بصدد جوف سوريا أخذ كل منهما يبحث عن حلفاء له ، فراح بطليموس يتقــرب من ليسيماخـــوس وكاساندروس بالمصـــاهرة ، فزوج ليسيماخوس من أرسينوى ابنته من برينيكى،وزوج الاسكندر بن كاساندروس من ليساندرا ابنته من يوريديكى ، وانتهج سيليوكوس ذات الطريق فتزوج من ستراثونيكى ابنة ديمتريوس • ولم يلبث ديمتريوس بعد هذه المصاهرة أن هاجم ليسيماخوس ، ثم هاجم بلايستارخوس شقيق كاساندروس ، ثـم اشتبك فى حرب مع بطليموس ، ولكن هذا هزمه وألزمه بعقد صلح يأخـذ بطليموس بموجبه الاسكندر زوج ابنة ديمتريوس وبيروس زوج أخته رهينة تحت يده • ثم شن ديمتريوس الحرب على سيليوكوس فهزمه سيليـــوكوس وسجنه واستولى بطليموس على أسطوله كما استولى على قبرص وبامفيليا وليكيا وصور وصيدا وجزيرة ثيرا •

وهكذا عمل بطليموس الأول على بناء صرح امبراطورية كبـــيرة ، كان يتطلع الى أن تشمل أوسع نطاق ممكن فى العالم الهيلينستى •

ولما كان الازدهار الاقتصادى هو دعـــامة كل دولة تطمح الى القـــوة والتوسع ، فقد عمل بطليموس بما وضعه من القوانين الدقيقة الصارمة لتدعيم النظام الادارى والمالى على أن تدر مصر أكبر قدر من الدخل بعد أن كانت قد بلغت فى عهد الفرس درجة من التدهور والانحطاط لم يسبق لها أن بلغتها فى أى عصر من عصورها • وقد اعتبر بطليموس مصر مزرعته الخاصـــة واعتبر المصريين عبيدا فى خدمته ، وعلى هذا الأساس رسم سياسته الاقتصادية ، وهيمن هيمنة تامة على الزراعة والصناعة والتجارة الداخلية والخارجية •

كما كان من وسائل التفوق والعظمة التى رسمهـا بطليموس الأول لدولته كى تحتل مكان الزعامة فى العالم اليونانى أن يجعل منها مركزا للثقافة اليونانية ، فأنشأ بالاسكندرية جامعة علمية ضمت كثـيرين من المفكرين والفلاسفة فى عصره ٠ وكانت تقوم بتدريس الفلك والرياضـيات والطب والطبيعة والكيمياء والحساب والهندسـة والتاريخ والجغرافيا والبلاغـة والفلسفة والموسيقى ٠ وكانت هذه الجامعة تضم مكتبة كبرى تحتـوى على نصف مليون مجلد ، وذلك فضلا عن قاعات للمحـاضرات ومعامل للفحص والتشريح وحدائق للحيوانات والنباتات لاجراء الأبحاث والدراسات ومرصد فلكى ودار للفنون ٠ وقد كان بطليموس الأول نفسه متشبعا بالثقافةاليونانية وقد وضع مؤلفا عن غزوات الاسكندر يعتبره الباحثون من أهم المصادر ، وقد استقى منه المؤرخون القدماء معلوماتهم عن حياة الاسكندر الأكبر وحروبه ٠ كما أن فى عهد بطليموس الأول كتب هيكاتايوس الأبديرى تاريخ مصر ٠ وفى عهده وفد الى الاسكندرية بعض مشاهير الفلاسفة اليونان وكان أغلبهم من المشائين مثل ديمتريوس الفليرى واستراتون الذى أصبح أستاذا لبطليموس الثانى ٠

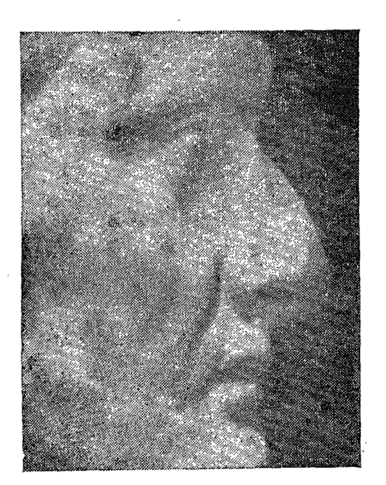
وفى عهد بطليموس الأول ازدهرت المدن ذات الصبغة اليونانيـة فى مصر ، ولا سيما الاسكنـدرية التى كان له النصيب الأكبـر فى تشييدها وتجميلها وتوسيع رقعتها ، وقد بنى لها سورا لم يكن يضاهيه فى ضخامته الا سور أثينا وسيراكوز ، ومن ثم ذاع صيتها وترعرعت حضارتها وأصبحت مثالا رائعا للمدينة اليونانية بكل خصائصها ومميزاتها وكـل نظمها وتقاليدهـا وعاداتها ، فانهمرت عليها جموع اليونان من كل أرجاء العالم وأقاموا فيها ، كما أقاموا فى كثير من المدن المصرية الأخرى ذات الطـابع اليونانى مثل نقراطيس التى كانت تقع بالقرب من دسوق ، وهيراكليوبوليس التى كانت فى مكان أهناسيا المدينة ، وهرموبوليس التى كانت فى مكان الأشمونين الحالية ،

وبطوليميس التى أسسها بطليموس الأول وأطلق عليها اسمه ، وكانت تقع فى مكان مدينة المنشاة الحالية بمحافظة سوهاج · وكانت تتمثل فى بعض هذه المدن الفكرة اليونانية عن المدينة الحرة التى كانوا يسمونها « بوليس » ·

وقد انتهج بطليموس الأول فى بداية عهده سياسة الاسكندر التى اتبعها فى مصر ، فتظاهر باحترامه للديانة المصرية ، وأعاد الى المعابد ما وجده فى آسيا من تماثيل الآلهة المصرية التى كان قد نهبها الفرس ، وزخرف قاعة فى معبد الكرنك وأقام بها تمثالا للاسكندر الرابع يعتبر من الأمثلة النادرة لفن النحت التى يمتزج فيها الطراز المصرى بالطراز اليونانى ، كما أقام بوابة أمام معبد الفنتين نقش عليها صورة الاسكندر الرابع وهو يتعبد للاله خنوم · وحين أصبح بطليموس ملكا اتخذ بعض الألقاب المقدسة للفراعنة فحمـــل لقب « سارع » أى ابن رع ، كما حمل لقب « مرى آمون ستب ان رع » أى محبوب آمون الذى اختاره رع · بيد أن بطليموس الأول مع تظاهره باحترام الديانة المصرية جعل للديانة اليونانية مكانا ممتازا فى مصر ، ولما كان اليـــونان قد اعتبروا الاسكندر الأكبر الها يعبدونه ، جعل بطليموس الأول عبادة الاسكندر دينا رسميا يونانيا فى مصر ، يتولى طقوسه كاهن يونانى يتمتع بمكانة رفيعة ويقوم الملك بتعيينه كل عام ، وتؤرخ كافة الوثائق باسمه فى كل أنحاء البلاد ، سواء ما كان مكتوبا منها باللغة اليونانية أو اللغة المصرية · ولكن بطليموس حين لمس نفور المصريين من الديانة اليونانية أراد أن يوفق بين رغبته فى احترام الديانة المصرية واحترام الديانة اليونانية فى ذات الوقت ، فأنشأ ديانة جديدة تمتزج فيها الآلهة المصرية بالآلهة اليونانية ، وتتمثـــــل فى الثالوث الالهى سيرابيس وايزيس وهاربوكراتس ، وقد أقبل اليونان على الديانة الجديدة · أما المصريون فظلوا متمسكين بديانتهم القديمة ·

وحين تقدمت السن ببطليموس الأول واجهته مشكلة وراثة العرش لأنه كان يكره ابنه الأكبر كيراونوس الذى أنجبه من يوريدكى بينما كان يحب ابنه

الأصغر بطليموس الذى أنجبه من برينيكى ، وكان يرغب فى أن يجعل من هذا الأخير وليا للعهد ، ولذلك أشركه معه فى الملك منذ عام ٢٨٥ قبل الميلاد ٠ وعندئذ لجأ كيراونوس الى ليسيماخوس ثم الى سيليوكوس ليعملا على رد حقه المسلوب اليه ٠ ولكن بطليمـــوس الأول أحبط كل محـــاولة للوقوف أمام ارادته ٠



« قناع لوجه بطليموس الأول عند موته »

وقد توفى بطليموس الأول عام ٢٨٢ قبل الميلاد وهو فى الرابعة والثمانين من عمره بعد أن حكم البلاد ما يقرب من ثمانية وثلاثين عاما ، فجلس على عرش مصر بعده ابنه بطليموس الثاني ٠

بطليموس الثانى

وكان بطليموس الثانى حين جلس على العرش لا يتعـــدى الخامســـة والعشرين من عمره . وقد سار على خطة أبيه فى تدعيم مكانة دولته ، بيد أنه لم يلجأ كأبيه فى هذا السبيل الى الحرب ، لأنه لم يكن له ما كان لأبيه من مواهب حربية ، وانما كان يميل الى الثقافة والعلم ، اذ كان تلميذا للفيلسوف ستراتون والشاعر فيليتاس ، ومن ثم لجأ فى تحقيق أهــــدافه الى الوسائل



« أرسينوى الثانية »

السياسية والسلمية . وكان رجلا جم النشاط عظيم الكفاية ، ولكنه كان يميل الى الترف والانغماس فى الملذات ، وكانت له حظايا كثيرات من كل الطبقات ، وكان لأخته « أرسينوى » تأثير كبير عليه فى أوائل حكمه ، اذ كانت متزوجة من ليسيماخوس ، فلما مات انهارت آمالها فى الاستئثار بالحكم فى مقدونيـــا وتراقيا وعادت الى بلاط أخيها بطليموس الثانى متطلعة لأن تحقق عن طريقه أطماعها ، ولم تلبث أن فرضت عليه شخصيتها وسلبت ارادته بتأثيرها ، حتى لقد دفعت به لأن يطلق زوجته أرسينوى الأولى ابنة ليسيماخوس ويتزوجها

هي ، رغم أن اليونان كانوا يستنكرون الزواج بين الاخوة ، ولذلك بذل رجال البلاط مجهودا كبيرا ليجعلوا هذا الزواج مقبولا عند الجالية اليونانية . ومن ذلك أن الشاعر ثيوكريتوس وضع قصيدة يشبه فيها هذا الزواج بزواج كبير الآلهة زيوس بأخته الالهة هيرا على قمة أوليمبوس . أما الشاعر سوتاديس فقد ندد بهذا الزواج ، فكان جزاؤه الموت . وقد كانت أرسينوى الثانيـــة امرأة شريرة لا تترفع عن استخدام أى وسيلة للوصول الى أغراضهـــا ، ومن ثم استطاعت أن تساند أخاها بما اتصفت به من دهاء وقوة شكيمة واستخفـاف بمبادىء الأخـــلاق ، ولـــذلك اشتهرت بلقب « فيلادلفوس » أى « المحبة لأخيها » .

وقد حدثت فى بداية عهد بطليموس الثانى أحداث مثـــيرة فى العالم الهيلينستى ، اذ انهارت امبراطورية ليسيماخوس بسبب زوجتـه أرسينوى التى عرفنا أنها تزوجت بعد ذلك أخاها بطليموس الثانى ، وذلك لأنها طالبت بالعرش لابنها ، فعارضهـــا فى ذلك أجاثوكليس الذى كان الابن الأكبـر لليسيماخوس ووارثه الشرعى ، وكان متزوجا من ليساندرا ابنة بطليمـوس الأول ، وعندئذ اتهمته أرسينوى كذبا بأنه راودها عن نفسها فقتله أبوه ، ولجأت زوجته ليساندرا الى سيليوكوس ، كما لجأ اليه كيراونوس الابن الأكبر لبطليموس الأول الذى كان أبوه قد حـــرمه من العـــرش فهرع الى بلاط ليسيماخوس . وقد انتهز سيليوكوس الفرصة فاســـتولى على ممتلكـــات ليسيماخوس وقتله ، ثم عبر الدردنيـــل ليستولى على مقدونيـــا . فغضب كيراونوس وقتل سيليوكوس ونادى بنفسه ملكا على مقدونيا ، ولكنه لم يلبث أن لقى حتفه وحل محلـــه على عرش مقدونيـــا أنتيجونوس جوناتاس بن ديمتريوس .

وكانت مصر فى ذلك الوقت أقوى دولة فى العالم اليونانى . وقد حاول بطليموس الثانى - كى يستكمل سيطرته على بحر ايجه - أن يستولى عـلى

شواطىء آسيا الصغرى الجنوبية والغربية ، وأن يبسط نفوذه على المراكـــز التجارية الهامة فى ضفاف الدردنيل وبحر مرمرة والشـــاطىء الجنوبى للبحر الأسود والموانىء الكبيرة على شواطىء فينيقيا وفلسطين ولا سيما صور وصيدا، لأنه لو تحقق له ذلك أمكنه السيطرة على منافذ الطريقين التجاريين الهـــامين اللذين يأتى أحدهما شمالا من البتراء وبلاد العرب ويأتى الآخر غربا من بابل ودمشق . ومن ثم أوغرت هذه المطامع صدور السيليوكيين فنشبت الحرب بين بطليموس الثانى وأنطيوخوس الأول عام ٢٨٠ قبل الميلاد ، ومع أنها انتهت الى الصلح فان الحرب لم تلبث أن نشبت بينهما من جديد عام ٢٧٥ وهى التى تسمى « الحرب السورية الأولى » ، اذ غزا بطليموس الثانى سوريا واستولى على دمشق ووادى مرسياس وشاطىء فينيقيا وشواطىء آسيا الصغرى فاضطر أنطيوخوس الى عقد الصلح فى عام ٢٧٢ وأصبحت أملاك بطليموس الثـــانى تشمل نصف كيليكيا الغربى بعد كاليكادنوس وساحل بامفيليا الشرقى بما فى ذلك فاسيليس وأسبندوس وأغلب ليكيا جنوبى ميلياد وعدة أماكن فى كاريا وأيونيا وهى كاونوس وهاليكارنسوس وميندوس وكنيدوس وميليتـــوس ، وعدة أماكن فى بحـــر ايجة وهى ســـاموتراقيا وأيتانـــوس وساموس وثيرا والكيكلاد . وقد امتدت ممتلكاته فى سوريا حتى شملت وادى مارسيـــــاس وأرادوس وماراثوس . وبذلك خضعت له كل فينيقيا . أما على حدود مصر الغربية فقد دان له بالطاعة أخوه ماجاس حاكم برقة وقبـــائل المارماريد التى كانت منتشرة فى شمال أفريقيا . كما أنه أرسل حملة الى أثيوبيا لحماية حدود مصر الجنوبية وتأمين طرق أعالى النيل .

وفى عام ٢٧٠ ماتت أرسينوى الثانية ، فحزن عليها بطليمـــوس حزنا شديدا ، وغمرها بعد موتها ـ كما غمرها أثناء حياتها ـ بكثير من مظـــاهر التقدير والتكريم ، اذ نسب اليها كل ما أحرزه من مكاسب وانتصارات ، وكان من آيات وفائه لذكراها أنه تبنى ابنها ثيماخاريس الذى كانت قد أنجبته من

ليسيماخوس ، وأشركه معه فى الحكم ، ولكنه لم يلبث أن تبين عقوقه فطرده ٠

وفى عام ٢٦١ توفى أنطيوخوس الأول وخلفه ابنه الأصغر أنطيوخوس الثانى فلم تلبث أن نشبت الحرب بينه وبين بطليموس الثانى ، وهى التى تسمى « الحرب السورية الثانية » ، وقد أسفرت عن استيلاء أنطيوخوس على فينيقيا وأيونيا وساموتراقيا وجزيرة ساموس ٠



« بطليموس الثانى وزوجته أرسينوى الثانية »

وكان بطليموس الثانى قد اتفق مع أخيه ماجاس ملك برقة على زواج ولى عهده ـ الذى تولى العرش بعد ذلك باسم بطليموس الثالث ـ من برينيكى ابنة ماجاس ٠ فلما توفى ماجاس فى عام ٢٥٨ عملت أرملته أباما ـ وهى شقيقة أنطيوخوس الثانى ـ على الحيلولة دون اتمام هذا الزواج لأنه يستتبع ضم برقة الى مصر ، وسعت الى زواج برينيكى من ديمتريوس أخى جوناثاس ،ولكن ديمتريوس وقع فى غرام أباما نفسها ، فقتلته برينيكى وهو فى مخدع أمها ،

وقبضت على زمام السلطة وتزوجت من ولى عهد مصر • وبذلك تحقق اندماج برقة فى دولة البطالمة •

وبعد أن كانت العداوة ناشبة بين بطليموس الثانى وأنطيوخوس الثانى، تم الوفاق بينهما عن طريق المصاهرة • فقد كان أنطيوخوس متزوجا من ابنة عمه لاوديكى ، الا أن بطليموس أقنعه بتركها ليزوجه من برينيكى ابنته من أرسينوى الأولى • وفعلا أقصى أنطيوخوس زوجته الأولى وأبناءها الى افسوس وتزوج من ابنة بطليموس • وبذلك أنهى بطليموس الخصومة بينه وبين أنطيوخوس ، ومن ثم توفرت له الفرصة ليثأر من خصمه اللدود جوناتاس ، وبذلك استعاد سيادته على بحر ايجة وعصبة الكيكلاد •

ويتضح مما سلف أن أهداف بطليموس الثانى الخارجية كانت هى ذات أهداف بطليموس الأول فى جوهرها ، وهى ضمان الاستقلال التام لمصر ، وكفالة تفوقها فى العالم الهيلينستى ولا سيما فى بحر ايجة • كما أنه أنشأ علاقات سياسية مع روما • وقد استعان فى تحقيق سياسته وتوطيد مملكته باستجلاب مزيد من اليونان فى مصر ليكونوا دعامة حكمه فيها ، وقد منحهم الأراضى الكثيرة ، ولا سيما فى الفيوم ، ورفع من شأنهم على حساب المصريين ، فسرعان ما أصبحوا صفوة الأغنياء والوجهاء فى البلاد •

وقد اهتم بطليموس الثانى اهتماما خاصا بتوطيد دعائم الثقافة اليونانية فى مصر ، فدعم جامعة الاسكندرية ، ونقل اليها كثيرين من علماء جامعة عين شمس ، ومن ثم أصبحت كعبة للراغبين فى العلم فى كل أنحاء العالم القديم • وقد قام بتنظيم المكتبة الكبرى ، كما أنشأ المكتبة الصغرى التى عرفت بمكتبة السيرابيوم ، وكانت تضم أكثر من مائتى ألف مجلد • وكان من أنفع وأروع الأعمال العلمية التى تمت فى عهد بطليموس الثانى قيام الكاهن المصرى « مانيثون » بتأليف كتابه الشهير الذى سجل فيه تاريخ قدماء المصريين ،معتمدا

على الوثائق الهيروغليفية ، فكـان أول وأعظم مرجع لذلك التاريخ فى كـل العصور •

وكان بطليموس الثانى يعطف على اليهود عطفا كبيرا ، وقد فاق فى ذلك كل البطالمة ، حتى لقد قيل أنه افتدى أسرى اليهود من ماله الخـاص ، وقد أجزل الهدايا الثمينة لهيكل أورشليم ، ومن ثم اشتهر بأنه « صديق اليهود »• واذ كان يهود الاسكندرية لا يستعملون الا اللغة اليونانية ، وقد أهملوا لغتهم الأصلية ، فقد طلبوا الى بطليموس أن يعمل على ترجمة التوراة من اللغة العبرية الى اللغة اليونانية ، فاستجاب لطلبهم • ويقول المؤرخ اليهودى يوسيفوس أن بطليموس أرسل كثيرا من الهدايا الثمينة الى « لعازر » رئيس كهنة أورشليم ، وطلب اليه أن يبعث الى مصر بعض علماء اليهود وفقهائهم ليترجموا التوراة ، فبعث اليه سبعين شيخا من المتضلعين فى الناموس ، فكلف كلا منهم أن يتولى ترجمة التوراة على انفراد فى مدة معينة ، حتى اذا انقضت تلك المدة كانوا قد انتهوا جميعا من مهمتهم ، فجمعهم وأمرهم بمضاهاة السبعين ترجمة فوجدوها متطابقة ، ومن ثم اشتهرت بالترجمة السبعينية • وقد أصبحت هذه الترجمة هى المرجع الصحيح الذى يعتمد عليه الباحثون فى الدين حتى اليوم •

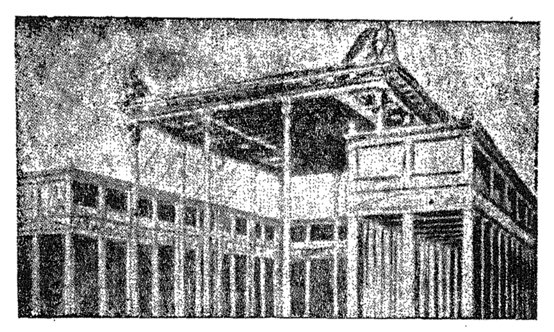
وكان بطليموس الثانى هو الذى وضع النظام الاقتصادى والمـالى لمصر البطلمية ، وكان دعامة هذا النظام هو مبدأ أن الملك يملك الأرض وما عليها ، وأن على الأهالى أن يتفانوا فى خدمته ويطيعوه طاعة عمياء ، ويقدموا له فروض الولاء والخضوع لا باعتباره ملكهم فحسب ، وانما باعتبـاره ربهم والههم كذلك • وقد طبق بطليموس الثانى هذا المبدأ بكل صرامة وقسوة حتى استنزف المال من كل عضلة وكل قطرة عرق بل وكل قطرة دم فى جسم الفلاح المصرى المسكين ، وقد استغل مجهوده أبشع استغلال ، وفرض عليـه من الضرائب الفادحة ما يقصم الظهر ، وتاجر فى رزقه ، وحرمه من ثمرة كده وعنائه ، فلا عجب أن امتلأت خزائن هذا الملك بأكداس مكدسة من الذهب والفضة ، وأصبح

مضرب الأمثال في الثراء بين كل ملوك العالم في عصره .

وكان من مقتضيات الأهداف الاقتصادية التي وضعها بطليموس الثاني نصب عينيه أنه اهتم بالزراعة فاكثر من مشروعات الري والصرف وغـرس الحدائق ولا سيما أشجار الفاكهة والكروم . كما اهتم بالتجـارة وعمل على ازدهارها وتوفير الطرق الكفيلة بانتشارها في أوسع نطـاق ، فأعاد حفر الخليج القديم الذي كان يصل النيل بالبحر الأحمر ، وأصلح طريق القوافل الذي كان يخترق وادي الحمامات وأنشأ الحصون والمخافر لتأمين المسافرين في ذلك الطريق . وأصلح الطرق التي تصل بين مصر وأعالي النيل ، فأمكنـه بذلك تنشيط تجارة مصر في البحر الأحمر والمحيط الهنـدي ولا سيما مع الحبشة والصومال والهند . كما أنه عمل على تنشيط التجـارة في البحر الأبيض المتوسط ، بأن أقام عام ٢٧٩ قبل الميلاد منارة الاسكندرية في الطرف الشرقي من جزيرة فاروس . وقد بناها بنوع من الحجـر الأبيض يشبه الرخام ، وجعل ارتفاعها مائة متر ، وكانت توقد النار في أعلاها فيمتد نورها في الليل أكثر من ثلاثين ميلا في عرض البحر . كما أنشأ بطليموس الثـاني ميناء ميوس هرموس ، وميناء برنيقة في مكان بني غازي الحالية ، فامكنه بذلك اجتذاب تجارة العالم الى الاسكندرية .

وقد واصل بطليموس الثاني سياسة التظاهر باحترام الديانةالمصرية ، فمنح المعابد المصرية في بداية عهده هبة مالية قدرها ٣١٢٥ تالنت من الفضة ، أي ما تزيد قيمته على نصف مليون جنيه ، كما جعل للمعابد هبة سنوية تبلغ قيمتها مائة وخمسة وعشرين ألف جنيه . وقد شيد عددا كبيرا من المعـابد المصرية ، منها معبدان للاله أوزوريس ومعبدان للالهة ايزيس ، أحدهما هـو معبدها الكبير في جزيرة فيلة ، وهو المعروف بقصر أنس الوجود ، والآخر هو القائم بالقرب من سمنود ، وهو بناء رائع بديع التكوين مشيد كله من الجرانيت

الأحمر المجلوب من أسوان . كما أنشأ معبدا صغيرا لعبادة أمحوتب فيجزيرة فيلة ؟ وأقام بوابة أمام معبد موت فى الكرنك . وحين قام بزيارة بلاد الفرس أحضر معه من هناك بعض تماثيل الآلهة المصرية التى سبق للفرس أن نهبوها . وقد حمل بطليموس الثانى كل الألقاب الفرعونية المقدسة ، فكان ينسب الى نفسه أنه « ملك الجنوب والشمال . الذى اختاره آمون . حياة رع . وحبيب بتاح » .



« سرادق الاحتفال بالبطوليمايا »

ولكن بطليموس الثانى رغم هذا التظاهر باحترام الديانة المصرية جعل المكانة الأولى للعبادات اليونانية . وقد طلب الى كل رعاياه أن يعبدوا الاسكندر الأكبر باعتباره الها . ثم رفع أباه بطليموس الأول كذلك الى مصاف الآلهة وطلب الى رعاياه أن يعبدوه باسم « الاله سوتر » ، وأنشأ عيدا دينيا يقام فى الاسكندرية كل أربع سنوات ، ويسمى البطوليمايا ، تكريما لذكرى أبيه بطليموس المؤله . وقد وصف كاليكستوس أحد مهرجانات هذا العيد وصفا رائعا ، فقال ان الملك أقام له قاعة فاخرة على شكل سرادق مستطيل ، يقوم على أعمدة رشيقة ، وتتدلى من حوله الستائر المزركشة ، وقد صفت على جانبيه

الأرائك الموشاة بالذهب ، وفرشت أرضه بالطنافس الفارسية ، وزينت جدرانه وأركانه بأبدع الصور والتماثيل ، وأروع الدروع الموشاة بالذهب والفضة ، ونثرت على أرائكه مجموعات عظيمة من الآنية المصنـــوعة من الذهب الخالص والمرصعة بالأحجار الكريمة والمعادن النفيسة . وقد اشترك فى المهرجان ثلاثة



« تمثال من المرمر للملكة أرسينوى الثانية »

وعشرون ألفا من الفرسان ، وسبعة وخمسون ألفا من المشاة المدججين بالسلاح وقد أنفق الملك عليه ما يوازى خمسمائة ألف جنيه ، فكان حفلا فريدا لم يشهد العالم القديم له مثيلا .

وقد أشرك بطليموس الثانى أمه برينيكى مع أبيه فى الألوهيـــة وأقام

لهما هياكل يعبدان فيها معا باسم « الالهين سوترس » ، ثم لم يلبث بطليموس الثانى أن رفع نفسه مع زوجته أرسينوى الثانية الى مرتبة الألوهية ، وطلب الى رعاياه أن يعبدوهما باسم « الالهين الأخوين أدلفوى » ، وقد أقيم لهما معبد خاص فى الاسكندرية وقرنت عبادتهما بعبادة الاسكندر الرسمية العامة ،وكان يشرف على طقوس العبادتين كاهن واحد أصبح لقبه « كاهن الاسكندر والالهين أدلفوى » • ثم أقيم لأرسينوى معبد خاص فى الاسكندرية لعبادتها باسم « الالهة فيلادلفوس » • وقد شاعت عبادتها بين اليونان ولا سيما فى مديرية الفيوم التى أصبح اسمها مديرية أرسينوى • وقد أمر بطليموس الثانى باعتبار أرسينوى شريكة للآلهة المصرية كذلك وعبادتها فى المعابد المصرية • كما أدخل اسمها فى نص القسم الرسمى المعمول به فى كل أنحاء البلاد ، فأصبح نصه : « أقسم بالملك بطليموس وبأرسينوى فيلادلفوس الالهين أدلفوى وبوالديهما الالهين سوترس » • وقد دأب المؤرخون على أن يطلقوا على بطليموس الثانى اللقب الالهى لزوجته وهو « فيلادلفوس » ، ولكنه لم يحمل هذا اللقب على الاطلاق فى حياته •

وقد مات بطليموس الثانى عام ٢٤٦ قبل الميلاد ، بعد أن حكم حوالى ثمانية وثلاثين عاما ، فاعتلى العرش بعده ابنه من أرسينوى الأولى باسم بطليموس الثالث •

بطليموس الثالث

وقد انتهج بطليموس الثالث ذات السياسة التى انتهجها أبوه وجده ، فاعتبر مصر ضيعة يمتلكها امتلاكا خاصا ، واعتمد فى تأييد سلطانه على الجنود المرتزقة من اليونان وأشباههم ممن كانوا يبدون الصلف والاحتقار نحو اصحاب البلاد الحقيقيين • وكان يهدف كأسلافه من وراء سياسة الطغيان والاستغلال والنهب الى الظهور بمظهر القوة والعظمة والتفوق فى العالم اليونانى

وتكوين امبراطورية واسعة الأرجاء ، عريضة السلطان ٠

وقد افتتح بطليموس الثالث عهده باعدام أبولونيوس وزير مالية أبيه ، كما أوعز بقتل أخيه ليسيماخوس ٠ ولم يلبث زواج أخته برينيكى من أنطيوخوس الثانى أن أدى الى كوارث مفجعة ، اذ تمكنت لاوديكى - وهى الزوجة الأولى لأنطيوخوس - من استدراجه الى أفسوس وظلت تغريه حتى أقنعته بالاعتراف بابنها الأكبر منه وليا للعهد ثم دست السم له وقتلته ، ونادت بابنها خليفة له باسم سيليوكوس الثانى ، يساندها فى ذلك أخوها الاسكندر قائد ولاية ليديا ٠ ولكن برينيكى لم تسكت على ذلك السطو على حق ابنها فى ارتقاء عرش أبيه ، وقد أيدتها فى ذلك أنطاكية وسائر المدن السورية، ومن ثم لجأت برينيكى الى أخيها بطليموس الثالث تستنجد به فأسرع الى مناصرتها ، مما أدى الى نشوب «الحرب السورية الثالثة» ٠ وقد اتجه بطليموس بأسطوله الى كيليكيا واستولى عليها ، ثم دخل أنطاكية دخول الظافر المنتصر ٠ الا أن أتباع لاوديكى لم يلبثوا فى هذه الأثناء أن خطفوا برينيكى وابنها وقتلوهما ، كما ترامت الأنباء الى بطليموس بنشوب ثورة فى مصر ، فأسرع عائدا اليها عام ٢٤٥ بعد أن ترك بعض قواته فى كيليكيا وسوريا ٠

وقد نشبت فى مصر ثورة شعبية عظيمة أثناء اشتباك بطليموس فى الحرب ، اذ كان المصريون قد فاض بهم الكيل وضاق على أعناقهم طوق الطغيان، وامتلأت صدورهم بالغضب من تعسف الحكومة وقسوتها المتزايدة فى جمع الأموال منهم للانفاق على الحرب ، رغم المجاعة التى كانت تفتك بهم فى ذلك الحين بسبب نقص الفيضان ، وقد تطلعوا الى الخلاص من هذا الظلم والهوان حتى لقد ذاعت بينهم نبوءة تبشر بقيام زعيم وطنى يحرر البلاد من مغتصبيها ويعيد اليهم عهد فراعنتهم الأولين ٠ ومن ثم انتهزوا فرصة غياب القوات البطلمية خارج مصر ، وانفجروا فى ثورة عنيفة عارمة كادت أن تدك صروح

الحكم الأجنبى الظالم وتستعيد لمصر استقلالها وكرامتها ، لولا أن سارع بطليموس الى مقاومتها واخمادها ، وقد أدرك عاقبة تماديه فى الضغط على أهل البلاد والمغالاة فى نهبهم وسلبهم واستعبادهم ، فاضطر الى التظاهر بنجدتهم والعطف عليهم ، وسارع الى استجلاب الغلال من سوريا وفينيقيا وقبرص للتخفيف من مجاعتهم ، كما أعفى بعضهم من الضرائب التى عجزوا عن دفعها .

وبينما كان بطليموس منهمكا فى اخماد ثورة المصريين كان سيليوكوس الثانى يدعم مركزه ، وقد اكتسب عن طريق المصاهرة تأييد ميثريداتس ملك بنطس وارياراتس ملك كابادوكيا ، كما استطاع أن يستميل أغلب المدن اليونانية فى آسيا الصغرى ، ومن ثم تمكن فى عام ٢٤٤ من استعادة الولايات الوسطى والشرقية وجانبا من كيليكيا وكل سوريا السيليوكية ماعدا سيليوكيا على نهر العاصى . وفى عام ٢٤٣ حاول استرداد شواطىء كيليكيا وسوريا السيليوكية وجوف سوريا ، الا أن العواصف حطمت أسطوله ، كما أنزل به الجيش البطلمى هزيمة فادحة ، فارتد الى أنطاكية . وفى عام ٢٤٢ حاصرت قوات بطليموس دمشق ولم يستطع سيليوكوس انقاذها الا فى العام التالى حين خف أخوه أنطيوخوس هيراكس لنجدته . الا أن بطليموس ظل مسيطرا على الشاطىء السورى كله حتى سيليوكيا .

وقد انتهز جوناتاس ملك مقدونيا فرصة انشغال بطليموس فى الحرب السورية وقضى على جانب من الأسطول البطلمى عند أندروس عام ٢٤٥ وتمكن من استعادة جزر الكيكلاد ، فلم تحتفظ مصر الا بجزيرتى ثيرا وكريت .

وقد حدث فى عام ٢٤٣ أن أفلتت كورنثوس من قبضة جوناتاس فاضعف ذلك من قوته البحرية ، كما حطمت العواصف أسطول سيليوكوس ، فانتهز بطليموس الفرصة واستولى على افسوس وكيليكيا الغربية وبامفيليا وأيونيا

الجنوبية وجزيرتى لسبوس وساموتراقيا ، كما استولى على ممتلكات سيليوكوس فى تراقيا بما فى ذلك شبه جزيرة « غاليبولى » فضلا عن الشاطىء السورى حتى سيليوكيا ، فلم يسع سيليوكوس الا أن يعقد صلحا مع بطليموس عام ٢٤١ تضمن تأييد تلك الانتصارات الباهرة التى دعمت مركز البطالمة فى بحر ايجة •

وبعد هذا الصلح أخلد بطليموس الثالث الى السكينة والسلام ، بعد أن اطمأن الى قوة مركزه فى العالم اليونانى ، بينما اشتبك جوناتاس فى حرب مع بلاد اليونان وفقدها كلها تقريبا ثم توفى عام ٢٣٩ ، فانهارت مكانة مقدونيا • أما السيليوكيون فقد ساء حالهم ، اذ انسلخت عنهم ولاياتهم ، وأدت الخلافات فيما بين أفراد أسرتهم الى تمزيق شملهم ، فقد نشبت بين سيليوكوس الثانى وأخيه الأصغر أنطيوخوس هيراكس حرب ضروس أسفرت فى النهاية عن تنازل سيليوكوس عن آسيا الصغرى لأنطيوخوس • ولكن هذا لم يلبث أن هرب من آسيا الصغرى بعد أن طرده أتالوس ، ولجأ الى أخيه سيليوكوس ، فلما وجده مشغولا فى الحرب مع بارثيا خلعه واغتصب العرش منه ، الا أن سيليوكوس عاد مسرعا واسترد عرشه بينما هرب أنطيوخوس الى الاسكندرية فسجنه بطليموس الثالث ، ثم هرب من السجن الى تراقيا حيث لقى حتفه • أما سيليوكوس الثانى فقد مات عام ٢٢٦ فخلفه ابنه سيليوكوس الثالث ، وقد عهد الى أخيه الأصغر أنطيوخوس بحكم بابل،والى عمه أندروماخى باسترداد آسيا الصغرى من أتالوس • غير أن أتالوس هزمه وأرسله الى مصر • وفى عام ٢٢٣ مات سيليوكوس الثالث مقتولا فخلفه أخوه أنطيوخوس باسم أنطيوخوس الثالث •

وهكذا انفرد بطليموس الثالث بالقوة فى العالم اليونانى ، اذ بلغت الامبراطورية البطلمية فى عهده أقصى اتساعها ، وقد شملت آسيا الغربية كلها ، وتمتعت بأكبر قدر من السيطرة فى بحر ايجة ، بينما أتاح ضعف

الولايات اليونانية الأخرى لبطليموس فترة سلام استمرت عشرين عـــاما ، استطاع خلالها أن ينعم بحياة الرفاهية والدعة والثراء المنقطع النظير ٠

وقد وجه بطليموس الثالث اهتمامه الى العلوم والآداب ، اذ كان يميل مثل أبيه للثقافة اليونانية ، وقد كان تلميذا للشـــاعر أبولونيوس الرودسى وصديقا للعالم الشهير ايراتوستينوس ٠ ومن ثم اعتنى عناية خاصة بمكتبـة الاسكندرية وعين لها أمينا يتولى تنظيمها ورعاية شئونها وتزويدها بكـــل ما ينقصها من المؤلفات والبحوث ٠ وقد تم فى عهده تعديل التقويم المصرى القديم ، اذ كان العام يتألف فى ذلك التقويم من ٣٦٥ يوما ، فتقرر زيادة يوم لكل أربعة أعوام ، وبذلك أصبح التقويم أكثر دقة ، وقد اقتبسه يوليوس قيصر فيما بعد فأصبح هو التقويم المعمول به الى اليوم ٠

وقد اتبع بطليموس الثالث سياسة أسلافه فاجزل الهبات للمعـــابد المصرية ، وأعاد من آسيا بعض تماثيل الآلهة المصرية التى كان الفرس قـــد استولوا عليها ، وأكمل بناء معبد ايزيس فى جزيرة فيلة ، وأقـــام معبدا لايزيس فى أسوان ، ومعبدا لأوزوريس فى كانوب ، ومعبدا لحـــوريس فى ادفو ، ويعتبر هذا الأخير من أروع ما أنتجه فـــن العمارة المصرية فى العصر اليونانى ، وما زال محتفظا برونقه وجماله الى اليوم ٠ كما أقام هـــذا الملك معبدا فى اسنا ، ومعبدا فى جزيرة بيجة ، وشيد بوابات خارجية لمعبد بتـــاح ومعبد خنسو ومعبد مونتو بالكرنك ٠

وقد انتهج بطليموس الثالث سياسة أسلافه كذلك فى أنه رفع نفسه مع زوجته برينيكى الى مصاف الألهة باسم « الالهين يورجيتيس » أى الالهين المحبين للخير ، وقرن عبادتهما بعبادة أبويه وجديه ، وقد أصبح من التقاليد السائدة لدى البطالمة أن الملك وزوجته حين يرتقيان العرش يؤلهان وتقرن عبادتهما فى حياتهما وبعد موتهما بعبادة أسلافهما ٠

وكان مما اتفق فيه بطليموس الثالث مع الذين سبقوه من البطالمة انه شمل اليهود بعطفه ورعايته . وقد أنزل فى الأراضى المستصلحة بالفيوم عددا كبيرا منهم كان قد أسرهم فى الحرب السورية الثالثة .

وقد ساهم بطليموس الثالث فى تعمير الاسكندرية وتجميلها ، وقد استدعى لهذا الغرض أمهر المهندسين وأعظم الفنانين فى عصره ، فأصبحت تلك المدينة من أعظم وأروع المدن فى العالم كله .

وقد توفى بطليموس الثالث عام ٢٢١ قبل الميلاد وهو فى الثالثة والستين من عمره ، بعد أن حكم البلاد خمسا وعشرين سنة ، فجلس على عرش مصر بعده ابنه بطليموس الرابع .

بطليموس الرابع

ولم يكن بطليموس الرابع حين جلس على العرش قد تجاوز الثانية والعشرين من عمره ، وكان شابا عابثا متهتكا منغمسا فى ملذاته ومنصرفا الى اشباع شهواته . وقد اتخذ له رفاقا من حثالة الاسكندرية يشاركونه فى لهوه ومجونه ، وكان الاسكندريون يسمونهم « جوليا ستاى » أى « اخوان الأنس ». وقد نشر بطليموس بن أجسارخوس أحد موظفى البلاط كتابا من ثلاثة أجزاء عن نزوات الملك مع ندمائه ، وما كان يدور بينهم من قصص الخلاعة والرقاعة. ومن ثم كان ذلك الملك كسولا متراخيا قليل الاكتراث بواجباته ، منقطعا كل الانقطاع الى مجالس العربدة والفجور ، حتى لقد كان يتعذر على موظفيه الوصول اليه أو الاتصال به لتصريف شئون الدولة . وسرعان ما أصبح الصولجان في يد أسرة ملوثة السيرة ، ساقطة الأخلاق ، تتكون من محظيته أجاثوكليا وأخيها أجاثوكليس وأمهما أونياناثى ، وقد سلبوا لبه بفسقهم ومجونهم، وجعلوه أداة فى أيديهم للسيطرة على البلاد والاستبداد بالشعب وابتزاز أمواله بأبشع الوسائل وأحقرها ، يعاونهم في ذلك وزيره سوسيبوس الذى يصفه بوليبوس

بانه كان ثعلبا ماكرا وشيطانا رجيما ، استأثر بالسلطة وعاث فى البـــلاد فسادا . ومن ثم كان عهد ذلك الملك من أسوأ العهود التى مرت بمصر ، وقد بدأت قوة البطالمة منذ اعتلائه العرش فى التدهور والانهيار .

وقد بدأ بطليموس الرابع عهده بسلسلة من الجرائم البشعة ، اذ قتل امه برينيكى وعمه ليسيماخوس وأخاه ماجاس ، وكان ذلك بتحريض من وزيره سوسيبيوس ، الذى أراد أن يتخلص من كل الذين يقفون فى وجه مطامعه ،



« أرسينوى الرابعة »

فأفهم الملك بأنه لن ينعم بحياة هانئة الا اذا قضى على هؤلاء الثـــلاثة ، فعمل بمشورته .

وقد تزوج بطليموس الرابع من أخته أرسينوى الرابعة ، ولكنها عجزت عن مقاومة قوى الشر التى تحيط بزوجهـــا ، فاعتكفت فى قصرها حزينة يائسة .

وكان من نتيجة الحياة العابثة التى انهمك فيها بطليموس الرابع أنه أهمل العناية بالجيش والاسطول . فانتهز أنطيوخوس الثالث الفرصة وأعلن عليه

الحرب ليستولى على ممتلكاته ، وهى المعروفة بالحرب السورية الرابعة • وقد بدأ أنطيوخوس بالاستيلاء على سيليوكيا على نهر العاصى ، ثم شق طريقه عبر وادى مارسياس واستولى على صور وعكا ، ثم تابع زحفه للاستيلاء على جوف سوريا • وفى هذه الأثناء كان الذعر قد استولى على بطليموس الرابع ، لأنه لم يكن لديه جيش يصد به جيش أنطيوخوس ، ولـكن وزيره سوسيبوس استخدم دهاءه فأشاع أن بطليموس الرابع يتأهب على رأس جيش عظيم لغزو سوريا • فما بلغ ذلك أنطيوخوس حتى عاد الى سيليوكيا • وعندئذ تظاهر سوسيبوس بأن مصر على استعداد للتفاوض مع أنطيوخوس • وفى أثنـاء المفاوضات سارع سوسيبوس الى تكوين جيش يدافع به عن الممتلكات البطلمية وقد جمع له أربعة آلاف من اليونان المقيمين بمصر ، كما جمـع له من بلاد اليونان كل من أمكن استئجارهم من الضباط والجنود المرتزقة • ولكن عدد أولئك وهؤلاء لم يكن كافيا ، فاضطر لأن يلجأ فى هذا الظرف العصيب الى المصريين فجند منهم عشرين ألفا • وبذلك توفر له جيش كبير عكف على تدريبه فى الخفاء بواسطة القواد اليونانيين • ولكى يطيل مدة التدريب بقدر الامكان راح ينتحل المعاذير ليطيل أمد المفاوضات مع أنطيوخوس • ولكن هذا لم يلبث أن فطن الى الحيلة ، فقطع المفاوضات وواصل الزحف برا وبحرا على جـوف سوريا فاستولى عليه ، ثم زحف الى مصر على رأس جيش يتألف من اثنين وستين ألفا من المشاة وستة آلاف من الفرسان ، وعدد كبير من الأفيال الهندية • ولم يلبث أن التقى بالقرب من رفح بالجيش البطلمى الجديد ، وكان يتألف من خمسين ألفا من المشاة وخمسة آلاف من الفرسان ، وعدد كبير من الافيـال الافريقية • وقد التحم الجيشان يوم ٢٢ يونيو عام ٢١٧ قبل الميلاد ، فاستبسل الجنود المصريون فى الجيش البطلمى ، وأبدوا من صنوف القوة والجلـد والمهارة فى القتال ، ما كان معروفا من قديم الزمان عن أجدادهم الأبطال • ومن ثم هزموا المغيرين هزيمة ساحقة ، وشتتوا شملهم • فلم يسع أنطيوخوس الا أن ينسحب مع فلول جيشه ، ثم عقد بعد ذلك صلحا مع بطليموس الرابع ،

تنازل له بموجبه عن جوف سوريا ٠

بيد أن هذا النصر الذى تحقق فى موقعة رفح ، لم يكن نصرا لبطليموس الرابع ، بقدر ما كان نصرا للجنود المصريين الذين استعان بهم لأول مرة بعد أن كانوا محرومين من الانخراط فى سلك الجيش ، فأعادوا الى الأذهان انتصارات المصريين فى عصورهم الغابرة ، وأثبتوا أن الجنود المصريين أقدر وأمهر من الجنود اليونان ، ومن ثم اتقدت نار الوطنية فى قلوب المصريين جميعا ، فتشجعوا وتطلعوا الى طرد الغاصبين من بلادهم كما سبق أن طردوا الهكسوس والآشوريين وغيرهم من المغيرين والمعتدين ، فلم تلبث نار الثورة أن شبت فى كل أنحاء البلاد ٠ وقد تجمع المصريون فى المعابدثم هاجموا القوات اليونانية ، وقد أظهر بعض الكهنة فى الوجه البحرى ولاءهم للبطالمة ، فاعتدى الثوار عليهم وهدموا معابدهم ٠ أما كهنة الوجه القبلى فقد تزعموا الثورة ولا سيما فى طيبة التى كانت على الدوام قلعة الوطنية ومعقل الثورة ضد الطغاة والظالمين ٠ وقد اشتبك الثوار فيها مع البطالمة فى صراع عنيف بزعامة أرماخيس ثم أنخماخيس ٠ ولم تلبث طيبة أن انفصلت عن حكم البطالمة من عام ٢٠٦ الى عام ١٨٦ قبل الميلاد أى نحو عشرين عاما ٠ وقد كانت ثورة المصريين فى هذه المرة ثورة خطيرة اقتضت من البطالمة مجهودا حربيا عظيما لمقاومتها وقد استمرت نارها مشتعلة طوال عهد البطالمة ، فما كانوا يخمدونها فى مكان حتى تنشب فى مكان آخر ٠ فكان ذلك هو العامل الجوهرى فى ضعفهم الذى ظل يتزايد بسبب عوامل أخرى كذلك ، منها الصراع الداخلى على العرش بين البطالمة أنفسهم ، ومنها الخطر الخارجى الذى بدأ يظهر فى عالم البحر الأبيض المتوسط ، وهو الدولة الرومانية التى كانت فى ذلك الحين لا تفتأ تزداد قوة وخطرا فى المجال الدولى ، حتى أصبحت تهدد الممالك اليونانية كلها ٠ وقد أدت هذه العوامل متضافرة الى التدهور الاقتصادى الذى بدأيتفاقم فى مصر منذ عهد بطليموس الرابع ، وظل يتزايد بالتدريج ، ويتزايد معهضغط

الحكومة على الشعب وتحميلها اياه بالضرائب الفادحة ، مما أدى بدوره الى ازدياد اشتعال الثورة فى البلاد ، وانتشار المجاعات والقلاقل والمظالم وفساد الأداة الحاكمة ، وتمرد بعض حكام المقاطعات على السلطة المركزية واستقلالهم بمقاطعاتهم ، حتى أصبحت تسود البلاد حالة تشبه الحالة التى سادتها عقب سقوط الدولة القديمة والدولة الوسطى فى العصر الفرعونى .

وبينما كانت الثورة مشتعلة فى مصر ، كان فيليب الخامس ملك مقدونيا يخوض حربا شعواء مع روما وحلفائها الأيتوليين ، وهى التى عرفت بالحرب المقدونية الأولى ، وقد انتهت بالصلح عام ٢٠٦ قبل الميلاد . أما أنطيوخوس الثالث ملك سوريا فلم يذعن للهزيمة التى حاقت به فى موقعة رفح ، وانما راح يدعم أركان امبراطوريته ، فاستولى على ساردس عام ٢١٤ قبل الميلاد وقبض على حاكمها وهو ابن عمه أخايوس وقطع رأسه وأطرافه وألصقها بجلد حمار ، ثم صلب جسمه وتركه فريسة للطيور . ثم استرد أغلب الممتلكات السيليوكية فى آسيا الصغرى ، ثم وطد أقدامه فى ولاياته الشرقية بأواسط آسيا ولقب نفسه بالملك الأكبر ، وبعد ذلك راح يتاهب للثأر من بطليموس الرابع واسترداد ممتلكاته التى ضاعت منه فى سوريا وتراقيا وآسيا الصغرى، بيد أنه بينما كانت الاخطار تحيط بمصر وتتجمع السحب من حولها ، كان بطليموس الرابع سادرا فى غيه ، لاهيا عن الدنيا كلها بلهوه ومجونه .

وقد سار بطليموس الرابع فى ذات الطريق الذى سار فيه أسلافه ، فتظاهر باحترام الديانة المصرية والتقاليد المصرية ، وقد توج نفسه فرعونا على مصر واتخذ لنفسه كل الألقاب الفرعونية ، وفاض على المعابد المصرية بالهبات العظيمة وقدم القرابين لآلهتها ، وأقام بها كثيرا من التماثيل بدل ما نهبه الفرس منها ، وأصلح التماثيل التى كانت فى حاجة الى الاصلاح ، وأمر بأن تصاغ آنية المعابد من الذهب والفضة ، وقد أنفق فى كل ذلك مبالغ طائلة ، كما أجزل العطاء للكهنة ، ورغم أن كل ذلك لم يكن ناجما عن ايمان الملك أو

تقواه أو عدالته ، وانما عن حبه للبذخ وشغفه بالمظاهر وتعلقه بأسباب العظمة .
فقد قرر الكهنة ازاء ما أسبغه عليهم من أفضاله زيادة مظاهر التكريم والاجلال
التى تقدم له ولزوجته فى المعابد ، كما قرروا اقامة تمثالين لهما فى أبرز مكان
من كل معبد فى كل أنحاء مصر ، وتلاوة الصلاة أمام تلك التماثيل ثلاث مرات
كل يوم ، فضلا عن أنهم أنشأوا عيدا سنويا فى المعابد احتفالا بذكرى انتصار
الملك على أعدائه يستمر أحياؤه خمسة أيام كل عام . ومن ثم بالغ الملك بدوره
فى البذل والعطاء والتعمير والانشاء ، فواصل بناء معبد حوريس الذى بدأه
أبوه فى ادفو ، وأضاف الى مبانى معبد ايزيس الذى بدأه أبوه فى أسوان ، وبنى
قاعة قدس الأقداس فى معبد حوريس ، وزين جدرانها بنقوش بديعة ، وأتم
بناء المدخل الأكبر لذلك المعبد ، وأنشأ الباب المزدوج لردهته الكبيرة ، كما
قام بتشييد وتزيين كثير من معابد الاقصر ، وبنى معبدا صغيرا أنيقا يعرف
باسم دير المدينة ، وشرع فى اتمام المعبد الصغير الذى بدأه أبوه فى الفنتين ،
وبنى معبدا فى جزيرة فيلة ، ومعبدا فى جزيرة سهيل جنوبى أسوان .

بيد أن بطليموس الرابع ــ كغيره من البطالمة ــ جعل المكانة الأولى للديانة
اليونانية ، وقد وجه عناية كبيرة على الخصوص لعبادة ديونيسوس ، اذ زعم
أنه من نسله ، ومن ثم اعتبره الاله الحارس لمملكته ، كما تعلق بعبادة
أفروديتى . وعندما شيد سفينة عظيمة تضاهى القصور فى ضخامتها وفخامتها
حرص على أن تحوى هيكلين أحدهما لديونيسوس ، والآخر لأفروديتى . وقد
رفع بطليموس الرابع نفسه مع زوجته الى مصاف الآلهة ، وفرض على المصريين
عبادتهما باسم « الإلهين فيلو باتروس » ، أى الالهان المحبان لأبيهما . وقد
اشتهر هو بلقب « فيلو باتور » . ولعل مما يدعو الى السخرية أنه خصص
كاهنة لعبادة أمه برينيكى ، مع أنه هو الذى دس السم لها وقتلها .

واذ كان بطليموس الرابع فى حداثته تلميذا للعالم الكبير ايراتوستينوس
والفيلسوف الرواقى سفايروس ، فقد اهتم بالآداب والعلوم ، وقد شغف

- وهو فى غمرة لهوه وخلاعته - بالشعر ، فكتب قصة شعرية سماها « أدونيس » •

وقد انتهج بطليموس الرابع ازاء اليهود سياسة تخالف سياسة أسلافه، اذ بينما كانوا جميعا يعطفون عليهم ويشجعونهم على النزوح الى مصر والاقامة فيها ، فعل هو العكس فكرههم ، وعاملهم بالقسوة ، بل حاول القضاء عليهم • اذ يروى الكتاب الثالث من تاريخ المكابيين أن هذا الملك زار هيكل أورشليم عقب انتصاره فى موقعة رفح وأبدى رغبته فى دخول قدس الأقداس ، فرفض رئيس الكهنة وتذمر الشعب اليهودى ، لأنهم يعتبرونه من الأمم ودخوله قدس الأقداس ينجسه ، ومن ثم امتلأ بطليموس غضبا وغيظا وأضمر الشر لليهود ، حتى اذا عاد الى مصر طلب منهم أن يعبدوا ديونيسوس فرفضوا ذلك ، وعندئذ أصدر أمره الى قواده فى كل أنحاء البلاد بأن يقبضوا على كل اليهود بما فيهم النساء والأطفال ويرسلوهم اليه فى الاسكندرية ليقتلهم • وبالفعل أرسلوا اليه أعدادا ضخمة منهم ، فوضعهم فى حلبة سباق الخيل وسقى عددا كبيرا من الأفيال خمرا حتى سكرت ثم أطلقها عليهم لتفتك بهم • ويزعم المؤرخون اليهود أن الافيال بدلا من أن تهاجم الشعب اليهودى هاجمت جنود بطليموس ، فخاف هذا وأطلق سراح اليهود • ولذلك اعتاد اليهود أن يقيموا فى مدينة بطوليميس عيدا سنويا يحتفلون فيه لمدة أربعين يوما بنجاتهم من هذه الكارثة التى كادت أن تفنيهم • ولكن بطليموس الرابع ظل مع ذلك على كراهيته لهم وقد جردهم من امتيازاتهم فلم يستردوها بعد ذلك الا بعد أن دفعوا غرامة فادحة •

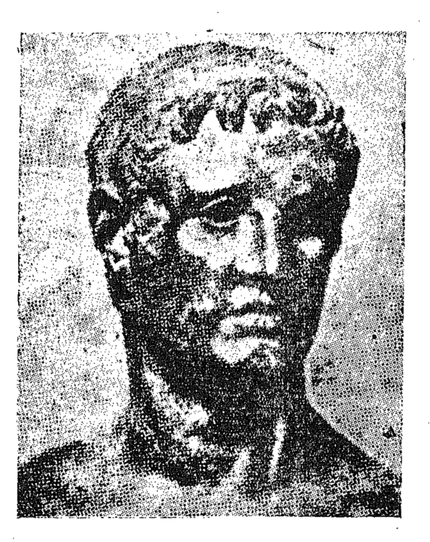
وفى عام ٢٠٤ قبل الميلاد ، كان أنطيوخوس ملك سوريا قد استرد قوته وتأهب لغزو مصر ، فسارع بطليموس الرابع الى عقد معاهدة تحالف مع مقدونيا ، وراح يستعد من جديد لمقاومة أنطيوخوس ، ولكنه توفى عام ٢٠٢ قبل الميلاد ولم يكن قد جاوز الأربعين من عمره فجلس على العرش بعده ابنه بطليموس الخامس ، وكان قد أشركه معه فى الملك منذ طفولته •

بطليموس الخامس

وكان بطليموس الخامس حين اعتلى العرش صبيا صغيرا ، وسرعان ماثار نزاع حول الوصاية عليه ، فقد قامت عصابة آجاثوكليس بمجرد وفاة بطليموس الرابع بقتل زوجته أرسينوى وتزييف وصية تتضمن تعيين سوسيبيوس وأجاثوكليس وصيين على ابنه ، فى حين زعم الرومان أن بطليموس الرابع قد عهد اليهم بالوصاية عليه . ولم يلبث سوسيبيوس أن مات فانفرد أجاثوكليس بالوصاية ، وترك الملك الصغير فى رعاية أخته أجاثوكليا وأمه أونيانثى ومن ثم بات ذلك الملك تحت رحمة تلك الأسرة المجرمة الداعرة .

وقد أراد أجاثوكليس أن يتخلص من الشخصيات البارزة التى كانت تنافسه وتسبب له المتاعب ، فعهد الى كل منها بعمل خارج مصر ، اذ سارع الى تعيين فيلامون الذى قتل أرسينوى حاكما على ليبيا ، وأرسل سكوباس الى بلاد اليونان ليجمع له الجنود المرتزقة ، وأوفد بيلوبس الى أنطيوخوس ليطلب اليه احترام المعاهدات القائمة بين الدولتين ، وأنفذ بطليموس بن أجسارخوس الى روما ليطلب الى مجلس الشيوخ أن يتوسط بين مصر وأنطيوخوس ، وكلف بطليموس بن سوسيبيوس بأن يعقد مع فيليب الخامس معاهدة تحالف ضد أنطيوخوس ، على أن تتزوج ابنة فيليب من بطليموس الخامس .. حتى اذا أبعد أجاثوكليس على هذا النحو كل الذين يخشى مناوأتهم له ، راح يملأ المناصب الكبرى فى الدولة بأصدقائه وندمائه من أحقر العناصر وأحط الطبقات ثم استأنف حياته الماجنة المتهتكة التى اعتادها فى عهد بطليموس الرابع . فلم يلبث الناس أن ضجوا من فساده واستبداده ، وراحوا يجاهرون بسخطهم عليه ورغبتهم فى التخلص منه ، يتزعمهم فى ذلك ثليبولموس قائد حامية بلوزيون ، فاندفع أجاثوكليس فى حملة انتقام رهيبة ، وقتل كل من رفع صوته بمعارضته ، ومن ثم ازدادت عوامل الحنق منه والثورة عليه ، حتى بلغ ذلك حد الغليان . وقد حدث فى هذه الاثناء أن أجاثوكليس اتهم أحد رجال الحرس

الملكى وهو مويراجنيس بأنه على صلة بعدوه تليموبولموس ، وأمر بتعـذيبه ، فخلع الجلادون عنه ملابسه ليفعلوا ذلك ، ولكنه استطاع الفرار وهو عار الى معسكر الجنود المقدونيين بالقرب من القصر الملكى ، وأفضى اليهم بما يدورداخل القصر من مهازل وموبقات ، وطلب اليهم انقاذ الملك من عصابة أجاثوكليس



« بطليموس الخامس »

الفاسقة ، فهب الجنود يهاجمون القصر ، ولم يلبث لهيب الثورة أن اندلع فى الاسكندرية كلها ، وقد أخذت الجماهير الغاضبة تتدفق من كل أنحاء المدينة الى ساحة القصر الملكى ، فاحتمى أجاثوكليس مع أقاربه وراء الأسوار ، وبعث رسولا الى الثوار يعرض عليهم أن يتنازل عن منصبه وعن كل سلطته وعن كل

ثروته اذا تركوه حيا ، ولكنهم راحوا يحطمون الاسوار في هياج شديد ،بينما راح هو وأخته أجاثوكليا وأمه أونيانثى يمدون أيديهم خلال القضبان يلتمسون الرحمة في ذل وضراعة ، بيد أن الجماهير أمسكت بهم وسحبتهم مع كل أقاربهم وخدمهم الى خارج القصر حيث مزقتهم اربا اربا ، ثم هجمت على بيت فيلامون الذى قتل أرسينوى وفتكت به وأخذت زوجته وهى عارية الى الميدان الكبير وذبحتها . وهكذا انتقم أهل الاسكندرية من تلك الأسرة التى طالما أذاقتهم صنوف الظلم والاستبداد .

وبعد ذلك أقيم تليبولوس وصيا على الملك ، فلما اتضح انه غير كفء لهذا المنصب أقيم فى مكانه أريستومنس . كما أقيم سكوباس قائدا للجيش . ولكن سكوباس لم يلبث أن دبر مؤامرة للاستيلاء على الحكم ، فقبض أريستومنس عليه وأعدمه هو وكل أقاربه وأعوانه ، ثم أراد أن يتخلص من متاعب الوصاية فاعلن أن الملك قد بلغ سن الرشد ، مع أنه لم يكن قد تجاوز الرابعة عشرة من عمره . ومن ثم انتهت الوصاية وقبض الملك على زمام الحكم بنفسه .

وفى هذه الأثناء اتفق أنطيوخوس ملك سوريا وفيليب ملك مقدونيا على انتهاز فرصة القلاقل السائدة فى مصر ، لاقتسام ممتلكاتها فيما بينهم . ومن ثم أعلن أنطيوخوس الحرب على مصر - وهى التى عرفت بالحرب السورية الخامسة - واستولى على ممتلكات مصر فى آسيا . وفى ذات الوقت استولى فيليب على ممتلكات مصر فى بحر ايجة ، ورغم أن مصر لم تحرك ساكنا ، فان ثمة قوة أخرى تحركت عندئذ وهى الدولة الرومانية التى أقلقها توسع المملكتين السورية والمقدونية ، فأرسل مجلس الشيوخ الرومانى انذارا الى فيليب ، كما أرسل وفدا الى أنطيوخوس يمنعه عن محاولة غزو مصر ويقنعه بأنه من الأفضل له أن يقف على الحياد فى النزاع بين روما وفيليب . الا أن فيليب لم يكترث بالانذار الرومانى وبادر الى مهاجمة تراقيا وأتيكا ، فأعلنت روما الحرب عليه - وهى المسماة بالحرب المقدونية الثانية - وهزمته فى موقعة كينوسكيفالاى

عام ١٩٧ قبل الميلاد ، وعندئذ سارع أنطيوخوس الى استرداد بعض الممتلكات السيليوكية التى كانت فى قبضة فيليب ، كما استولى على بعض المدن اليونانية وعندئذ تصدت له روما ــ وقد تفرغت للقضاء عليه بعد أن قضت على فيليب ــ وأنذرته باعادة الممتلكات البطلمية والمقدونية التى استولى عليها وبالابتعاد عن المدن اليونانية ، ولكنه رفض الانذار ، وراح يعمل على تدعيم قوته بالتحالف مع جيرانه ، ومن ثم عقد معاهدة صلح مع مصر عام ١٩٥ قبل الميلاد ، واتفق على زواج ابنته كليوبترا من بطليموس الخامس ملك مصر ، وكانت هدية العرس هى « جوف سوريا » • ولكن مصر لم تلبث أن أغضبت أنطيوخوس بتوددهــا الى الرومان • وذلك أن الوشاة قد أوغروا صدر بطليمــوس الخامس عــلى أريستومنس الذى كان يوجه السياسة المصرية ، فأرسل اليه كأسا من السم وأمره بأن يتجرعه ، ثم عين فى مكانه بوليكراتس الذى انتهج سياسة التذلف الى الرومان ، كى يعيدوا الى مصر ممتلكاتها السابقة ، ولكنه خاب أمله ، وطاش تقديره • لأن الرومان أعلنوا الحرب بعد ذلك على أنطيوخوس وطردوه من المدن اليونانية ، وبسطوا نفوذهم على الأناضول ، ولكنهم عند تقسيم الاســلاب تجاهلوا مصر وحرموها من ممتلكاتها ، فلم تجن مصر من وراء سياسة التمسح والاستجداء التى اتبعتها معهم الا الخزى والعار ، ولم تبق لها من امبراطوريتها الا قبرص وبرقة • فى حين أصبحت الدولة الرومانية صاحبة الكلمة العليا فى العالم الهيلينيستى ، وقد مهدت لها هذه الأحداث أن تتدخل فى شئون مصر وأن تبسط سلطانها الفعلى عليها ، فأصبحت تنتهز كل فرصة للتسرب اليهــا وتوطيد نفوذها فيها ، حتى أصبح بطليموس الخامس نفسه لا يحتفظ بعرشه الا تحت حمايتها •

وقد استمرت الثورة المصرية مشتعلة فى عهد بطليموس الخامس كما كانت فى عهد أبيه ، وعلى الرغم من العقاب الصارم الذى أنزله بالثوار عــام ١٩٧ قبل الميلاد لم يخمد أوار الثورة ولا سيما فى طيبة التى ظلت منفصلة عن

حكم البطالمة منذ عهد بطليموس الرابع حتى تمكن بطليموس الخامس من القبض على زعيمها أنخماخيس عام ١٨٦ قبل الميلاد ، ثم تمكن هذا الملك بواسطة بوليكراتس من القضاء على الثورة فى الدلتا بعد ذلك بثلاثة أعوام حين استولى على سايس وقبض على زعمائها وكان منهم أثينيس وبارسيراس وخيسوفوس وتروباستوس ، وهم أمراء مصريون كانوا ينحدرون من سلالة بعض الفراعنة القدماء ويعملون على اقامة أسرة حاكمة جديدة تحرر مصر من غاصبيها وتعيد اليها مجدها الغابر · فما وقع أولئك الزعماء المصريون فى يد بطليموس الخامس حتى نكل بهم تنكيلا شديدا - مع أنه كان قد أمنهم على حياتهم - اذ شد وثاقهم الى عجلته الحربية وراح يجرهم وراءه فى شوارع الاسكندرية وهم عارون حتى تمزقت أجسامهم ، ثم أعدمهم · فكان لهذه الوحشية أسوأ الأثر فى نفوس المصريين الذين ظلت الثورة تغلى فى صدورهم وظلوا يترقبون الفرصة للانتقام من أولئك الطغاة والتحرر من ربقتهم · ومن ثم أصبح الملك وأعوانه يعيشون فى خطر دائم ، وقد اضطروا الى تشديد الحراسة على أنفسهم فى كل تحركاتهم وقد أكثر الملك من استخدام الجواسيس لمراقبة الأهالى والتبليغ عن كل حركاتهم وسكناتهم · وقد استغل أولئك الجواسيس وظيفتهم أبشع استغلال فراحوا يتهمون الناس بالباطل ويعيثون فى البلاد فسادا ·

والعجيب أن ذلك الملك الذى اشتهر بالخلق العنيف الوحشى ، والذى تغلب فيه حب الانتقام على كل نزعة شريفة ، أظهر كل الاحترام للديانة المصرية ، وأغدق أموالا طائلة على المعابد ، وخصص لها راتبا سنويا من القمح ، واحتفظ لها بكل الموارد التى كان أبوه قد وقفها عليها ، وأسس كثيرا من المعابد والهياكل والمذابح ، وأصلح ما يحتاج منها الى الاصلاح · وقد ساهم فى اتمام معبد ادفو ، وشيد مدخلا لمعبد امحوتب فى جزيرة فيلة ، ولذلك قرر له الكهنة من مظاهر التكريم والتبجيل نظير ما سبق أن قرروه لأبيه · وقد توج بطليموس الخامس نفسه فرعونا على مصر طبقا للتقاليد المصرية وحمل كل الألقاب

الفرعونية • الا أنه ككل أسلافه ظل مخلصا للديانة اليونانية وقد رفع نفسه حين بلغ سن الرشد الى مصاف الآلهة ، وفرض على المصريين عبادته باسم «الاله أبيفانس اموخارستوس » أى الاله الظاهر الكريم • ثم حين تزوج من كليوبترا الأولى ابنة أنطيوخوس الثالث أشركها معه فى الألوهية وأصبحا يعرفان باسم « الالهين ابيفانس » •

وقد ظل بطليموس الخامس منهمكا فى اخماد الثورة المصرية ، بينما ضاعت ـ من جراء سوء سياسته ـ كل الامبراطورية البطلمية ، وتغلغل النفوذ الرومانى فى مصر • ولكنه ما علم بوفاة أنطيوخوس الثالث عام ١٨٧ قبل الميلاد، وجلوس ابنه الضعيف سيليوكوس الرابع على عرش سوريا ، حتى لاح له أن الفرصة قد سنحت لاستعادة بعض ممتلكاته الضائعة • ومن ثم راح يعزز جيشه ويجمع له الجنود المرتزقة ، ولكنه توفى عام ١٨٠ قبل الميلاد ، فجلس على العرش بعده ابنه بطليموس السادس •

بطليموس السادس

ولم يكن بطليموس السادس حين جلس على العرش يتعدى السابعة من عمره ، فتولت الوصاية عليه أمه كليوبترا الأولى ، ولكنها توفيت بعد أربع سنوات فحل محلها فى الوصاية على الملك الصغير مربيه الخصى يولايوس والعبد السورى ليناايوس ، وقد سيطرا على حكم البلاد وانفردا فيها بالسلطان • حتى اذا بلغ بطليوس السادس سن الرشد تزوج أخته كليوبترا الثانية •

وقد حاول بطليوس السادس ـ بناء على مشورة يولايوس ولينااوس ـ أن يسترد جوف سوريا فأعلن الحرب على أنطيوخوس الرابع • ولم تلبث جيوش الملكين أن التقت عند تل كاسيون ، ودار بين الجانبين قتال عنيف أدى الى هزيمة الجيش البطلمى هزيمة منكرة ، وقد استولى أنطيوخوس على بلوزيون ثم زحف الى منف • وعندئذ هرب يولايوس وليناايوس الى الاسكندرية فحنق عليهما

الاسكندريون وقتلوهما وأقاموا فى مكانهما كومانوس وكينياس • غير أن بطليموس السادس حاول الهرب هو الآخر الى ساموتراقيا فقبض عليه أنطيوخوس وأعاده أسيرا الى بلوزيون ، وأرغمه على قبول شروط الصلح التى كانت تتضمن اعترافه بحماية أنطيوخوس • ومن ثم خلعه الاسكندريون ونادوا بأخيه بطليموس الصغير ملكا فى مكانه • أما أنطيوخوس فقد توج نفسه فى منف فرعونا على مصر ، ثم زحف الى الاسكندرية بحجة الدفاع عن حقوق الملك المخلوع • ولكن كومانوس وكينياس اعتزما الدفاع عن المدينة فحاصرها أنطيوخوس وقطع وسائل الاتصال بينها وبين سائر أنحاء البلاد مصمما على اخضاعها ، ولكنه فى هذه الاثناء بلغته أنباء اضطرابات وقلاقل أثارها اليهود فى فلسطين فقفل راجعا الى مملكته بعد أن ترك حامية فى بلوزيون ، وهو مطمئن الى أن النزاع بين بطليموس السادس وأخيه بطليموس الصغير سيمهد له سبيل العودة الى غزو مصر • الا أنه بمجرد أن انسحب أنطيوخوس من مصر تم الاتفاق بين الأخوين على أن يحكما معا بالاشتراك مع كليوبترا الثانية • فزحف أنطيوخوس مرة أخرى على مصر واستولى على بلوزيون ، ثم زحف منها الى منف ، ثم اتجه الى الاسكندرية فاستولى عليها ، وعندئذ هرب الملكان الى روما • ولم يلبث مجلس الشيوخ الرومانى أن أوفد سفيره برسالة الى أنطيوخوس يأمره فيها بالانسحاب من مصر • وحين قابل السفير الرومانى أنطيوخوس سلمه رسالة مجلس الشيوخ فى صلف دون أن يحييه أو يرد على تحيته وطلب اليه أن يقرأ الرسالة ويعطيه الاجابة عما بها فى الحال ، فقال الملك انه سيتدبر الأمر مع رفاقه • وعندئذ أمسك السفير عصاه ورسم بها على الأرض دائرة حول أنطيوخوس وطلب اليه أن يعطيه اجابة قبل أن يخطو خارج هذه الدائرة ، فتخاذل الملك وقرر أنه سيذعن لطلب مجلس الشيوخ ، ومن ثم اضطر لأن ينسحب من مصر • ومنذ ذلك الحين أصبحت مصر خاضعة لنفوذ الدولة الرومانية ، وأصبح البطالمة أداة فى يد هذه الدولة التى كانت تزداد مع الايام قوة ، وكانت امبراطوريتها لا تفتأ تزداد اتساعا •

وفى غمرة هذه الأحداث كانت تبرز قوة أخرى تهـــدد دولة البطالمة بالانهيار والسقوط ، وتلك هى قوة الشعب المصرى الذى انتهز فرصة اضمحلال سلطان البطالمة ليعمل على الخلاص منهم فأشعل نار الثورة فى كـــل أرجاء القطر • وقد حمل الشعـــلة فى هـــذه المرة زعيم مصرى يدعى ديوينسوس بتوسيرابيس ، وكان من أفراد الحاشية الملكية ، الا أنه كان يضمر الاخـلاص للمصريين ويتمتع بحبهم له وثقتهم فيه • وقد انتهز فرصة الخلاف الذى نشب بين بطليموس السادس وأخيه بطليموس الصغير ليعمل على التخلص من البطالمة جميعا وتحرير البلاد من ربقتهم ، ومن ثم تظاهر بتأييد بطليموس الصغير ، لأنه كان يعرف أن الاسكندريين يحبونه ، وأشاع بينهم أن بطليموس السادس يدبر مؤامرة لقتله ، فثارت ثائرتهم وتجمعوا فى شوارع المدينة عاقدين العزم على قتل بطليموس السادس ، ولكن هذا سارع الى أخيه وأقنعه بأن ديونيسوس هو الذى دبر هذه المؤامرة ليغتصب العرش لنفسه ، ومن ثم اصطلح الأخوان وظهرا أمام الاسكندريين معا • وبذلك فشل تدبير ديونيسوس ، ولكنه لـــم ييأس ، وانما راح يحض الجنود المصريين على الثورة فانضم اليه منهم نحو أربعة آلاف ، وتجمعوا فى ضاحية الاسكندرية التى كانت تسمى اليوسيس ، الا أن بطليموس السادس بادر اليهم وشتت شملهم ، فهرب ديونيسوس الى داخل البلاد وراح يلهب حماس المصريين ضد البطالمة ، فاجتمع حوله عدد كبير منهم ، ومن ثم انفجرت مراجل الثورة فى كل أنحاء البلاد • وقد روى المؤرخ اليونانى ديودور الصقلى أنباء هذه الثورة ، وقال أن بطليموس الثانى خرج بنفسه على رأس جيش كبير لقمعها ، فما كان يتمكن من القضاء عليها فى مكان حتى تشتعل فى مكان آخر ، وقد قاومته منطقة طيبة مقاومة عنيفـــة ، ولا سيما مدينـــة بانوبوليس التى كانت فى مكان اخميم الحالية ، فقد اعتصم بها الثوار لارتفاعها ومناعة موقعها ، فلم يتمكن الملك من اقتحامها الا بعد حصار عنيف ، وقد نكل الملك بالثوار الذين وقعوا فى يده تنكيلا بشعا ، ثم أعدمهم • بيد أن عـــددا عظيما من المصريين هربوا الى الصحارى البعيدة واختفوا هناك زمنا طويلا حتى

لا يقعوا فى يد الملك • وقد نجم عن هذه الثورة الواسعة النطاق تدهور الحياة الاقتصادية فى البلاد ، اذ كان الفلاحون قد هجروا أرضهم ، وكان العمال قد هجروا مصانعهم ، ومن ثم أصدر بطليموس السادس أمره بارغام الجميع ارغاما على العمل المضاعف لتعويض العجز الذى حدث فى الزراعة والصناعة • الا أن الارغام كان سلاحا وخيم العواقب اذ لم يلبث أن أدى الى مزيد من الطغيان ، وبالتالى الى مزيد من الثورة •

ولم يلبث بطليموس الصغير أن ناصب أخاه بطليموس السادس العداء وأثار الاسكندريين ضده حتى اضطر الى الفرار من الاسكندرية فى أواخر عام ١٦٤ قبل الميلاد لاجئا الى روما • وقد ذكر ديودور الصقلى أن بطليموس السادس قطع المسافة بين الشاطىء الايطالى وروما سيرا على الاقدام وهو يرتدى ملابس الفقراء ، وأقام هناك فى مسكن حقير مع رسام متواضع كان قد عرفه فى الاسكندرية • ولكن مجلس الشيوخ الرومانى سارع الى انتهاز هذه الفرصة لتنفيذ سياسته فى مصر باشعال نار الفتنة فيها فاحتضن الملك الطريد وأشار عليه بالذهاب الى قبرص والانتظار هناك حتى يمهد له طريق العودة الى مصر • ثم أرسل بعثة الى بطليموس الصغير تنصحه بقبول مبدأ تقسيم البلاد بينه وبين أخيه • الا أن الاسكندريين كانوا فى هذه الأثناء قد عرفوا أخلاق بطليموس الصغير على حقيقتها ، وضاقوا بطغيانه وشراسته وتعطشه للدماء ، فغضبوا عليه وأرسلوا الى بطليموس السادس يستدعونه من قبرص ليحكم بلاده بدلا منه • فلما رأت بعثة مجلس الشيوخ الرومانى ذلك تحولت عن مساعدة بطليموس السادس الى مساعدة أخيه بطليموس الصغير ،وراحت تضغط على الأخوين حتى اتفقا على تقسيم المملكة بينهما ، فكانت مصر وقبرص من نصيب بطليموس السادس ، وكانت برقة من نصيب بطليموس الصغير • وهكذا نجح الرومان ــ تحت ستار السعى الى التوفيق بين الأخوين ــ فى تمزيق دولة البطالمة •

وقد أراد بطليموس السادس أن يخفف من سخط الشعب عليه ويضمن

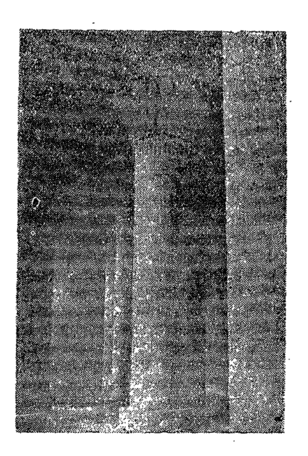
لنفسه شيئا من الهدوء والاستقرار ، فاصدر عام ١٦٣ قبل الميلاد قرارا بالعفو عن كل الجرائم التى وقعت منذ أن جلس على العرش ، الا أن روما لم تترك له أى فرصة لينعم بالهدوء والاستقرار اللذين ينشدهما ، اذ راحت تشجع أخاه بطليموس الصغير على أن يقض مضجعه بمطامعه وبتطلعه الى الاستيـــلاء على قبرص ، وبالفعل استجابت روما له وقررت ضم قبرص الى برقة وتنصيب بطليموس الصغير ملكا عليهما • ومن ثم وقع الصدام بين الأخوين ، ولكنـــه انتهى بهزيمة بطليموس الصغير ، فلم يعد يطالب بقبرص مرة أخرى •

وفى عام ١٥٣ قبل الميلاد أشرك بطليموس السادس ابنـه الأكبر معه على العرش ، ولكن هذا الابن لم يلبث أن توفى بعد ثلاث سنوات •

أما أنطيوخوس الرابع ملك سوريا فقد توفى عام ١٦٣ قبل الميـــلاد ، وجلس على العرش فى مكانه ابنه الطفل أنطيوخوس الخامس • الا أن ديمتريوس الابن الأكبر لسيليوكوس الرابع لم يلبث أن قتـــل أنطيوخـــوس الخامس واغتصب عرشه ، ثم لم يلبث الاسكنـــدر ابن أنطيوخوس الرابع أن قتـــل ديمتريوس واغتصب العرش بدوره وتزوج من كليوبترا‌ثيا ابنـــة بطليموس السادس • وفى عام ١٤٧ قبل الميلاد غزا ديمتريوس الثانى ابن ديمتريوس الأول سوريا ، فسارع بطليموس السادس على رأس جيشه وأسطوله لمساعدة الاسكندر ولكن هذا تنكر له فانضم الى ديمتريوس ودار بين الجانبين قتـــال عنيف أسفر عن مصرع الاسكندر كما أسفر عن مصرع بطليموس السادس ،ومن ثم استولى ديمتريوس على الجيش البطلمى وجلس على عرش سوريا •

وقد انتهج بطليموس السادس سياسة أسلافه ، فتظاهر باحترام الديانة المصرية وساهم فى تشييد المعابد ، فوضع أساس معبد خنوم فى اسنا ومعبد سبك وحوريس فى كوم امبو ، وبنى هيكلا فى معبد موت ، وأضاف مدخلا الى معبد بتاح فى الكرنك ، واستمر فى بناء معبد ادفو ومعبد ايزيس فى جزيرة فيلة ، وأقام معبدا لحاتحور فى هذه الجزيرة •

وقد انتهج بطليموس السادس سياسة أسلافه كذلك فى تمجيد الديانة اليونانية ، فحين جلس على العرش وهو طفل صغير رفعته أمه الى مصاف الآلهة باسم « الاله فيلوميتور » أى الاله المحب لأمه • وحين تزوج من أخته كليوبترا الثانية رفعها معه الى الألوهية فأصبحا يلقبان معا بالالهين فيلومتورس •



« معبد خنوم فى اسنا »

وفى عهد بطليموس السادس نزح الى مصر كثير من يهود فلسطين هربا من اضطهاد أنطيوخوس الرابع لهم ، اذ فرض عليهم الديانة اليونانية ، فثاروا عليه بزعامة رئيس كهنتهم أونياس • وقد هـــرب أونياس الى مصر فشمله بطليموس الرابع برعايته ومنحه مساحة كبيرة من الأرض على الفرع الشرقى للنيل ، اشتهرت بعد ذلك باسم « أرض أونياس » • كما منحه أرضا فى اقليم ليونتوبوليس ليقيم عليها هيكلا يشبه هيكل أورشليم • وقد ظلت

الطقوس اليهودية تقام فى هذا المعبد منذ انشائه عام ١٦٠ قبل الميلاد الى أن أغلقه فسباسيان عام ٧٣ بعد الميلاد • وقد شمل بطليموس السادس اليهود بعطفه وعمل على استرضائهم ليكتسب تأييدهم فى مواجهة اليونان من أهل الاسكندرية الذين كانوا يكرهونه ويحبون أخاه بطليموس الصغير ، وفى مواجهة المصريين فى كل أنحاء القطر الذين كانوا يكرهون البطالمة جميعا ، ومن ثم اشتعلت نار العداوة المريرة بين اليهود من ناحية ، واليونان والمصريين من ناحية أخرى • ومنذ ذلك الوقت بدأت تظهر الرسائل اليونانية التى تهاجم اليهود ، كما بدأت تظهر الرسائل اليهودية التى تهاجم اليونان ، وظل الجانبان يتقاذفان هذه الرسائل طوال العصر الهيلينستى ، فكان لها أسوأ الأثر فى آداب هذا العصر وأخلاقه •

وقد كانت وفاة بطليموس السادس فى عام ١٤٥ قبل الميلاد ، فجلس على العرش بعده ابنه بطليموس السابع •

بطليموس السابع

وكان بطليموس السابع هو الابن الأصغر لبطليموس السادس ، وكان لا يزال صغيرا حين مات أبوه فجلس على العرش تحت وصاية أمه كليوبترا الثانية • وقد ارتفع الى مصاف الآلهة باسم « نيوس فيلوباتور » أى فيلوباتور الجديد • ولكن بطليموس ملك برقة ــ وهو عمه وخاله فى نفس الوقت ــ راح يتطلع الى ارتقاء عرش مصر ، وقد انتهزت روما هذه الفرصة ــ على مقتضى سياستها المرسومة ــ لتتدخل فى شئون مصر ، فراحت تساند ملك برقة فى مطامعه وبعثت رسولا الى كليوبترا الثانية ليقنعها بأن تتزوج من أخيها ملك برقة وأن يحكما مصر معا بالاشتراك مع ابنها بطليموس السابع • وبالفعل تم ذلك وجلس ملك برقة على عرش مصر باسم بطليموس الثامن عام ١٤٥ قبل الميلاد •

بطليموس الثامن

وقد اعتبر بطليموس الثامن عام ١٤٥ عامه الخـــامس والعشرين على العرش باعتبار أن حكمه قد بدأ منذ المناداة به ملكا على مصر للمرة الأولى عام ١٧٠ قبل الميلاد ٠

ويؤكد جوستينوس أن بطليموس الثامن قتل بطليموس السابع وهو بين ذراعى أمه كليوبترا الثانية ليلة زفافه بها ٠ وهكذا بدأ ذلك الملك المتوحش عهده بهذه الجريمة النكراء ، وقد افتتح بها سلسلة من الجرائم التى لطخت كل تاريخه بالدماء ٠ فقد راح يقتل كل من يضمر العداوة له أو يساوره أقل شك فى اخلاصه ٠ وقد صب جام غضبه بوجه خاص على اليهود لأنهم سبق أن وقفوا ضده فى نزاعه مع أخيه بطليموس السادس ، ثم وقفوا ضده بعد ذلك فى نزاعه مع كليوبترا الثانية ٠ وقد جاء فى كتاب المكابيين الثالث أن بطليموس الثامن عقد العزم على اهلاك اليهود جميعا ، فلم ينقذهم من انتقامه الا توسلات احدى محظياته ٠ كما أمعن بطليموس الثامن فى اضطهاد علماء الاسكندريةوكل البارزين فيها من فنانين وفلاسفة ، لأنهم كانوا يميلون الى بطليموس السادس، فهربوا الى كل أنحاء العالم اليونانى ٠ بل لقد امتد طغيان بطليموس الثامن الى زوجته كليوبترا الثانية ، اذ كانت امرأة قوية الشخصية شديدة المراس ،وقد أراد أن يكسر شوكتها فتزوج من ابنتها كليوبترا الثالثة وكانت أقوى من أمها شخصية وأشد مراسا وأشركها معه على العرش ٠ وقد اعتقد بطليموس الثامن أنه بهذه المجازر والاضطهادات وهذا العنف والطغيان قد اكتسب احتراماوهيبة فى أعين الشعب ، ولكن الذى حدث فى الواقع أنه ملأ قلوب الناس كراهية له وفزعا منه وحقدا عليه ، فلم تلبث الثورة أن نشبت فى الاسكندرية عام ١٣١ قبل الميلاد ، وقد أراد بطليموس الثامن أن يخمدها فى مهدها بعمل رهيب يلقى الرعب فى قلوب الرعية ، فانتهز فرصة امتلاء الجيمنازيوم بالاسكندريين فى أحد الاحتفالات وطوقه بجنوده وأشعل النار فيه وأمر جنوده بأن يقتلوا

كل من يحاول الفرار منه وقد أصبح كالأتون المتأجج . وعندئذ اندلع لهيب الغضب فى الاسكندرية واشتد الهياج فى كل أنحائها ، فاندفع الاسكندريون ، وقد جن جنونهم ، وأشعلوا النار فى قصر الملك ليحرقوه فى داخله كما أحرق مواطنيهم ، ولكن الملك هرب من أحد الأبواب الخلفية وأقلع عن طريق البحر الى قبرص ، وقد أخذ معه كليوبترا الثالثة وأولاده منها ، كما أخذ معه أحد أبنائه من كليوبترا الثانية وهو ممفتيس . وبذلك بقيت كليوبترا الثانية وحدها على العرش . وقد سمع الملك وهو فى قبرص أن الاسكندريين حطموا تماثيله فاستشاط غضبا وقتل ابنه ممفتيس ومزق جسده الى أشلاء صغيرة وبعث بها الى أمه كليوبترا الثانية هدية فى عيد ميلادها . ثم بعد عامين عاد بطليموس الثامن الى الاسكندرية ودخلها بعد صراع عنيف مع كليوبترا الثانية وأنصارها . وقد انتهز المصريون فرصة هذا الصراع لتمزيق أوصال العائلة البطلمية والخلاص منها فتظاهروا بمناصرة بطليموس الثامن ضد كليوبترا التى كان يؤيدها اليونان واليهود . ومن ثم اشتعلت نار الثورة فى كل أنحاء البلاد . وقد ظلت الاسكندرية تقاوم بطليموس الثامن أكثر من عامين ، حتى اذا شعرت كليوبترا أن مركزها بدأ يضعف أرسلت الى زوج ابنتها ديمتريوس الثانى ملك سوريا تحرضه على غزو مصر ، فانتهز الفرصة لتحقيق أطماعه وزحف الى مصر على رأس جيش كبير ، ولكنه حين بلغ بلوزيون امتنع جيشه عن الاشتباك بالجيش البطلمى ، فاضطر الى الانسحاب ، ومن ثم تحطمت آمال كليوبترا فولت هاربة الى سوريا وقد حملت معها كنوز دولتها ، عاقدة العزم على تكوين جيش تستعيد بواسطته عرشها . وقد عمل بطليموس على احباط خطتها ، فأرسل الى انطاكية شابا يدعى اسكندر ، وقد ادعى أنه ابن اسكندر بالاس ، فى حين أنه فى الحقيقة ابن تاجر مصرى يدعى بروتارخوس ، وقد أقام بطليموس هذا الشاب منافسا لديمتريوس على العرش باعتباره الوارث الشرعى له ، فما مضت ثلاث سنوات حتى تمكن من هزيمة ديمتريوس واغتصاب العرش منه ، بينما حاول ديمتريوس الفرار الى عكا ، ولكن زوجته السابقة

« كليوبتراثيا » أوصدت دونه أبواب هذه المدينة ، ثم ظلت تطارده حتى قتلته، ثم قتلت اسكندر الذى اغتصب عرشه ، كما قتلت ابنها سيليوكوس الخامس لأنه أعلن نفسه ملكا دون استئذانها ، وأشركت معها على العرش ابنها الآخر أنطيوخوس الثامن الذى تزوج « كليوبترا تريفاينا » ابنة بطليموس الثامن من كليوبترا الثالثة . وقد حاولت « كليوبترا ثيا » بعد ذلك أن تدس السم لابنها أنطيوخوس الثامن لتنفرد بالسلطان ، ولكنه إكتشف مكيدتها فأرغمها على أن تتجرع السم الذى كانت تريده أن يتجرعه .

أما المصريون فقد استمروا فى ثورتهم بسبب ما كانوا يعانونه على يد البطالمة من عسف وعنف وارهاق . وقد حاول بطليموس الثامن خلال سنوات طويلة أن يخمد ثورة المصريين بالقوة والبطش ، ولكنه عجز عن ذلك فلم يسعه فى أواخر عهده الا أن يلجأ الى ملاينتهم واكتساب رضاهم فأصدر عام ١١٨ سلسلة قرارات تهدف الى معالجة الأسباب التى أثارتهم . ويبدو فى هـــذه القرارات مدى ما كان المصريون يتعرضون له من ظـــلم صارخ ، وما كانوا يرزحون تحته من أعباء باهظة فادحة . كما يبدو فى هذه القرارات مدى ما كانت البلاد قد وصلت اليه فى ذلك الحين من اضطراب وفوضى ، وقد انتشرت فيها أعمال العنف والتخريب والتمرد على القوانين والامتناع عن دفع الضرائب والهروب من المزارع والمصانع والاعتصام بالمعابد والصحراوات ، ومن ثم بلغ التدهور الاقتصادى فى البلاد حدا مخيفا ، وتفاقم خطر المجاعة حتى لم يجـد الملك مناصا من تقرير العفو الشامل عن الثوار والعمل على حماية المصريين من جور الموظفين وتعسفهم . الا أنه لم يمكنه مع ذلك التخفيف من ضنك الطبقات العاملة وما كانت تعانيه من بؤس ، حتى لقد بدأ المصريون من فرط حاجتهم وفقرهم يقتلون أطفالهم .

ولما كانت المعابد المصرية هى منابع الثورة ومعاقلها وكانت من أخطـــر القوى المناهضة للبطالمة ، فقد رأى بطليموس الثامن ـ بعد أن عجز عن مقاومتها ـ

أن من الحكمة مداراتها واسترضاءها وسط الأخطار التى كانت تكتنفه ، ومن ثم أجزل لها العطاء ، ووهبها كثيرا من الأراضى ، واعترف بحقها فى حمـاية اللاجئين اليها ، وأعفاها من كثير من الضرائب ، وقام ببناء واصلاح كثير من المعابد ، فأقام معبد أبيت فى الكرنك ، وأنشأ صروحا جديدة فى معبد هـابو وشيد بالقرب منه هيكلا صغيرا للاله تحوت ، وأتم معبد حاتحور فى فيلـة ، وأقام مسلتين صغيرتين من الجرانيت أمام معبد ايزيس الكبير فى تلك الجزيرة ، وقام بعمل زخارف ونقوش فى معبد ادفو ٠

ولكن بطليموس الثامن راعى التقاليد اليونانية ، فاتخذ لنفسه لقب الاله يورجيتيس الثانى ، وحين تزوج كليوبترا الثانية ، أصبحا يلقبان معاً بالالهين يورجيتيس ٠

وقد توفى بطليموس الثامن فى عام ١١٦ قبل الميلاد ، وكان فى الخامسة والستين من عمره ، بعد أن اكتسب من جراء وحشيته وتعطشه الى الدماء سمعة بشعة ظلت لاصقة به ولاحقة باسمه ، فلم تفلح فى محوها كل الجهود التى بذلها فى شيخوخته لاسترضاء رعيته ٠ وقد ارتكب ذلك الملك فى ختام حياته المليئة بالأخطاء خطأ جسيما أدى الى سلسلة من المتاعب والاضطرابات ، اذ تغاضى عن التقاليد المعمول بها فترك وصية يمنح فيها زوجته كليوبترا الثالثة حرية اختيار من تشركه معها فى الملك من ابنيها بطليموس اسكندر وبطليموس سوتر الثانى ٠ ولما كانت تحب الأول فقد اختارته ، ولـكن الاسكندريين اختاروا الثانى ، ومن ثم نشب الصراع بين الجانبين ٠ ولكن كليوبترا الثالثة قد طغت بشخصيتها القوية على ابنيها معا ، وقد أصبحت هى الحاكم الحقيقى لمصر ، وكان حكمها قاسيا عنيفا مصطبغا بالدماء حتى لقد سماها الاسكندريون « الملكة الحمراء » ٠

* * *

بطليموس التاسع

وقد كان بطليموس التاسع حين توفى أبوه فى نحو الخامسة والعشرين من عمره ، وكان مقيما فى قبرص ، واذ كانت أمه كليوبترا الثالثة تضمر له كراهية شديدة ، فقد فضلت عليه أخاه الاسكندر كما رأينا ليخلف أباه على العرش ، ولكن الاسكندريين أرغموها على اسناد العرش الى وارثه الشرعى وهو بطليموس التاسع ، أما الاسكندر فقد أقامته نائبا للملك فى قبرص ، وقد سيطرت كليوبترا الثالثة على بطليموس التاسع حتى لقد أرغمته على أن يطلق ابنتها كليوبترا الرابعة ويتزوج ابنتها الأخرى كليوبترا الخامسة التى كانت تسمى كليوبترا سيلينى ، أى القمر ، الا أن كليوبترا الرابعة ـ وقد كانت قوية الشخصية شديدة المراس ـ لم تستسلم لمصيرها بل صممت على أن تقهر أمها كما قهرت هذه أمها من قبل ، ومن ثم اتجهت الى قبرص حيث كونت جيشا من الجنود المقيمين هناك ثم أخذته الى سوريا حيث تزوجت أنطيوخوس التاسع وكان قد اغتصب العرش من أخيه أنطيوخوس الثامن ، زوج أختها كليوبترا تريفاينا ، ولكن أنطيوخوس الثامن لم يلبث أن عاد واستولى على أنطاكية فهربت كليوبترا الرابعة الى معبد أبوللون فى دافنى فقتلها أنطيوخوس الثامن بتحريض من أختها كليوبترا تريفاينا ، ويقال أنها تعلقت بيديها فى المذبح المقدس حتى اضطر قاتلها كى ينتزعها منه أن يقطع يديها • ثم لم تلبث كليوبترا تريفاينا أن وقعت فى قبضة أنطيوخوس التاسع فقتلها انتقاما لأختها • وقد تمزقت المملكة السورية بين الأخوين أنطيوخوس الثامن وأنطيوخوس التاسع ، فكان الأول يحكم سوريا السيليوكية ، وكان الثانى يحكم جوف سوريا • وكان اليهود يعتدون على مملكة أنطيوخوس التاسع وقد حاصروا مدينة السامرة فى أواخر أيام هركانوس فاستغاث ببطليموس التاسع الذى أرسل اليه جيشا مكونا من ستة آلاف رجل ، ولكن اليهود هزموه واستولوا على المدينة وذبحوا أهلها • وقد أثار تصرف بطليموس التاسع غضب أمه كليوبترا الثالثة ،فدبرت

مؤامرة للتخلص منه ، اذ أوعزت الى بعض خدمها أن ينطلقوا فى الشوارع وقد خضبوا أنفسهم بالدماء ويشيعوا بين الاسكندريين أن الملك أراد أن يقتل أمه ، فلما فعلوا ذلك غضب الاسكندريون وأسرعوا يريدون أن يقتلوا الملك ، فهرب عن طريق البحر الى قبرص تاركا وراءه زوجته وأبناءه ، وعنـــدئذ استدعت



« كليوبترا الرابعة »

كليوبترا ابنها الاسكندر وأشركته معها على العرش باسم بطليموس العاشر ، وأرسلت قوة الى بطليموس التاسع لتطرده من قبرص ، ولكنهـــا أخفقت فى ذلك ، فظلت الحرب مستعرة بينهما الى أن توفيت كليوبترا الثالثة عام ١٠١ قبل الميلاد ، وبوفاتها انفرد بطليموس العاشر بعرش مصر ، وظل كذلك الى أن توفى عام ٨٨ قبل الميلاد ، فعاد بطليموس التاسع من قبرص الى مصر وجلس على عرشها بالاشتراك مع ابنته برينيكى ٠

وقد ثار المصريون فى الفترة الثانية من عهد بطليموس التاسع ثورة عارمة بسبب ما كانوا يعانونه من المظالم ٠ وكانت طيبة هى معقل الثورة ، فحاصرها بطليموس وظل يهاجمها ثلاث سنوات ، حتى اذا تمكن أخيرا من اقتحامها أشاع فيها الخراب والدمار وانتقم منها أبشع انتقام ٠ الا أن الثورة استمرت مشتعلة فى مصر حتى بعد القضاء على طيبة ٠

وقد تابع بطليموس التاسع سياسة أسلافه فأغدق الهبات على المعابد ، وأتم معبد الكاب وشيد أقبية معبد دندرة وأضاف الفناء الخارجى لمعبد حوريس فى ادفو وأضاف الى معبد ايزيس الكبير فى فيلة ٠

وقد اتخذ بطليموس التاسع لقب « الاله سوتر الثانى » ، وكان مع أمه كليوبترا الثالثة يلقبان « الالهين فيلومتورس سوترس » ٠ ثم حين أشرك معه ابنته برينيكى أصبح لقبهما « الالهين فيلادلفوس فيلامتورس سوترس » ٠

وكان بطليموس التاسع يكره اليهود ، وقد عمل على مساندة أنطيوخوس التاسع ضد أخيه أنطيوخوس الثامن الذى كان اليهود يناصرونه ، بينما كانت كليوبترا الثالثة تميل الى الجانب الآخر ، وتعمل على مساعدة يهود فلسطين لتتمكن من التدخل فى شئون سوريا ، ولتضمن ولاء يهود مصر فى نزاعها مع بطليموس التاسع ولذلك ازدادت نقمة بطليموس التاسع على اليهود وقتل الكثيرين منهم ٠

وقد توفى بطليموس التاسع عام ٨٠ قبل الميلاد ، فانفردت ابنته برينيكى الثالثة بالعرش ٠

بطليموس العاشر

حين استطاعت كليوبترا الثالثة كما رأينا أن تثير بمؤامراتها غضب الاسكندريين على ابنها بطليموس التاسع الذى كانت تكرهه ، لم يجد هذا

مناصا من الفرار الى قبرص ، فأسرعت كليوبترا الثالثة باستدعاء ابنها الآخر الذى تحبه وهو الاسكندر وأشركته معها على العرش ، باسم بطليموس العاشر، الملقب بالاسكندر . الا أن حبها لهذا الابن لم يمنعه من أن يحقد عليها حين حاولت أن تتسلط عليه وتنفرد بالسيطرة فى البلاد . فقتلها عام ١٠١ قبل الميلاد ، وحكم بمفرده ، غير أن الاسكندريين لم يلبثوا أن كرهوه وثاروا عليه حتى تمكنوا أخيرا من طرده بعد أن حكم اثنى عشر عاما .

وفى أثناء هذه المدة مات أنطيوخوس الثامن ملك سوريا مقتولا بيد وزيره هيراكليون وتزوجت أرملته كليوبترا سيلينى من منافسة أنطيوخوس التاسع. ثم لم يلبث هذا أن مات مقتولا كذلك بيد ابن أخيه سيليوكوس السادس . كما مات فى أثناء هذه المدة بطليموس أبيون ملك برقة وأورث مملكته لروما .

وقد استطاع بطليموس العاشر بعد ذلك أن يعود الى الاسكندرية بمساعدة قوة من المرتزقة جاء بها من سوريا ، ولكن الاسكندريين لم يلبثوا أن ثاروا عليه مرة أخرى حين سطا على مقبرة الاسكندر الأكبر واستولى على التابوت الذهبى الذى دفن فيه ليتمكن من دفع أجور جيشه الجديد ، ومن ثم هرب الى ليكيا مع زوجته برينيكى الثالثة ، وراح يحاول استرداد عرشه من جديد . وقد اشتبك فى معركة بحرية مع الاسكندريين فهزموه وقتلوه ، واستدعوا بطليموس التاسع من قبرص وردوا اليه عرشه ، وقد استدعى هو بدوره ابنته برينيكى الثالثة التى كانت زوجة بطليموس العاشر وأشركها معه على العرش .

وكان من أعمال بطليموس العاشر انه أعاد بناء معبد دندرة وأتم الجدار الخارجى لمعبد ادفو ، كما منح هذا المعبد مساحات كبيرة من الأراضى .

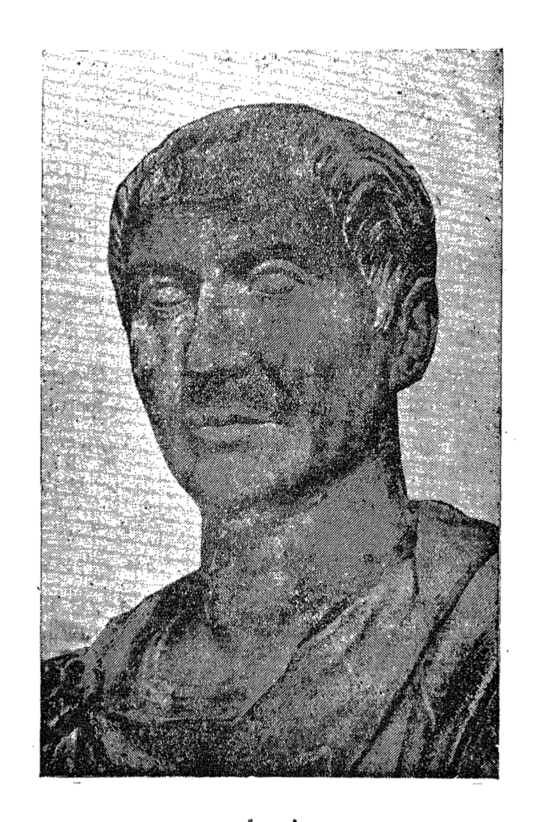
وكان اللقب الالهى لبطليموس العاشر بالاشتراك مع أمه « فيلو متورس سوتيرس » ، فلما ماتت أمه وأشرك معه على العرش زوجته برينيكى الثالثة أصبح لقبهما « فيلادلفوس » .

بطليموس الحادى عشر

رأينا أنه بعد مقتل بطليموس العاشر عام ٨٨ قبل الميلاد استعاد بطليموس التاسع عرشه وأشرك معه ابنته برينيكى الثالثة · فلما مات بطليموس التاسع عام ٨٠ قبل الميلاد انفردت برينيكى الثالثة بالعرش ، ولم يعترض الاسكندريون على ذلك لأنهم كانوا يحبونها · ولكن روما لم تلبث أن تدخلت فأرسل دكتاتورها « سيلا » الى مصر « بطليموس اسكندر » ابن بطليموس العاشر ليتزوج من زوجة أبيه برينيكى الثالثة ويشاركها فى العرش، وقد نودى به ملكا باسم « بطليموس الحادى عشر اسكندر الثانى » · الا أنه لم تمض على زواجه من برينيكى الثالثة تسعة عشر يوما حتى قتلها ، فثار الاسكندريون عليه وقتلوه ، ومن ثم لم يعد من سلالة البطالمة وارث شرعى الا اثنان من أبناء بطليموس التاسع فبادروا الى اقامة أكبرهما ملكا على مصر باسم بطليموس الثانى عشر · أما الأصغر فأقاموه ملكا على قبرص ·

بطليموس الثانى عشر

وقد كان بطليموس الثانى عشر فى سوريا حين استدعاه الاسكندريون ليجلس على العرش · وكان متزوجا من أخته كليوبترا تريفاينا وهى كليوبترا السادسة · الا أن الرومان رفضوا الاعتراف بالملك الجديد زاعمين أن بطليموس الحادى عشر قد أوصى لهم بمصر · ولذلك تكالب بطليموس الثانى عشر على زعماء روما للاعتراف به ملكا على مصر ، ولكنه لم يفز الا بازدرائهم - وفى عام ٦٧ قبل الميلاد كان بومبى قد أصبح أقوى شخصية فى الامبراطورية الرومانية ، وكان له منافسان قويان هما كراسوس ويوليوس قيصر ، وقد عملا على اكتساب محبة الشعب لهما بما كانا يناديان به من مشروعات عظيمة ، وكان منها العمل على ضم مصر الى الامبراطورية الرومانية · وقد قدم كراسوس مشروعا بذلك الى السناتو وهو مجلس الشيوخ الرومانى ، ولكن النبلاء



« يوليوس قيصر »

عارضوه بزعامة شيشرون الذى كان من أنصار بومبى • وفى هذه الأثناء كان بومبى يوالى انتصاراته ، وقد أخضع آسيا الصغرى وسوريا وفلسطين • فراح بطليموس يتملقه ويمطره بالهدايا • ثم فى عام ٥٩ قبل الميلاد نجح يوليوس قيصر فى تولى منصب القنصلية فى روما فتحول اليه بطليموس بملقه وهداياه، وقد دفع له ستة آلاف تالنت ، أى ما يعادل نحو مليون ونصف من الجنيهات ، فاعترف به ملكا على مصر وصديقا وحليفا للشعب الرومانى •

وفى عام ٥٨ قبل الميلاد أعلنت روما أنها قد ضمت قبرص الى امبراطوريتها بعد أن كانت قد ضمت برقة من قبل ، فلم يبق من دولة البطالمة الا مصر • ولذلك ثار الاسكندريون وطلبوا الى بطليموس أن يسترد قبرص من الرومان أو يقطع صلته بهم • فهرب بطليموس الى روما ونزل فى قصر بومبى ، حيث ظل عاما كاملا يغدق الأموال على زعماء مجلس الشيوخ كى يعيدوه الى عرشه• ولما كانت موارد مملكته قد انقطعت عنه فقد استدان مبالغ كبيرة من الممولين الرومان ولا سيما رابيروس بوستوموس •

وفى هذه الأثناء كان الاسكندريون قد أقاموا على العـــــرش بدلا من بطليموس الثانى عشر ابنته برينيكى الرابعة بالاشتراك مع أمها كليــــوبترا تريفاينا ، ثم توفيت هذه بعد عام فانفردت برينيكى الرابعة بالحكم • وحين علمت بالافتراءات التى يشيعها أبوها فى روما أرسلت الى هناك بعثة برئاسة الفيلسوف ديون لتتولى تفنيدها • الا أن بطليموس دبر مكيدة تمكن بها من قتل أعضاء البعثة جميعا قبل أن يصلوا الى مجلس الشيوخ الرومانى ، وقد أفضى مقتلهم الى سلسلة من المحاكمات والفضائح فى روما • ولم يلبث مجلس الشيوخ أن كلف سبينثر الذى كان مرشحا لتولى حكم كيليكيا باعادة بطليموس الى عرشه ، وقد غادر بطليموس روما فى أواخر عام ٥٧ قبل الميلاد الى أفسوس فى انتظار وصول سبينثر ، ولكن وصوله تأخر بسبب اختلاف الرومان حول هذا الموضوع •

وفى هذه الأثناء عمل الاسكندريون على عرقلة عودة بطليموس فاختاروا أحد أبناء كليوبترا سيلينى من أنطيوخوس الثامن ملك سوريا ليجلس على العرش ، ولكنه توفى أثناء المفاوضات فاتجهوا نحو أحد أحفاد أنطيوخوس ، الا أن جابينيوس الحاكم الرومانى لسوريا منعه من مغادرتها ، وأخيرا جاء الاسكندريون بشخص يسمى سيليوكوس وكان يزعم أنه من سلالة السيليوكيين وزوجوه من برينيكى الرابعة وأجلسوه على العرش معها ، الا أن برينيكى لم تطق معاشرته فقتلته بعد أيام قليلة . ومن ثم جاء الاسكندريون بشخص آخر يسمى أرخلاوس وكان يزعم أنه ابن ميثريداتس وزوجوه من برينيكى وأجلسوه على العرش معها فى عام ٥٦ قبل الميلاد .

وقد أوعز بومبى الى أحد صنائعه وهو أولوس جابينيوس حاكم سوريا بأن يتولى اعادة بطليموس الى عرشه على أن يدفع له عشرة آلاف تالنت ، أى ما يوازى مليونين ونصف من الجنيهات . فزحف جابينيوس الى مصر عام ٥٥ قبل الميلاد ، ومعه بطليموس ، وكان على رأس فرسانه القائد الشاب ماركوس أنطونيوس . ولم تلبث الحامية اليهودية فى بلوزيون أن سلمت المدينة للجيش الرومانى ، فزحف جابينوس منها الى الاسكندرية ، واستولى عليها وقتل أرخلاوس واعاد بطليموس الى عرشه ، ثم عاد الى سوريا بعد أن ترك فى مصر قوة رومانية لحماية بطليموس من أعدائه .

وكان أول ما فعله بطليموس بعد عودته أنه قتل ابنته برينيكى الرابعة مع عدد كبير من أنصارها ، كما أنه قتل كثيرا من الأغنياء وصادر أملاكهم ، ثم أشرك معه على العرش ابنته كليوبترا السابعة وابنه بطليموس الثالث عشر ، وكتب وصية بأن يخلفاه على العرش ، وقد احتفظ بصورة منها فى الاسكندرية وبعث بصورة أخرى الى روما طالبا الى الشعب الرومانى أن يشرف على تنفيذ رغبته .

وبمجرد أن عاد بطليموس الثانى عشر الى الاسكندرية لحق به أكبر دائنيه الممول الرومانى رابيروس بوستوموس وراح يطالبه بسداد ما له عليه من ديون باهظة ، واذ كان بطليموس عاجزا عن أن يسدد اليه تلك الديون عينه وزيرا للمالية وترك بين يديه كل موارد البلاد ، فاستغل رابيروس هذا المنصب أسوأ استغلال واستعان بالحامية الرومانية فى نهب أموال الشعب بعد أن فرض عليه سلسلة من الضرائب الفادحة ، ومن ثم اندلع لهيب الثورة من جراء تصرفات ذلك الوزير حتى اضطر بطليموس لكى يحميه أن يضعه فى السجن . الا أن الشعب الغاضب حاول اقتحام السجن ليفتك به فعاونه على الهرب فى الخفاء الى روما . ثم تولى بنفسه عملية ابتزاز أموال الشعب لتعويض ما خسره فى سبيل استعادة عرشه ، ولتوفير نفقات الحياة الماجنة المتهتكة التى كان ينغمس فيها ويفاخر بها ملقبا نفسه « نيوس ديونيسوس » أى ديونيسوس الجديد ، اله الخلاعة والخمر . أما لقبه الرسمى فكان « فيلوباتور فيلادلفوس» ولكن أكثر ألقابه شيوعا ، هو الذى أطلقه عليه الشعب ، اذ كان يسميه « أوليتيس » أى « الزمار » لأنه كان يجيد العزف على المزمار فى مجالس لهوه وعربدته .

وقد قام بطليموس الثانى عشر بتشييد مبان قليلة ، منها مذبح بمعبد ايزيس فى قفط ، وبوابة خارجية لمعبد كوم امبو ، وقد أتم بناء ذلك المعبد ، كما أتم بناء وزخرفة معبد ادفو .

وقد توفى بطليموس الثانى عشر عام ٥١ قبل الميلاد ، وترك ابنتين هما كليوبترا وكانت فى الثامنة عشرة ، وأرسينوى وكانت فى السادسة عشرة ، كما ترك ولدين هما بطليموس الثالث عشر وكان فى العاشرة ، وبطليموس الرابع عشر وكان فى الثامنة ، وقد أوصى كما سبق أن رأينا بأن يخلفه على العرش أكبر ولديه وهو بطليموس الثالث عشر على أن يتزوج كبرى أختيه وهى كليوبترا السابعة ، ويشتركا فى الحكم معا . ومن ثم جلس بطليموس الثالث

عشر على العرش بالاشتراك مع أخته الكبرى كليوبترا السابعة بعد أن تزوجها.
ولكن كليوبترا طغت بشخصيتها القوية على شخصية أخيها وكل من اشترك معها فى الحكم ، بل طغت على كل شخصيا تعصرها ، فأصبحت أشهر ملكة فى التاريخ .

كليوبترا

وكانت كليوبترا كغيرها من الملكات اليونانيات امرأة قـــوية الارادة ، صلبة الشكيمة ، عظيمة الكبرياء ، متعطشة الى السلطان ولو خاضت فى سبيله بحرا من الدماء ، لا تترفع فى سبيل الوصول الى أغراضها عن النزول الى أحط الدنايا وارتكاب أبشع الجرائم وأشنع الرذائل ، وقد جمعت الى ذلك جمـالا باهرا ، وذكاءا نادرا ، ورشاقة قوام ، ورقة حاشية ، وعذوبة حديث ، وقدرة عجيبة على اغراء الرجال والتلاعب كيف شاءت بقلوبهم وعقولهم ، حتى لقـــد استسلم لفتنتها وراح ضحية غوايتها أعظم رجال العالم فى عصرها .

وقد جلست كليوبترا على عرش مصر عام ٥١ قبل الميلاد بالاشتراك مع أخيها بطليموس الثالث عشر ، الذى كان فى العاشرة من عمره ، ومن ثم أقيم عليه ثلاثة أوصياء هم يوثاينوس وزير المالية وأخيلاس قائد الجيش وثيودوتس رائد الملك والمشرف على تربيته وتثقيفه . وكان أولئك الثلاثة يطمحـــون الى الاستئثار بالسلطة ، ومن ثم اصطدموا منذ اللحظة الأولى بالملكـــة الشابة الطموحة التى ــ رغم أنها لم تكن تجاوزت الثامنة عشرة من عمرها ــ كانت تريد أن تكون كلمتها هى العليا .

وفى هذه الأثناء كان الصراع ناشبا فى الدولة الرومانية بين اثنين من أبرز زعمائها هما بومبى وقيصر ، فانحازت كليوبترا الى صف بومبى وأمدته بقوة حربية تشد أزره ، ومن ثم أوغر الأوصياء الثلاثة صدور الاسكندريين ضدها فثاروا عليها وطردوها ولكنها جمعت جيشا من المرتزقة وراحت تهاجم



« كليوبترا »

به حدود مصر الشرقية فخرج اليها أخوها وأوصياؤه الثلاثة على رأس جيش عظيم وانتظروها بالقرب من الفرما • وفى هذه الأثناء تمكن قيصر من هزيمة بومبى فالتجأ هذا الى مصر طالبا المساعدة من الملك الصغير ولا سيما أنه كان صاحب الفضل قبل ذلك في اعادة أبيه الى عرشه ، فسمح له الأوصياء بدخول



« قيصر »

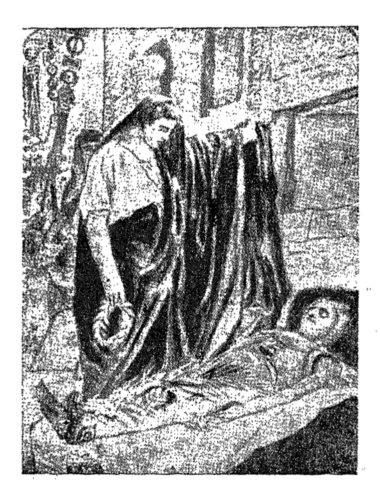
مصر وانتظروه عند الشاطىء حتى اذا وصل تقدم اليه أحدهم وهو أخيلاس وطعنه بخنجر وقطع رأسه ثم ألقى جثته عارية على الشاطىء ، وفى هذه الأثناء وصل قيصر الى الاسكندرية فأسرع اليه الأوصياء ومعهم رأس بومبى ، فلما رآها قيصر تأثر وبكى •

وقد احتل قيصر الاسكندرية ، وأقام فى قصر البطـــالمة ، فاســـتاء

الاسكندريون من ذلك التصرف الذى ينم عن أنه يعتبر مصر ولاية رومانية ، وبدأ الصدام بينهم وبين جنوده ، وفى هذه الأثناء تسللت كليوبترا الى الاسكندرية فى قارب صغير تحت جنح الظلام يصحبها رجل صقلى يدعى أبوللودوروس ، حتى اذا بلغت أسوار القصر الملكى المطلة على الميناء ، طلبت الى رفيقها أن يلفها فى بساط ويحملها الى قيصر ، فما رآها قيصر تخرج أمامه من بين طيات البساط حتى افتتن بجمالها وجرأتها • وفى اليوم التالى ، أرسل قيصر فى طلب الملك الصغير كى يوفق بينه وبين أخته • الا أن هذا لم يكد يرى أخته بين يدى قيصر حتى استولت عليه عاصفة من الغضب ، وقذف بتاجه الى الأرض وراح يجرى فى شوارع الاسكندرية وهو يصرخ مستمطرا اللعنات على أخته الخائنة وقد أعاده جنود قيصر الى القصر ولكن صرخاته أثارت الاسكندريين فزحفوا نحو القصر وحاصروا أسواره ، وعندئذ خرج اليهم قيصر وقرأ عليهم وصية بطليموس الثانى عشر التى تقضى بأن تجلس كليوبترا على العرش مع أكبر أخويها ، وبأن تشرف روما على تنفيذ هذه الوصية ، ولكى يسترضى قيصر الاسكندريين وعدهم باعادة قبرص الى مصر لتتولى حكمها أرسينوى أخت كليوبترا مع أخيها الأصغر • فهدأت ثائرة الاسكندريين وتم الوفاق بين كليوبترا وأخيها •

الا أن العلاقة لم تلبث أن توثقت بين كليوبترا وقيصر وشاع أمرها بين الاسكندريين فثاروا من جديد وراح الأوصياء الثلاثة يزيدون ثورتهم اشتعالا بما ينقلونه اليهم من أنباء العلاقة الشائنة بين ملكتهم والعاهل الرومانى ، وقد أخذوا أرسينوى أخت كليوبترا الى الفرما ونادوا بها ملكة على مصر ، وطالبوا قيصر باطلاق سراح الملك ، فلما أطلق سراحه تولى قيادة الجيش وحاصر الاسكندرية ، ومن ثم بدأت بين الجانبين الحرب التى اشتهرت بحرب الاسكندرية • وقد تحرج مركز قيصر فطلب النجدة من كريت ورودس وسوريا وكليليكيا ، حتى إذا وافته الامدادات خرج بأسطوله وهزم قوات بطليموس

هزيمة منكرة وقضى على الجانب الأكبر منها فى مذبحة مروعة . وقد حاول بطليموس أن يتقهقر عن طريق النيل ولكنه غرق فاستسلم الاسكندريون ، وبذلك توطدت أقدام قيصر فى البلاد ، فأقام كليوبترا على العرش وأشرك معها أخاها الأصغر باسم بطليموس الرابع عشر ، وأقصى عن مصر أختها أرسينوى .



« قيصر فى مقبرة الاسكندر الأكبر »

وكان أول ما فعلته كليوبترا بعد ذلك أنها قتلت الأوصياء الثلاثة بوثاينوس وثيودوتيس وأخيلاس . .

وقد أقام قيصر مع كليوبترا بضعة أشهر قاما خلالها برحلة نيلية فى سفينة رائعة ، وقد حملت منه كليوبترا فى هذه الأثناء ولدا أطلقت عليه عند مولده اسم « قيصرون » أى قيصر الصغير ، وقد سجلت على جدران معبد أرمنت

أنها أنجبته من آمون رع الذى خالطها فى صورة قيصر ، وفى ذات الوقت اعترف قيصر بأبوته لقيصرون ٠

وقد غادر قيصر مصر عام ٤٧ قبل الميلاد ، تاركا ثلاث فرق رومانية بقيادة روفينوس لحماية عرش كليوبترا ٠ ويذكر المؤرخ اليهودى يوسيفوس أن قيصر قد أكد ليهود مصر قبل رحيله تمتعهم بامتيازاتهم ، مكافأة لهم على مساعدتهم اياه أثناء حرب الاسكندرية ، كما كافأ يهود فلسطين على تطوعهم بقيادة ملكهم أنتيباتر فى الحملة التى جاءت لنجدته فأعفاهم من الجزية والخدمة العسكرية ٠

وكان من أهم الأعمال التى قام بها قيصر أثناء وجوده فى الاسكندرية أنه وضع تقويما جديدا يبتدىء من أول يناير عام ٤٥ قبل الميلاد ، وقد أخذه من التقويم المصرى القديم ، واستعان فى وضعه بالعالم الاسكندرى سوسيجنوس الذى ابتكر فكرة السنة الكبيسة لجعل متوسط طول السنة المدنية مساويا لطول السنة النجمية التى كان قدماء المصريين قد اتخذوها وحدة أساسية لقياس الزمن ، وقد أصبح هذا التقويم الجديد أساسا للتقويم المعمول به حتى اليوم ٠

وقد قضى قيصر بعد رحيله عن مصر على كل أعدائه فى آسيا وشمال أفريقيا ، ومن ثم أصبح سيد العالم ٠ حتى اذا عاد بعد ذلك الى روما سارع الى دعوة كليوبترا لتلحق به هناك ، فذهبت اليه مصطحبة ابنها قيصرون واخاها بطليموس الرابع عشر ، وأقامت فى قصره الفخم على ضفاف التيبر ، وهناك حضرت احتفال قيصر بانتصاراته ورأت أختها أرسينوى تسير مع الأسرى فى موكب النصر حافية القدمين حاسرة الرأس مكبلة بالأغلال ٠ وقد كان لكليوبترا أثناء اقامتها فى روما أكبر الأثر - وان كان من وراء ستار - فيما يجرى بها من أحداث ٠ ولذلك كرهها الرومان اذ اعتبروها هى المسئولة عما

أشيع من تفكير قيصر فى تحويل جمهوريتهم الى مملكة هيلينستية ، ونقل عاصمتهم من روما الى الاسكندرية ، كما كرهوها لصلفها وتعاليها عليهم ، مع انها لم تكن فى نظرهم سوى حظية وضيعة . ولم يلبث الرومان بسبب مخاوفهم من نوايا قيصر واتهامهم اياه بالوقوع تحت سيطرة كليوبترا أن قتلوه فى مجلس الشيوخ يوم ١٥ مارس عام ٤٤ قبل الميلاد . وهكذا انهارت آمال كليوبترا فى أن تصبح ملكة للامبراطورية الرومانية كلها ، وأصبحت على العكس تحت رحمة الرومان الذين كانوا يضمرون لها الشر فهربت عائدة الى مصر .



« أنطونيوس »

وبعد عودة كليوبترا من روما أشركت معها فى الحكم ابنها قيصرون ، ولم يلبث أخوها الأصغر بطليموس الرابع عشر أن مات مسموما وهو فى الخامسة عشرة من عمره ، ويقال أن كليوبترا هى التى دست السم له كى تنفرد بالحكم مع ابنها .

وفى هذه الأثناء انتقلت السلطة فى الامبراطورية الرومانية الى يد أنطونيوس وأوكتافيوس ، اللذين كانا يتزعمان حزب قيصر ، وقد أعلنا الحرب على قاتليه بروتس وكاسيوس وهزماهما فى معركة فيليبى عام ٤٣ قبل الميلاد . وبعد ذلك اتفق أنطونيوس وأوكتافيوس على اقتسام السلطة فيما بينهما بحيث

يختص أنطونيوس بشئون الشرق ويختص أوكتافيوس بشئون الغرب • ومن ثم ذهب أنطونيوس الى أفسوس فى آســيا الصغرى لينظم شــئون القسم الذى أصبح تحت اشرافه من الامبراطورية ، ومن هناك أرسل يستدعى الحكام الذين حامت حولهم الشبهات خلال الصراع بين أنصار قيصر وأعدائه • وكان ممن استدعاهم كليوبترا لأنها اتخذت فى ذلك الصراع موقفا سلبيا رغم أنها تدين لقيصر بعرشها ، كما أنها يربطها به رباط وثيق هو ابنها قيصرون الذى أنجبته منه • الا أن كليوبترا لم تلب دعوة أنطونيوس ، فأرسل اليها مرة أخرى كى توافيه فى كيلكيا ، وعندئذ استقلت سفينة فاخرة ، جدرانها من الذهب ، ومجاذيفها من الفضة ، وقلاعها من النسيج الأرجوانى ، وقد اصطحبت معها غوانيها ومغنياتها وعازفيها وعازفاتها ، وجلست فى خوانها متحلية بالجواهر ومتضوعة بالعطور كأنها ذاهبة لا للمثول بين يدى حاكم يستجوبها ، وانمـــا للقاء عاشق يهيم بها ، وبالفعل ما أن رآها أنطونيـــوس حتى افتتن بها وقد أذهلته بجمالها وتبرجها ، فنسى أنه رئيسها وسيدها وأصبح منذ تلك اللحظة عبدها وأسير هواها • وقد وضع نفسه رهن اشارتها وأصبح يلبى كل طلباتها، وكان مما طلبته حينذاك أن يصدر أمره باعدام أختها أرسينوى التى كانت لاجئة فى معبد أفسوس فأجابها الى ذلك رغم أنه كان قد سبق أن اعترف لهذا المعبد بحقه فى حماية اللاجئين اليه •

وقد بقيت كليوبترا مع أنطونيوس بضعة أسابيع ثم لم تكد تعود الى الاسكندرية حتى لحق بها فاستقبلته استقبالا فخما وأغرقته فى فيض من توددها وتدللها وبذخها المنقطع النظير ، حتى نسى نفسه ونسى امبراطوريته ، وظل بجانب كليوبترا الشتاء كله لا يحتمل فراقها • وقد انتهز الفرس هـــذه الفرصة واستولوا على سوريا وفينيقيا ، فاضطر أن يرحل عام ٤٠ قبل الميلاد الى صور وهناك سمع أن زوجته فلفيا وأخاه لوكيوس قد أثارا حربا ضـــد أكتافيوس ، فاتجه الى روما ، وعقد الصلح مع أكتافيوس ، ولم تلبث زوجته

فلفيا أن توفيت فتزوج من أوكتافيا أخت أوكتافيوس ، ثم عاد الى سـوريا واستردها من الفرس ، ثم استرد منهم فينيقيا وكيليكيا ، ولم يلبث أن أرسل الى كليوبترا كى توافيه فى أنطاكية ، ولم يكن قد رآها منذ أربع سـنوات ، وكانت فى هذه المدة قد أنجبت منه توأمين هما اسكندر هيليـوس وكليوبترا سيلينى • فما كان من كليوبترا الا أن سارعت لملاقاته ومن ثم استأنف علاقته بها واعترف بالتوأمين اللذين أنجبهما منها ، ومنحها خالكيس وكل الأقـاليم



« أوكتافيوس »

الممتدة بينها وبين مملكة هيرودس وكانت تشمل سوريا وفينيقيا وفلسطين ومملكة يهوذا واقليم البنطيين وكويلى وقبرص وجزءا من كيليكيـا ، وبذلك استعادت كليوبترا الجانب الأكبر من امبراطورية بطليموس الثـانى الملقب فيلادلفوس • وفى ذلك العام أنجبت كليوبترا من أنطونيوس ولدا آخر فأطلقت عليه اسم بطليموس فيلادلفوس تخليدا لذكرى استعادتها لامبراطورية ذلك الملك •

وبعد ذلك تقدم أنطونيوس لقتال الفرس ولكنهم هزموه فعـاد مع

كليوبترا الى الاسكندرية ، وفى الربيع التالى عاد آنطونيوس ومعه كليوبترا الى سوريا لمعاودة الكرة على الفرس ، وهناك سمع أن زوجته أوكتافيا فى طريقها اليه فأرسل يأمرها أن تعود أدراجها • وقد غضب أوكتافيوس من هذه المعاملة المشينة لأختة • ثم لم يلبث أنطونيوس أن عدل عن حملته وعاد مع كليوبترا الى الاسكندرية • وفى بداية عام ٣٤ قبل الميلاد غزا أنطونيوس أرمينيا وأخضعها وأسر ملكها أرتاواسديس واستولى على كل أمواله وعاد به مكبلا بالحديد مع كل أفراد أسرته الى الاسكندرية حيث دخل دخول الظافر ، وسار فى موكب النصر من القصر الملكى فى لوخياس الى معبد السيرابيوم وكانت قد أقيمت فى ساحته منصة عظيمة جلست فوقها كليوبترا على عرش من الذهب ، فتقـــدم اليهـا أنطونيوس راكبا عربة النصر ، وفى ركابه ملك أرمينيا يسير على قدميه راسفا فى السلاسل مع كل أفراد أسرته ، ويسير خلفهم بقية الأسرى مع الغنـــائم والأسلاب • وقد وضع أنطونيوس كل أولئك عند أقـــدام كليوبترا ، وهى تجلس فى عظمة وكبرياء •

وبعد ذلك ببضعة أيام رأت الاسكندرية مشهدا أبلغ فى دلالته من المشهد الأول : اذ أقيم احتفال عظيم فى الجيمنازيوم ، تتصدره منصة عظيمة مصنوعة من الفضة ، جلس فوقها أنطونيوس وكليوبترا على عرشين عظيمين من الذهب ، يحف بهما أبناؤهما قيصرون واسكندر هيليـــــوس وبطليموس فيلادلفوس وكليوبترا سيلينى وقد جلسوا على أربعة عروش ذهبية أصغر من العرشـين الأولين ، وكانوا جميعا يرتدون ملابس الملوك • وبين مظاهر البهجة والسرور، نادى أنطونيوس بكليوبترا « ملكة الملوك » ونادى بقيصرون « ملك الملوك » على أن يحكما معا مصر وفلسطين وقبرص ،وتمتد سيادتهما على ممالك أبناءكليوبترا الآخرين • ثم نادى باسكندر هيليوس ملكا على أرمينيا وميديا وبارثيا •ونادى ببطليموس فيلادلفوس ملكا على سوريا وفينيقيا وكيليكيا وكل الأمم الممتدة من غرب الفرات الى الدردنيل ، ونادى بكليوبترا سيلينى ملكة على ليبيا • وبذلك

أصبحت كليوبترا ملكة مع أبنائها على امبراطورية تمتد من بلاد الفرس شرقا الى طرابلس غربا .

وقد حنق الرومان على أنطونيوس لأنه احتفل بانتصاره فى الاسكندرية وليس فى روما كما كان التقليد المتبع ، ولأنه أغدق الأملاك الرومانية على أبناء عشيقته . وقد ساءت العلاقة من جراء ذلك بين أنطونيوس وأوكتافيوس ، ثم ازدادت سوءا حين أعلن أنطونيوس طلاقه من أوكتافيا وزواجه من كليوبترا ، فراح أوكتافيوس فى غضب عنيف يؤلب الرأى العام ضده ويشوه سمعته ، ومن ثم بدأت سحب الحرب تتجمع فى روما بين أوكتافيوس وأنطونيوس . ولما كان عدد كبير من أعضاء مجلس الشيوخ الرومانى موالين لأنطونيوس ، فقد سارع أربعمائة منهم الى مغادرة روما متجهين الى أفسوس ، وكان أنطيونيوس قد ذهب اليها على رأس جيشه استعدادا للصراع المنتظر ، وقد صحبته كليوبترا الى هناك . الا أن أولئك الشيوخ حين رأوا بأعينهم ما كانت الشائعات ترده عن استسلام أنطونيوس لكليوبترا ، وخضوعه لكل رغباتها ونزواتها ، بدأوا ينفضون من حوله ويعودون أدراجهم الى روما لينضموا الى أوكتافيوس . ومن ثم بدأت ترجح كفة أوكتافيوس لدى الرومان ، وقد استطاع أن يقضى على البقية الباقية لديهم من التقدير لأنطونيوس ، حين استولى على وصيته التى كان قد أودعها فى المعبد لدى الكاهنات العذارى وقرأها فى مجلس الشيوخ ، فتبين منها أن أنطونيوس قد أوصى بأملاك الدولة الرومانية لكليوبترا وأبنائها ، كما أوصى بأن تدفن جثته بعد موته فى الاسكندرية بجوارها . فغضب الرومان غضبا شديدا ، اذ رأوا فى هذه الوصية الدليل على أن أنطونيوس لم يعد زعيما رومانيا وانما ألعوبة فى يد امرأة أجنبية ، وأنه يريد أن ينقل عاصمة الدولة الرومانية من روما الى مقر تلك المرأة الخليعة . ومن ثم نجح أوكتافيوس فى اقناع مجلس الشيوخ بطرد أنطونيوس من منصبه واعلان الحرب على كليوبترا ، ثم عبر البحر الأدرياتى على رأس قواته البرية تاركا لزميله أغريبا قيادة الأسطول .

وقد بدأت قوات كل من الخصمين تتجمع فى البحر اليونانى،ولم يلبث الفريقان أن التحما عند أكتيوم ، فما رأت كليوبترا أن قوات أوكتافيوس متفوقة على قوات أنطونيوس حتى هربت من المعركة ، وأسرعت عـــائدة بأسطولها الى الاسكندرية ، كى تنتظر هناك نتيجة المعركة وتنضم الى المنتصر من الخصمين. الا أن انطيونيوس لم يحتمل فراقها ، فترك جنوده فى معمعة القتال ولحق بها، ومن ثم استولى اوكتافيوس على جيشه وأسطوله ، وراح يستعد لغزو مصر .

وحين وصلت كليوبترا الى الاسكندرية وضعت على سفنها أكاليل الغار وأشاعت أنها قد انتصرت على الأعداء وأقامت الاحتفالات فى الاسكندرية لهـذه المناسبة ، وراحت تستعد لكل الاحتمالات ، فقتلت كل أعدائها حتى لا يتمكنوا من اشعال نار الثورة حين تتسرب أنباء هزيمتها ، وبعثت تخطب ود ملك ميديا فأرسلت اليه رأس ملك أرمينيا الذى كان سجينا فى الاسكنـــدرية ثمنـــا لصداقتهما ، وبدأت تبنى أسطولا فى البحـــر الأحمر ليحملها مع كنوزها وذخائرها الى الهند اذا اضطرت الى الهرب ، وقامت بتكوين جمـــاعة تسمى « جماعة الاخوان فى الموت » وقد تعاهد أعضاؤها على أن يعيشوا معا ويموتوا معا ، ولما كانوا مهددين بالموت فى كل لحظة فقد راحوا يقضون الفترة الباقية لهم من العمر غارقين فى الملذات والشهوات والعربدة والمجون . أما انطونيوس فقد انزوى فى قصر يطل على البحر مكتئبا يائسا . وفى هذه الأثناء وصل الى الاسكندرية هيرودس ملك اليهود كى يقنع أنطونيوس بأن يقتل كليـــوبترا ليمكنه بعد ذلك أن يصطلح مع أوكتافيوس ، ولكن أنطونيوس رفض ذلك . بينما كانت كليوبترا فى ذات الوقت تسعى لأن تكسب ود أوكتافيوس وتوقعه فى هواها كما أوقعت غيره من قبل ، فراحت تراسله سرا وتبدى له استعدادها للتخلص من أنطونيوس . حتى اذا وصل أوكتافيوس بجيوشه وأساطيله الى بلوزيون على مصب الفرع الشرقى للنيل أوعزت كليوبترا الى حاميتها بالتسليم له . ثم حين تقدم الى الاسكندرية أصدرت أوامر سرية الى جنودها بأن يمتنعوا



« أوكتافيوس »

عن مقاومته . أما أنطونيوس فانه ما علم باقتراب أوكتافيوس حتى انطلق على رأس جيشه وأراد أن يتصدى له ، ولكن الجيش انضم الى أوكتافيوس تنفيذا لأوامر كليوبترا ، فانسحب أنطونيوس الى القصر الملكى . وعنـــدئذ دبرت كليوبترا خطة للقضاء عليه ، واذ كانت تعرف أنه يحبها ولا يطيق الحيـــاة بدونها بعثت اليه رسولا يخبره بأنها انتحرت . فما سمع أنطيونيوس ذلك حتى أعطى سيفه الى تابعه ايروس وأمره أن يطعنه به ، ولكن التابع الوفى عز عليه أن يطعن سيده فطعن بالسيف نفسه ، وعنـــــدئذ أخذ أنطونيوس السيف وأغمده فى صدره . وبينما كان يلفظ أنفاسه الأخيرة علم أن كليوبترا لا تزال على قيد الحياة فطلب أن يراها ومات بين ذراعيها . أماهى فبعثت رسولا الى أوكتافيوس يبشره بموت أنطونيوس ، فما علم أوكتافيوس بذلك حتى حزن وبكى . ثم احتل أوكتافيوس الاسكندرية دون مقاومة ، وكان أول ما فعله أنه قتل قيصرون ابن كليوبترا من قيصر . ولم تفلح كليوبترا فى أن تغريه بجمالها أو أن توقعه فى حبائلها ، فأصدر أمره الى بروكليوس بأن يقبض عليها ليعرضها فى موكب نصره فى روما . وعندئذ أيقنت كليوبترا بالعار الذى ينتظرها ، فأمرت تابعا لها بأن يأتيها — فى غفلة من الجنود الرومان الذين يحرسونها — بحية داخل سلة من التين ، فلما أتاها بها وضعت الحية على ذراعها فلدغتهـا لدغة قاتلة . فكانت هذه هى نهاية آمالها العريضـــة فى أن تصبح سيـــدة الامبراطورية الرومانية . وكانت خاتمة حياتها المليئة بالمطامع والشهوات ، وبالجرائم والآثام ، هى العار والموت .

وهكذا سقطت مصر فى يد أوكتافيوس وأصبحت ولاية رومانية . وقد قرر مجلس الشيوخ الرومانى اعتبار أول أغسطس عام ٣٠ قبل الميلاد — وهو يوم سقوط الاسكندرية فى قبضة أوكتافيوس — عيدا وطنيا فى روما ، وبداية للتقويم المحلى فى مصر .

الفصل الثانى



تكلمنا فى الفصل الأول عن ملوك مصر فى العصر اليونانى ، فأوردنا كثيرا من الأحداث البارزة فى حياة كل منهم ، ولا سيما فى سياستهم الخارجية وعلاقتهم مع غيرهم من ملوك العالم الهيلينستى وما نشب فيما بينهم من حروب ومنافسات ، أو أبرموه من اتفاقات ومحـــالفات · كمـا أشرنا الى طرف من سياستهم الداخلية ومعاملتهم لرعايـاهم من المصريين وغــيرهم من الطوائف والجنسيات ·

ونتكلم فى هذا الفصل الثانى عن مظاهر الحضـارة المصرية فى العصر اليونانى ، فنشرح بشىء من التفصيل ما وضعه ملوك ذلك العصر لحكم هــذه البلاد من أنظمة صارمة هدفوا بها الى السيطرة التامة عليها والاستنزاف الكامل لمواردها وجهود أبنائها · وقد كانت هذه الأنظمة بمثابة يد حديدية ذات خمسة

أصابع رهيبة تتمثل فى النظام السياسى والنظام الادارى والنظام الاقتصـادى والنظام المالى والنظام القضائى ، ومن ثم نتناول كلا من هذه الأنظمة فى بحث مستقل • ثم نتكلم عن الحياة الاجتماعية التى كانت تسـود مصر فى ذلك العصر ، وما نشب فيه من صراع مرير بين المصريين والدخلاء الذين احتلـوا بلادهم • ثم نشير الى العقائد الدينية التى كان يعتنقها المصريون وغيرهم من الأجانب المقيمين فى مصر يومئذ وما استحدثه البطالمة من ديانات جديدة ، ثم نشرح بعض عناصر الحياة الثقافية التى سـادت مصر فى ذلك العصر ، وما ازدهر خلاله من علوم وآداب وفنون • وبذلك تتوافر لنا فكرة شاملة وكاملة بقدر الامكان عن حالة مصر والمصريين فى العصر اليونانى •

البحث الأول

النظام السياسي

حين استولى البطالمة على الحكم في مصر بعد موت الاسكندر الأكبر وتقسيم امبراطوريته بين أعوانه ، ظلوا يطمعون في السيطرة على الأجزاء الأخرى من تلك الامبراطورية ، ويتطلعون الى الانفراد بالحكم فيها كلها ، فكان هذا هو الهدف الذى جعلوه نصب أعينهم حين وضعوا تخطيط سياستهم في مصر ، اذ كان محور هذه السياسة هو استغلال موارد مصر الى أقصى الحدود ، للانفاق منها على انشاء جيش قوى وتكوين أسطول ضخم ، يتمكنون بهما من المحافظة على استقلالهم بمصر وغزو الأجزاء الأخرى من امبراطورية الإسكندر واخضاعها لسلطانهم • وكان تحقيق ذلك بطبيعة الحال يتطلب السيطرة التامة على مصر وسحق مقاومتها والقضاء على شخصيتها ، واعتبارها ضيعة امتلكوها بحق الفتح ، وأصبح لهم على أبنائها حقوق السادة على العبيد ، فكان هذا هو جوهر سياستهم ومصدر كل تصرفاتهم •

وكان الذى وضع أساس تلك السياسة التى انتهجها البطالمة هو عميدهم بطليموس الأول ، وقد رأينا كيف أنه ـ بعد أن قرر مؤتمر بابل تعيينه واليا

على مصر ليحكمها فى ظل الأسرة المالكة المقدونية ـ عمل منذ اللحظة الأولى على الاستقلال بحكم مصر ، واستغلال موقعها المسيطرة على كـــل أنحـــاء العالم الهيلينيستى ، فأنشأ جيشا عظيما ، ووضع نظاما اداريا دقيقا يكفل له الهيمنة على كل موارد البلاد الزراعية والصناعية والتجارية ، وامتصاص كل ما تنتجه من محاصيل ومصنوعات وأرباح ، لاستخدامها فى تحقيق أهدافه ومطامعه . وقد استطاع بهذا النظام ـ الذى قام بتنفيذه موظفون قساة القلوب مجردون من الضمير ـ أن يكتسب قوة تمكن بها من توطيد استقلاله وتوسيع ممتلكاته ، فاستولى على برقة فى أفريقيا ، وفلسطين وفينيقيا وجنوب سوريا وبامفيليا وليكيا وكاريا فى آسيا ، وجزر قبرص وكوس وثيرا فى البحـــر الأبيض المتوسط ، ومن ثم أصبح يسيطر على امبراطورية مترامية الأطراف .

وقد انتهج بطليموس الثانى ذات السياسة التى وضعها أبوه ، وان كان لم يلجأ فى تحقيق أهدافها الى الحرب وحدها كما فعل أبوه ، وانما اعتمــد اعتمادا كبيرا على المناورات وأساليب الخديعة والدهاء ، فاستطاع بذلك أن يضيف الى امبراطوريته ممتلكات جديدة فى آسيا الصغرى وبحر ايجة ، ومن ثم أصبحت مصر فى عهده أقوى دولة فى العالم اليونانى ، بينما أصبح الشعب المصرى أضعف الشعوب وأتعسها ، اذ استغله ذلك الملك فى تحقيق أغراضه ، متخذا من النظام الحكومى معصرة اعتصر بها دمه ، وقد بلغ ذلك النظام فى عهده ذروة دقته وقسوته ، فسقط الشعب تحت وطـــأته صريعا لا حركة به ولا حياة .

وواصل بطليموس الثالث سياسة أبيه وجده ، وهى سياسة الطغيـــان واستغلال الشعب للظهور بمظهر القوة والعظمة فى العالم اليونانى وتوسيع أرجاء الامبراطورية البطلمية . وقد استطاع بالفعل أن يوطـــد أركان تلك الامبراطورية فبلغت فى عصره أقصى اتساعها .

ولم يبدأ نجم الامبراطورية البطلمية فى الأفول الا منذ عهـــد بطليموس

الرابع الذى كان ضعيفا متهتكا منصرفا الى الشهوات والملذات ، فأهمل العناية بالجيش والأسطول ، ومن ثم انتهز أنطيوخوس الثالث ملك سوريا الفرصة للاستيلاء على مصر فزحف اليها ، وعندئذ اضطر بطليموس الى تجنيد المصريين لأول مرة فى تاريخ البطالمة لصد ذلك العدو المغير ، وبالفعل هزم المصريون أنطيوخوس الثالث فى موقعة رفح عام ٢١٧ قبل الميلاد ، فكان هذا التاريخ نقطة تحول حاسمة فى العلاقة بين البطالمة والمصريين ، اذ كان المصريون قبله - تحت وطأة الطغيان - مقهورين منهارين يائسين ، لا يلوح لهم بصيص من الأمل ، ولا يشجعهم شىء على النهوض من كبوتهم ، حتى انتصروا فى موقعة رفح فاستعادوا الثقة بأنفسهم ، وأيقنوا أنهم ما زالوا قـادرين على هزيمة أعدائهم كما فعلوا من قبل طوال آلاف السنين ، ومن ثم ثاروا على البطـالمة وأرغموهم على التنازل عن صلفهم وكبريائهم والتخلى عن جبروتهم وطغيانهم ، كما أرغموهم على انتهاج سياسة جديدة فى معاملتهم ، يحسبون فيها حسابا لكيانهم وكرامتهم . وقد ظهرت فى عهد بطليموس الرابع قوة أخرى غير قوة الشعب المصرى تهدد سلطان البطالمة وتهز العروش من تحتهم ، وتلك هى قوة الدولة الرومانية التى كانت قد بلغت فى ذلك العهد حدا يهدد العالم اليونانى كله .

وكان بطليموس الخامس ملكا ضعيفا كذلك فاستولى أنطيوخوس ملك سوريا على ممتلكاته فى آسيا ، واستولى فيليب ملك مقدونيا على ممتلكاته فى بحر ايجة ، فلم تبق من امبراطورية البطالمة غير قبرص وبرقة . وفى ذات الوقت استمرت ثورة المصريين فى عهد بطليموس الخامس فانشغل طيلة عهده فى اخمادها .

وفى عهد بطليموس السادس استولى أنطيوخوس ملك سوريا على مصر ذاتها ، ولولا أن تدخلت الدولة الرومانية وطردته منها لانتهى عهد البطالمة الى الأبد . الا أن البطالمة لم يستمروا مع ذلك محتفظين بعرش مصر منذ ذلك

الحين الا تحت حماية الدولة الرومانية ، وقد أصبحوا خاضعين لها خضوعا يكاد أن يكون تاما .

ومنذ عهد بطليموس السابع الى عهد بطليموس الثانى عشر ظلت الثورة المصرية مشتعلة ، فانصرف أولئك البطالمة الى اخمادها كما انصرفوا الى منازعاتهم العائلية ، فما فتئت دولتهم تزداد ضعفا ، بينما يزداد نفوذ الرومان عليهم قوة حتى جلست كليوبترا السابعة على عرش مصر فبدأت تتطلع الى استعادة امبراطورية أجدادها ، لا عن طريق الحرب ، وانما بطريقتها الخاصة ، وهى الارتماء بين أحضان قواد الدولة الرومانية واحدا بعد الآخر ، واغرائهم بمفاتنها الأنثوية ليتزوجوها فتصبح بذلك ملكة على البلاد التى يسيطرون عليها ولكن وسيلتها كانت بشعة فكانت النتيجة التى انتهت اليها أكثر بشاعة، اذ أنها سببت الهلاك للقواد الذين انساقوا لغوايتها ، فكان مصيرها هى الهلاك بدورها ، وقد سقطت فى هوة سحيقة من العار ، فشربت بيدها كأس الموت ، وبموتها انهار عرش البطالمة الذى ظل يجثم على صدر مصر نحو ثلاثمائة عام ، وكان انهياره نتيجة طبيعية للسياسة الغاشمة الظالمة التى وضعها بطليموس الأول وانتهجها خلفاؤه من بعده ، كما كان انهياره انتصارا عظيما لذلك الشعب المصرى الذى ضرب المثل الأعلى فى قوة الاحتمال والصبر على المكاره والصلابة أمام الخطوب والصمود أمام النوائب حتى تجىء الفرصة المواتية له كى ينتفض انتفاضة كبرى ، ملقيا عن كاهله نير الظلم والطغيان ، اذ كانت ثورة هذا الشعب هى التى زلزلت الأرض تحت عرش البطالمة فسقط ، ولكن سقوطه لم يكن مع الأسف لمصلحة الشعب المصرى السىء الحظ ، وانما لمصلحة تلك الدولة القوية التى كانت ترسم الخطط وتتربص للفرصة المناسبة للانقضاض ، وهى الدولة الرومانية التى لم تعمل على تقويض دولة البطالمة فى مصر الا لتأخذها منهم لقمة سائغة ، وقد تم لها ذلك فأصبحت مصر ولاية رومانية .

المبحث الثانى

النظام الادارى

كان كل من البطـالمة يعتبر نفسه ملكا لمصر والهـا لها ، فكان هو المسيطر على المصريين فى دنياهم وفى دينهم على السواء ، وهو رأس السلطات ومصدر القوانين والمتحكم فى مصائر الناس فى الأرض وفى السماء ، وله وحده الخضوع والعبادة والولاء .

وقد رأى البطالمة مقدار تغلغل الدين فى نفوس المصريين وتأثرهم به أكثر من أى شىء آخر فى الحياة ، فاستغلوا ذلك فى تضييق طوق العبودية حول أعناقهم ، اذ عرفوا أنهم كانوا يقدسون فرعون ويعتبرونه الها لأنهم كانوا يعتقدون أنه منحدر من نسل اله ، فكـان كل من البطـالمة ــ كى يضمن خضوعهم له واستسلامهم لسلطانه ــ يقيم نفسه فرعونا على مصر بذات الطقوس الدينية التى كانت تتم لاقامة الفراعنة الأقدمين ، ويرفع نفسه الى مصاف الآلهة كما كانوا يفعلون . وقد كان الاسكندر الأكبر هو الذى وضع أسـاس هذا التقليد اذ توج نفسه فرعونا على مصر فى معبد بتاح ، واتخذ لنفسـه

الألقاب الفرعونية ، وادعى أنه ابن نكتانيبو الثانى آخر الفراعنة المصريين الذى هرب فى زعمه الى اليونان وعشق أوليمبيا أم الاسكندر وأنجبه منها متقمصا صورة الاله آمون • وقد فعل البطالمة ما فعله الاسكندر ، فتوجـــوا أنفسهم فراعنة على مقتضى الطقوس المصرية ، وادعوا أنهم من نسل الآلهة ورسمـــوا صورهم على جدران المعابد المصرية فى صورة الآلهة وحتموا على المصريين عبادتهم مع الآلهة التى يعبدونها •

وكما كان البطالمة يهدفون الى اخضاع المصريين باستغـــلال عاطفتهم الدينية ، كانوا يهدفون كذلك الى اكتساب الهيبة لدى رعاياهم من اليـــونان واقناعهم بشرعية سلطانهم الملكى عليهم ، لأن اليونان كانوا ينفرون من الملكية ويميلون الى النظام الجمهورى ، فعملوا من جهة على تبرير سلطانهم باعتبارات فلسفية ، وكلفوا بعض الفلاسفة على اختلاف مذاهبهم من مشائين ورواقيين وفيثاغوريين وغيرهم بكتابة رسائل يدافعون فيها عن النظام الملكى مستندين الى المذهب القائل بحق الأفضل فى الحكم لصالح الجماعة ، وعملوا من جهة أخرى على تبرير ذلك السلطان باعتبارات دينية ، اذ كان حق الرجال الممتازين فى أن يكونوا فوق القانون من التقاليد التى يقدسها اليونان ، بل لقد ذهب أرسطو فى كتاب السياسة الى أبعد من ذلك فقال أنه « اذا وجد بين مواطنى الأمة شخص يسمو على غيره بالفضيلة والكفاءة السياسية ، لا ينبغى اعتباره فردا عاديا لأنه ليس من الانصاف اعتباره مساويا لغيره ، وانما يجب اعتبار مثل هذا الشخص الها بين البشر » • ومن ثم طمح البطالمة لأن يكتسبوا فى أعـين اليونان صفة الألوهية على هذا الأساس • وكان الاسكندر الأكبر هو رائدهم فى ذلك اذ عمل على أن يظهر أمام العالم فى صورة الاله • وكما ادعى أن أمه أنجبته من الاله المصرى آمون ، ادعى كذلك أنها أنجبته من الالـــه اليونانى زيوس • وقد اعتبر البطالمة ألوهية الاسكندر حقيقة واقعة فجعل بطليموس الأول عبادته دينا يونانيا رسميا فى مصر ، وخصص لتلك العبـــادة كاهنا

يونانيا يتمتع بمكانة رفيعة فى البلاد ويتحتم على الجميع أن يذكروا اسمه مع اسم الملك فى كل الوثائق التى يحررونها فى عهده . وقد رفع بطليمـــوس الثانى أباه بطليموس الأول الى مصاف الآلهة باسم « الاله المنقذ » وانشأ فى الاسكندرية حفلا دينيا يونانيا لتكريمه يقام كل أربع سنوات . ثم أشرك أمه أرسينوى الأولى مع أبيه فى الألوهية وأقام هياكل لعبادتهما معا . كما رفع بطليموس الثانى نفسه مع زوجته أرسينوى الثانية الى مصاف الآلهة باسم « الالهين الأخوين » وأقام لعبادتهما معبدا خاصا فى الاسكندرية ، كما أصبحت



« الاله زيوس »

عبادة أرسينوى شائعة بين اليونان ولا سيما فى مديرية الفيوم التى سميت مديرية أرسينوى . وقد سار البطالمة جميعا بعد ذلك على هذا النهج فرفعوا أنفسهم الى مصاف الآلهة متخذين لهم بصفتهم الالهية أسماء مختلفـــة ، وقد فرضوا عبادتهم بصفتهم هذه فى المعابد اليونانية . وقد أقبل اليونان فى مصر على هذه العبادة لملوكهم فكان ذلك عاملا من عوامل قوة أولئك الملوك وتوطيد مركزهم وتدعيم طغيانهم .

وكان الذى يرث العرش فى نظام البطالمة هو أكبر الأبناء الذكور . ولم يكن للنساء حق وراثة العرش الا اذا لم يكن هناك وارث شرعي من الذكور ،

بشرط أن يتزوجن أقرب أقاربهن . كما لم يكن للأبناء غير الشرعيين حق وراثة العرش الا بمقتضى وصية أو فى الظروف غير العادية .

وكان يتم تنصيب الملك فى احتفال يقام فى الاسكندرية طبقا للتقاليد اليونانية ، ثم يتم تنصيبه بعد ذلك فى معبد بتاح فى منف طبقا للطقوس المصرية .

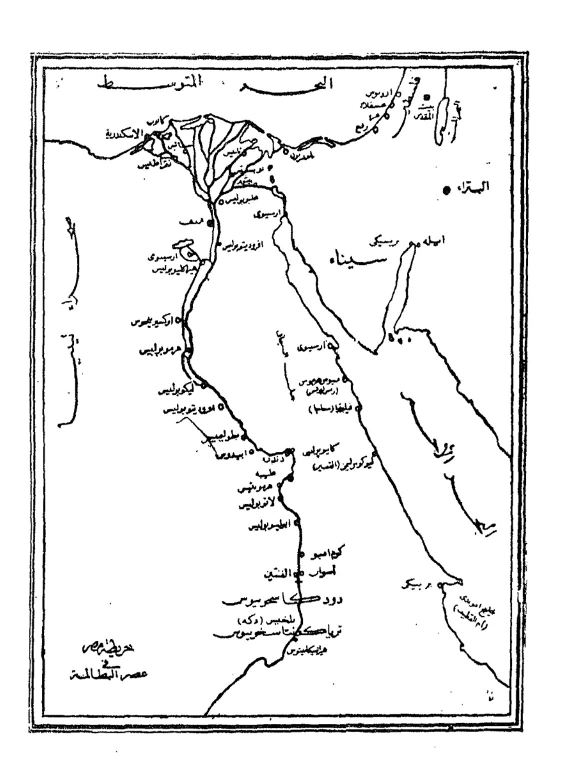
وكانت قصور البطالمة من أعظم القصور الملكية فى العالم ضخامة وفخامة، وكانت تزخر بكل مظاهر الجاه والعظمة ، وقد كسيت جدرانها بالرخام البديع ، وزينت أركانها بالأعمدة الرائعة ، وزخرفت أرضها بالفسيفساء الزاهية الألوان ، وفرشت أبهاؤها بأفخر الرياش المرصعة بالجواهر النفيسة والمطعمة بالعاج والأبنوس ،والمكسوة بالحرير والمخمل ، فكان ذلك كله شاهدا بما كان يرفل فيه أولئك الملوك من نعيم وثراء عظيم . وكانت كل مبانيهم وما بها من أثاث وطنافس ذات طراز يونانى ، كما كانوا يرتدون الملابس اليونانية ، ويتكلمون اللغة اليونانية . وقد كانوا يجهلون اللغة المصرية جهلا تاما ، معتبرين اياها لغة العبيد والفلاحين . فكان ذلك مظهرا من مظاهر صلفهم وتعاليهم على أولئك الذين كانوا منذ زمن قريب سادة العالم كله ،بينما كان غيرهم من الشعوب عبيدا وفلاحين .

وكان الملك هو الحاكم المطلق الذى تتركز فيه كل السلطات ، وبما أنه اله فقد كانت كلمته هى العليا وارادته هى النافذة على جميع الناس بغير استثناء ، وكان هو رأس السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية والسلطة القضائية على السواء ، كما كان هو الكاهن الأعظم والقائد الأعلى للجيش والأسطول . وكان يعاونه فى ممارسة ذلك السلطان المطلق شبكة دقيقة التنظيم من الموظفين يرأسهم الوزراء والمديرون وقواد الجيش ، وكانوا جميعا من اليونان . أما المصريون فقد أبعدهم البطالمة عن كل مناصب الادارة مهما قل شأنها ، فلم يعد منهم غير صغار الموظفين وأصحاب الحرف البسيطة والفلاحين .

وبذلك سيطر البطالمة على كل صغيرة وكبيرة فى مصر ، واستطاع موظفوهم المجردون من الرحمة أو الذمة أو الضمير أن يمتصوا كل قطرة من الدم فىعروق أهلها ، بما يستخدمونه من القسوة تارة ، وبما يتقاضونه من الرشوة تارة أخرى ، وقد تغلغل الفساد بين أولئك الموظفين حتى أصبح كالسرطان الذى عجز البطالمة أنفسهم عن استئصاله فتركوه يرعى فى جسد الأمة حتى أهلكهـا وأهلكهم آخر الأمر معها .

وقد كانت مصر منذ بداية عهد الفراعنة مقسمة الى عدد من المقاطعات أو المديريات ، ويذكر استرابون وديودور الصقلى أنها كانت تضم فى عهدهمـا ستا وثلاثين مديرية تشتمل على أكثر من عشرين ألف مدينة . وقد استبقى البطالمة هذه المديريات بما فيها من المدن على نظامها القديم ولكنهم غيروا أسماءها المصرية ، وجعلوا لها أسماء يونانية ، كما جعلوا لكل منها مديرا يونانيـا ، وقائدا عسكريا على رأس حامية يونانية . ولم يلبث قائد الحامية فى كـل مديرية أن أصبح الحاكم الفعلى لها ، وقد طغى نفوذه على مديرها المدنى ،وامتد سلطانه الى كل فروع الادارة فيها ، وأصبح له مساعدان يتولى أحدهما رئاسة الشرطة ويشرف الآخر على الشئون القضائية . وكان لكل مديرية عاصمتها . وكانت كل مديرية تنقسم الى عدد من المراكز ولكل مركز عاصمته كذلك ،وكان كل مركز ينقسم الى عدد من القرى ، وكان لكل قرية حاكمها الادارى وعمدتها ورئيس شرطتها ، وكان يساعد حاكم كل قرية جماعة من شيوخها . ولم يكن سكان المديريات معتبرين طبقة واحدة ، فقد كانوا يفرقون فى المعاملة بـين المصريين واليونان ونظرا لأن أغلب سكان مديرية الفيوم كانوا من اليونـان وضعوا لها نظاما خاصا يكفل حرية أهاليها ، بينما كان أغلب سكان منطقـة طيبة من المصريين فضموا كل مديرياتها ـ من الأشمونين شمالا الى الشـلال الأول جنوبا ـ فى منطقة واحدة أقاموا عليها حاكما يونانيا واحدا ، وفرضوا عليها نظاما عسكريا صارما .

وكما كان البطالمة يفرقون فى المعاملة بين المديريات التى أغلب سكانها من المصريين وبين المديريات التى أغلب سكانها من اليونان ، كانوا يفرقــون كذلك فى المعاملة بين المدن المصرية الخالصة والمدن اليونانية الخالصة ، فبينما كانوا يحكمون المدن المصرية حكما استبداديا مطلقا بحيث لا يتركون لأهلها أى رأى أو مشورة فى تصريف أى شأن من شئونها ، كانوا يمنحون المدن اليونانية فى مصر استقلالا ذاتيا يجعلها أشبه بمدن اليونان التى كانت تسمى «بوليس» فكانت تحكم نفسها بنفسها ، وتمنح مواطنيها حق القول والعمل ، وتسمح لهم بحق امتلاك الأراضى ، وتبيح لهم المشاركة فى كافة السلطات التشريعيـــة والتنفيذية والقضائية ، وتتيح لهم التمتع بكل مظاهر الحرية والكرامة الخليقة بالانسان الحر الكريم . وكانت بمصر فى عهد البطالمة ثلاث مدن يونانية هى نقراطيس والاسكندرية وبطوليميس . وقد كانت نقراطيس مدينة يونانية قديمة أسسها تجار ميليتوس فى عهد الأسرة السادسة والعشرين بمديرية سايس على فرع النيل الكانوبى ، ثم هاجر اليها كثير من سكان المدن الأيوليـــة والأيونية والدورية فى بحر ايجة وشاطىء الأناضول ، وقد احتكرت تجارة مصر مع دول البحر الأبيض المتوسط فأصبحت على جانب عظيم من الشهرة والثراء ، وكانت تزخر بكل معالم المدينة اليونانية من معابد ومسارح ونواد اجتماعية وملاعب رياضية وأسواق عامة ، وكان يحكمها مجلس أرستقراطى من بين أبنـــائها ، فكانت بمثابة دولة يونانية داخل الدولة المصرية . وقد احتفظت نقراطيس فى عهد البطالمة بنظمها القديمة فظلت تتمتع بشىء من الاستقلال الذاتى ، وكانت قوانينها لا تعترف بشرعية الزواج بين اليونان والمصريين . كما كانت لا تعترف للمصريين القاطنين فيها بحقوق مواطنيها من اليونان ، ومن ثم ظلت مدينـــة يونانية خالصة . ثم أنشأ الاسكندر الأكبر مدينة الاسكندرية بين شـــاطىء البحر الأبيض المتوسط وبحيرة مريوط غربى فرع النيل الكانوبى ، كى تكون قاعدته البحرية والتجارية فى البحر الأبيض المتوسط ، وكى تكون منبعـــا



البحر المتوسط
الاسكندرية
كانوب
نقراطيس
هليوبوليس
منف
افروديتوبوليس
ارسينوى
هيراكليوبوليس
اوكسيرينخوس
هرموبوليس
ليكوبوليس
افروديتوبوليس
بطوليميس
ابيدوس
دندرة
كابتوبوليس
طيبه
هرمونثيس
لاتوبوليس
ابوللونوبوليس
كوم امبو
اسوان
الفنتين
دودكاسخويونوس
بلخيس (دكه)
ترياكنتاسخوينوس
هيراسيكامينوس
ارسينوى
ميوس هرموس
فيلوتيرا
ليوكوس ليمن (القصير)
برنيكى
سيناء
ايله
البتراء
غزة
عسقلان
بيت المقدس
خريطة مصر في عصر البطالمة

للحضارة اليونانية بين ربوع الشرق القديم ، ومن ثم غابت شمس نقراطيس ببزوغ شمس الاسكندرية وازدياد أهميتها باعتبارها عاصمة مصر ومیناءهـا الأول ، وقد جذبت اليها أنظار الشرق والغرب وأصبحت تلعب دورا كبيرا فى حياة مصر الاقتصادية فكانت تستقبل من الخارج ما تحتاج اليه البلاد وتوزعه عليها ، كما كانت تستقبل من داخل البلاد ما يزيد عن حاجتها فتصدره الى مختلف الأسواق الخارجية . وكانت الاسكندرية باعتبارها مدينة يونانيـــة تتمتع بكل عناصر الحياة العامة فى المدينة اليونانية ، فكـــانت لها جمعيتها الشعبية ومحاكمها الخاصة ، وحكامها الذين كانوا يسمون « أراخنة » ، وكان أعظمهم شأنا رئيس الجيمنازيوم الذى كان يعتبر عميد هيئة المواطنين . ثم أنشئت بعد ذلك فى عهد البطالمة مدينة يونانية ثالثة هى بطوليميس ، وكانت فى موضع بلدة المنشاة الحالية بمحافظة سوهاج ، وكان سكانها يتمتعـــون بالحقوق الكاملة للمواطنين ، فكان لها جمعيتها الشعبية ، ودستورها الخاص ومحاكمها الخاصة ، وأنديتها وملاعبها ومسارحها وغير ذلك من معالم المدينة اليونانية الحرة . وكان استقلال هذه المدن محصورا فى شئونها الداخلية فلم يكن يتعارض مع سياسة الملك ولا سيادته ، وكان الملك يحترم حرية رعاياها فى أن يضعوا لأنفسهم نظام مدنهم . ولكن هذه المدن لم تكن بمثابة دول مستقلة داخل دولته وانما وحدات ادارية تخضع لسياسته العامة كما تخضع لتلك السياسة سائر الأقاليم اليونانية الأخرى خارج مصر ، مثل قبرص وبرقة وفينيقيا وفلسطين وليكيا وكاريا وميليتوس وأفسوس وغيرها من الأقاليم التى خضعت للبطالمة فى بداية عهدهم . وكان اليونان القاطنون خـــارج المـــدن اليونانية فى مصر يؤلفون جمعيات يونانية ، يمارسون فيها كل أنواع النشاط السياسى والاجتماعى والدينى ويتمتعون عن طريقها بنوع من الحكم الذاتى ، ويكتسبون كل الامتيازات التى يتمتع بها المواطنون فى المـــدن اليونانيـــة ، والتى تجعل منهم طبقة أرفع من المصريين ، بل كان حتى اليهود يؤلفون جمعيات يهودية يكتسبون عن طريقها كثيرا من الحقوق التى تميزهم عن المصريين ، بل

كانت كل الطوائف الأجنبية من كيليكيين وكريتيين وفريجيين وبيوتيين وأدوميين وتراقيين ولمارسيين يؤلفون مثل هذه الجمعيات ويكتسبون عن طريقها حقوقا تميزهم عن أولئك المصريين المساكين .

وكان يحمى دولة البطالمة ويوطد سلطانها وطغيانها جيش ضخم كانت نواته الأولى جزء من جيش الاسكندر الأكبر ، لأنه حين مات الاسكندر لم يقتسم قواده امبراطوريته فحسب ، وانما اقتسموا كذلك جيشه ، فكان من نصيب بطليموس الأول بعض كتائب ذلك الجيش ، بيد أنه بسبب أطماعه وما كان يتطلع اليه من السيطرة على امبراطورية الاسكندر كلها ـ لم يقنع بهذه الكتائب ، وانما جعل منها نواة لجيش عظيم اعتزم تكوينه فراح يجند النازحين من اليونان ويجمع المرتزقة ، منتفعا فى ذلك بالأموال الطائلة التى نهبها من مصر . ويحدثنا ديودور الصقلى بأنه أنفق ثمانية آلاف تالنت ـ أى ما تزيد قيمته على مليون وستمائة ألف جنيه ـ فى تعبئة جيش يبلغ تعداده سبعة وثلاثين ألف مقاتل . وقد أصبح جيشه يضم فئتين احداهما الفرق النظامية التى كانت تتألف من جنود الاسكندر المقدونيين ، ومن الجنود اليونان الذين نزحوا الى مصر ، ومن بعض الأسيويين كاليهود والأدوميين . وكانت الفئة الأخرى هى الفرق المرتزقة التى كانت تتألف من جنود مأجورين يعرضون خدماتهم على كل من يدفع ثمنها ، ويحتفظون حيثما ذهبوا بأزيائهم وأسلحتهم القومية ، وكان البطالمة يمنحونهم اقطاعات ليغروهم بالبقاء فى خدمتهم . أما المصريون فقد أبعدهم البطالمة الأوائل تماما عن الجيش ومنعوهم من الانخراط فى سلكه خوفا منهم واذلالا لهم ، فلم يكونوا يعهدون اليهم الا بأعمال النقل والخدمات الصغيرة المتعلقة بالأعمال الحربية ، حتى اذا اضطر بطليموس الرابع اضطرارا لأن يجندهم ليستعين بهم فى صد جيوش أنطيوخوس ملك سوريا ، ظل البطالمة يعتبرون ذلك خروجا على التقاليد البطلمية ، ويصرون على ابعاد المصريين عن الجيش ، رغم أن المصريين كان لهم الفضل الأول يومئذ فى

هزيمة أنطيوخوس عند رفح وحماية عرش البطالمة من عـــدوانه • حتى اذا انتعشت الروح الوطنية بعد ذلك لدى المصريين وثاروا على حكم البطـــالمة ، استعان أولئك فى اخماد ثورتهم بالجنــود المرتزقة من كل الجنسيات ، بيد أنهم حين اشتدت عليهم ثورتهم بدأوا يخافونهم ويسترضونهم فسمحوا لعـــدد قليل منهم بالانخراط فى الجيش ، ولكنهم حرصوا على أن يظل هذا العـــدد القليل فى مؤخرة الصفوف محروما من كل فرصة لاكتساب أى قوة أو تقدم • وكان جيش البطالمة فى زمن السلم يتألف من فئتين رئيسيتـــين هما الحرس الملكى والحاميات • وكان الحرس الملكى بمثابة جيش دائم مهمته الأولى حماية الملك ومقره الدائم بالاسكندرية • أما الحاميات فكانت عبارة عن قوات موزعة فى كل أنحاء الامبراطورية البطلمية • وكان ثمة فئة من الجنود يمنحهم البطالمة اقطاعات ويسمحون لهم فى وقت السلم بمزاولة الأعمال المدنية ولا سيمـــا الزراعة ، ولكنهم فى وقت الحرب يفرضون عليهم الخدمة العسكرية فى الفرق النظامية ، وكانوا فى الغالب متطوعين أو مرتزقة من بلاد اليونان وجزر بحـــر ايجه وآسيا ، وكان البطالمة يهدفون من وراء منحهم الاقطاعات الى تشجيعهم على الاستمرار فى خدمتهم وعدم تحميل الخزانة عبء نفقات جيش دائم ، كما كانوا يهدفون الى استغلال أولئك الجنود فى نشر الحضارة اليونانية واستخدام خبرتهم فى استثمار الأراضى • بيد أن أصحاب الاقطاعات سرعان ما استمرأوا الحياة المدنية وفقدوا الروح الحربية ، مما أدى الى ضعفهم ومن ثم الى ضعف البطالمة بالتدريج •

ولما كانت سياسة البطالمة منذ بداية عهدهم تستهـــدف السيطرة على البحار لتكوين امبراطورية مترامية الأطراف ، فقد عملوا منذ البداية على تكوين أسطول ضخم يحقق لهم هذه الغاية ، وقد نجحوا فى ذلك فكان أسطولهم من أقوى الأساطيل فى العالم اليونانى ، اذ كان أسطول بطليموس الأول يتألف من أكثر من أربعة آلاف سفينة ، منها ثمانمائة سفينـــة كان يكتسى مقـــدمها

ومؤخرها بالذهب ، وكان الملوك يستخدمونها عند ذهابهم لخــوض المعارك البحرية • وكان رجال الأسطول يتألفون من البحارة والمحاربين والمجذفين • وكان البحارة والمحاربون من اليونان وأما المجذفون - وهم بمثابة العبيد - فكانوا من المصريين • وقد نجح البطالمة بواسطة أسطولهم في تكوين الامبراطورية التى يحلمون بها ، وأصبحت الاسكندرية أعظم ميناء بحرى فى العالم اليونانى• وقد بقيت لنا من ذلك العهد لوحة من الفسيفساء تتحلى برسم بديع يمثــل الاسكندرية باعتبارها سيدة البحار ، وقد رمز لها بسيدة قوية الملامح تضع على رأسها تاجا بحريا ، وعلى كتفها عباءة حربية ، وفى يدها اليسرى شعــارا للانتصارات التى أحرزتها •

وكان ثمة فئة ثالثة تتولى حماية البطالمة وتنفيذ مايصدرونه من أوامر ، وجمع ما يفرضونه من ضرائب ، وهى فئة رجال الشرطة الذين كانوا جميعا من اليونان وكانوا بمثابة السوط الذى يلهب ظهور المصريين ، ويستنزف دمهم ، ويهدر كرامتهم •

وكانت عاصمة الدولة البطلمية هى الاسكندرية التى أسسها الاسكندر الأكبر ، ثم سرعان ما أصبحت أكبر مدينة يونانية فى العالم وقد فاقت فى اتساعها وعظمتها أثينا وكورنثوس وسيراكوز التى كانت أكبر مدن العــالم القديم ، كما أصبحت عاصمة الحضارة اليونانية ومنارتها •

ويذكر استرابون أنه كانت تقوم فى البقعة التى اختارها الاسكندر لتشييد الاسكندرية قرية تدعى راكوتيس ، ويذكر كاليسثينيس فى كتــابه « قصة الاسكندرية » أنه كان يقوم فى تلك البقعة ست عشرة قرية كانت أكبرهــا راكوتيس • وقد عهد الاسكندر بتخطيط الاسكندرية الى المهندس دينوكراتيس، فوضع لها تخطيطا يتميز باتساع الشوارع واتجاهها فى خطوط مستقيمة من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب ، على هيئة لوحة الشطرنج • ثم شرع كليومينيس النقراطيسى بعد ذلك فى بناء الاسكندرية وســاهم كــل

البطالمة فى تعميرها وتجميلها ، وقد أنشأ لها بطليموس الأول أسوارا ضخمة تمتد حوالى خمسة عشر كيلو مترا وتسير من الناحية الشمالية الشرقية فى محاذاة الشاطىء حتى رأس لوخياس ـ وهى منطقة السلسلة الحالية ـ ثم تتجه نحو القناة النابعة من الفرع الكانوبى للنيل • وقد استكملت الاسكندرية فى عهد بطليموس الثانى أهم المظاهر التى اشتهرت بها فى العصر اليونانى ثم فى العصر الرومانى ، وكان يخترقها شارعان رئيسيان يزيد عرض كل منهما عن ثلاثين ياردة ، وتقوم على جانبيهما دهاليز ذات أعمدة متوازية ، وكان أحد هذين الشارعين يمتد من باب كانوب ـ عند أبى قير الحالية ـ فى الشمـــال الشرقى الى باب الغرب فى الجنوب الغربى • وكان الشارع الآخر يمتد من باب الشمس عند بحيرة مريوط فى الجنوب الشرقى الى باب القمر عند الجسر الذى يربط الشاطىء بجزيرة فاروس • وكان هذا الشارع يتقاطع عند وسطه تقريبا مع الشارع الأول فيتالف عند تقاطعهما ميدان كبير • وكانت بقية الشوارع تمتد موازية لهذين الشارعين الرئيسيين • وقد ربط جزيرة فاروس بشاطىء المدينة جسر كانوا يسمونه الهبتاستاديوم ، فنشأ عن ذلك ميناءان أحدهما الى الشرق ويدعى « الميناء الكبير » والآخر الى الغرب ويدعى « يوفوستوس »• وكان هذان الميناءان يتصلان بواسطة ممرين عند طرفى الهبتاستاديوم • وكان ثمة ميناء مخصص للملوك يسمى « ميناء الملوك » ويقع على الشاطىء الجنوبى للميناء الكبير تجاه جزيرة أنتيرودوس • وكان يمتد من رأس لوخيـاس الذى يؤلف الجانب الشرقى للميناء الكبير لسان يحمى هذا الميناء من التيـارات والرياح الشمالية ، ولم يكن يفصل هذا اللسان عن الصخرة التى تقوم عليها المنارة شرقى جزيرة فاروس الا مدخل ضيق للميناء الكبير •

وكان يقوم على رأس لوخياس معبد وجانب من القصور الملكية التى كانت تمتد حتى المنطقة المواجهة لجزيرة أنتيرودوس ، ثم يليها المسرح ، ثم معبـد بوسيدون على نتوء داخل الميناء الكبير • وقد أضاف أنطونيوس الى هذا النتوء

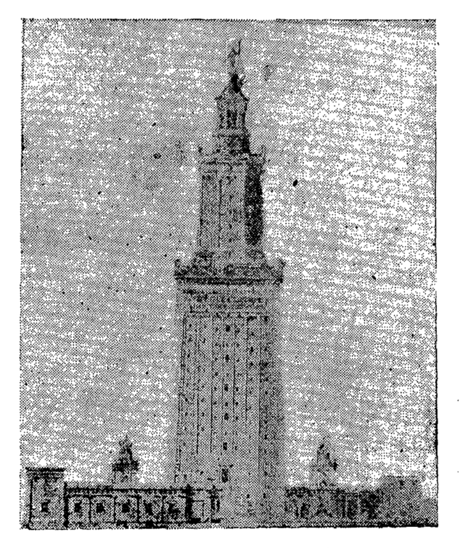
جسرا وأقام عند طرفه قصرا منعزلا يسمى الثيمونيوم ، وكان يقوم بالقرب منه معبد قيصر الذى بدأت كليوبترا السابعة بناءه ثم أتمه الرومان بعد الفتح ، كما كان يقوم هناك السوق ومستودعات الميناء • وكان الحى الملكى يطل على الميناء الكبير ويمتد فيما بين البحر وشارع كانوب شاغلا نحو ثلث مساحة المدينة ، وكانت تقوم فى هذا الحى القصور الملكية وما يحيط بها من الحدائق العظيمة المزدانة بالنافورات الرائعة ، كما كانت تقوم فى هذا الحى حدائق الحيوان ودار العلم والمكتبة وهيكل هوميروس ودار القضاء والجيمنازيوم ، ويقوم فيه كذلك البانيون وهو تل صناعى أقيم اجلالا للاله « بان » وتشرف قمته على المدينة كلها ، وهو الذى يسمى مكانه اليوم « تل كوم الدكة » • وكانت توجد كذلك فى هذه المنطقة « السيما » ، وهى مقبرة الاسكندر الأكبر •

« أما الهيبودروموس » أى مضمار سباق الخيل ، و « الاستاديوم » وهو ساحة الألعاب الرياضية فكان أولهما يقع فى الطرف الشرقى للمدينة ، وكان ثانيهما يقع فى الطرف الغربى لها • وأما « السيرابيوم » وهو معبد الاله « سيرابيس » فكان يقع فى حى راكوتيس •

وقد أقيمت منارة الاسكندرية على جزيرة صغيرة تقع بالقرب من جزيرة فاروس حيث توجد الآن قلعة « قايد بك » ، وقد بدأ بناءها المهندس سوستراتوس الكنيدوسى فى عهد بطليموس الأول ، وكان يربط جزيرة فاروس بالجزيرة التى أقيمت عليها المنارة جسر مائل يبلغ طوله ثمانية وستين مترا ، وكان يقوم حول الجزء الأسفل من المنارة سور ضخم يبلغ ارتفاعه سبعة أمتار ويبلغ سمكه عند قمته سبعة أمتار • وكانت المنارة نفسها تتألف من ثلاثة طوابق ويبلغ ارتفاعها نحو ١٣٦ مترا ، وكانت بالطابق الأول منها خمسون غرفة ، وكان المصباح الذى يعلوها يتكون من ثمانية أعمدة ترتفع فوقها قبة ضخمة أقيم عليها تمثال بوسيدون اله البحر ويبلغ ارتفاعه نحو

ثمانية أمتار ، وكانت بالمصباح مرايات محدبة من المعدن ينعكس عليها وهــج النار التي تشتعل بداخله فترسل الضوء الى مسافات بعيدة ٠

وكانت تمد الاسكندرية بمياه الشرب قناة كبيرة تنبع من النيل وتتفرع منها شبكة دقيقة من القنوات تمتد تحت أرض المدينة وتمد منازلها بالمياه ، وكان الذى وضع تصميم هذه القنوات هو هيبونوموس الليبى ٠



« منارة الاسكندرية »

وكانت توجد فى شرق الاسكندرية ضاحية اليوسيس التى أنشأ فيهــا بطليموس الثانى عبادة للالهة ديميتير ، تشبهعبادة هذه الالهة بمدينة اليوسيس فى أتيكا ٠ وكانت توجد فيما بين الاسكندرية وكانوب ـ وهى أبو قير الحالية ـ

قصور أغنياء الاسكندرية تحيط بها الحدائق الغناء ٠

وكانت الاسكندرية تضم خليطا من مختلف الجنسيات ، ولا سيما فى احتفالات البطوليمايا ، وتصور لنا أشعار ثيوكريتوس كيف كانت تتجاوب فى شوارعها فى تلك الاحتفالات أصداء عدد عظيم من اللغات التى تتكلم بها وفود البلاد المختلفة التى كانت تتدفق على الاسكندرية فى هذه المناسبة من يونان ورومان وسوريين وليبيين وكيليكيين وأثيوبيين وبكتريين وسكيثيين وفارسيين وهنود ٠ أما سكان الاسكندرية الدائمين فكانوا خليطا من المصريين واليونان واليهود وغيرهم من الجنسيات : فقد أنشئت الاسكندرية فى مكان عدد من القرى المصرية ، ومن ثم بقى فيها سكان هذه القرى من المصريين ، ثم نقل اليها كليومينيس المصريين الذين كانوا يقطنون مدينة كانوب ،كما اجتذبت الاسكندرية اليها كثيرا من المصريين القاطنين فى مختلف أنحاء البلاد ، مما حدا ببطليموس الثانى أن يحظر على المصريين الوافدين عليها من الريف أن يطيلوا اقامتهم فيها ٠ الا أن أغلب سكان الاسكندرية كانوا من اليونان ، كما كان اليهود يؤلفون جانبا كبيرا من سكان المدينة منذ بداية القرن الثالث قبل الميلاد، وكانت توجد الى جانب أولئك جماعات مختلفة من الأجانب والعبيد والمعتوقين٠ وكان سكان الاسكندرية يؤلفون طبقات متفاوتة فى مكانتها الاجتماعية وحقوقها السياسية : فكانت تأتى فى مقدمتها طبقة الاسكندريين أو المواطنين الكاملين ، وكانت تتألف من أقدم الأسر اليونانية وأعظمها شأنا ، وكان أفرادها يتمتعون بحقوق المواطنين كاملة ، أى الحقوق الشخصية والاجتماعية والسياسية وبعض الامتيازات الدينية كالتعيين فى وظائف الكهنوت والامتيازات المالية كالاعفاء من بعض الضرائب ومن أعمال السخرة ٠ فكان أفراد هذه الطبقة حين يبلغ الواحد منهم الرابعة عشرة من عمره يتم تسجيله فى أحد أحياء المدينة وينضم الى جماعات الشبان التى كانت تسمى « افيبيا » ليتدرب تدريبا رياضيا وعسكريا ، وكان مجرد تسجيله فى أحد الأحياء يتيح له التمتع بالحقوق

الكاملة للمواطن . وكانت تأتى بعد ذلك طبقة أنصاف المواطنين وكانت تتألف من الذين لم يسجلوا بعد فى أحد الأحياء ، وكانوا لا يتمتعون الا بقدر محدود من الحقوق ، فكان الفرد منهم مثلا لا يستطيع أن يشترى عقارا أو يبيعه ولا يستطيع التقاضى الا أمام محاكم الغرباء . وكانت من أرفع الطبقات كذلك طبقة المقدونيين التى كانت تتمتع بنفوذ كبير فى القصر والجيش . وكان ثمة طبقة أخرى تتألف من عدد كبير من الاشخاص الذين انحدروا من سلالة فارسية ولكنهم اصطبغوا بالصبغة اليونانية فأصبحوا يتمتعون ببعض الامتيازات ، ولكنهم لم يكونوا مساوين للطبقات الثلاث الأولى . وكانت الطبقة التالية لأولئك هى طبقة عامة اليونان الذين كانوا يتدفقون على الاسكندرية بغير انقطاع من كل أنحاء العالم اليونانى ولم يكونوا يتمتعون بحقوق المواطنين ولا بامتيازاتهم . وكانت تليهم فى المكانة طبقة اليهود الذين كانوا يؤلفون جالية كبيرة ويتمتعون بدستور خاص بهم ، ويفوزون بامتيازات تعادل امتيازات أنصاف المواطنين ، ثم كانت تأتى فى النهاية وفى آخر درجة من درجات السلم الاجتماعى طبقة المصريين وكانوا يتولون الأعمال والصناعات الصغيرة ويسكنون فى جزيرة فاروس وحى راكوتيس ، وكانوا معتبرين عنصرا أجنبيا عن هذه المدينة ومجردين من كل حق من الحقوق التى يتمتع بها سكانها .

وكان أهل الاسكندرية محبين لحياة الترف متكالبين على الثراء ، حتى قال عنهم هادريانوس « انهم لا يعبدون سوى الها واحدا هو المال » . كما كانوا مغرمين بأسباب البهجة واللهو ، غارقين دائما فى الشهوات والملذات ، حتى أصبحوا مضرب الأمثال فى التهتك والخلاعة والانحلال .

المبحث الثالث

النظام الاقتصادى

كان البطالمة – كما رأينا – يرمون من وراء السياسة التى رسموها لأنفسهم ، الى تدعيم قوتهم ، لتوطيد استقلالهم بمصر وبسط نفوذهم على العالم اليونانى • وقد اعتمدوا فى الوصول الى هذا الهدف اعتمادا جوهريا على سياستهم الاقتصادية التى تقوم على استغلال موارد مصر استغلالا منظما دقيقا ، واستنزاف جهود أبنائها الى أقصى الحدود ، لزيادة الانتاج بما يكفل زيادة دخل الدولة وقدرتها على مواجهة نفقات سياسة التوسع وبسط النفوذ، فضلا عن سياسة الاسراف والبذخ التى انتهجها البطالمة واشتهروا بها بين كل ممالك العالم فى عصرهم •

ولما كانت مصر بلادا زراعية قبل كل شىء ، فقد وجه البطالمة الى الزراعة أغلب اهتمامهم ، فلم يتركوا وسيلة من وسائل الضغط على الفلاحين المصريين الا لجأوا اليها لدفعهم الى بذل أقصى ما يملكون من قدرة على العمل وانتاج أكبر قدر ممكن من المحصول • ولم يتركوا وسيلة من وسائل زيادة الأرض المزروعة وتحسين المزروعات الا لجأوا اليها كذلك للوصول الى هذه الغاية • فاستخدموا

السخرة فى شق القنوات واقامة الجسور ، واستخدموا أدوات جديدة للرى غير الشادوف ومنها الساقية والطنبور الذى كانوا يسمونه «لولب أرشيميدس» وأدخلوا الحديد فى صناعة الأدوات الزراعية كالفأس والمنجل والجـاروف والبلطة ، بعد أن كان المصريون يصنعونها من الخشب الخالص • وكانت أشهر الحاصلات الزراعية لدى المصريين هى الحبوب الغذائية كالقمح والشعير والذرة والعدس والفول والجلبان ، والحبوب الزيتية كالسمسم والقـرطم والخروع والحنظل ، وكذلك البقول والكتان والقنب والنخيل والكروم ، فأدخل البطالمة أنواعا جديدة من الحاصلات كالبرسيم والحلبة والبسلة والحمص والترمس • وعملوا على الاكثار من زراعة القمح وتحسين أنواعه حتى أصبحت مصر أول دولة منتجة للقمح فى العالم • كما اعتنوا عناية كبيرة بزراعة الزيتون والحبوب الزيتية لاستخراج الزيوت • وأكثروا من زراعة الكروم لاستخراج النبيذ • وأدخلوا فى مصر أنواعا جديدة من الفاكهة كالجوز والتين والرمان والمشمش والتفاح والكمثرى ، واهتموا بتربية الماشية ولا سيما أنواعها اللازمة للزراعة كالأبقار والثيران • وكان الملك هو أكبر أصحاب الماشية فى مصر • لأن كل المراعى كانت مملوكة له ، وحين كانت ماشيته لا تكفى لسد حاجة أراضيه كان يغتصب ماشية الأهالى • وقد تميز عهد البطالمة الأوائل بازدياد مساحة الارض المزروعة وازدياد المحاصيل الزراعية ولا سيما فى مديرية الفيوم التى كان أغلب سكانها من اليونان ، وكانت أغلب مدنها تحمل أسماء يونانية مثل بطوليميس وفيلوتريس وفيلادلفيا ، كما كانت أغلب قراها تحمل أسماء يونانيـة مثل برينيكى وافروديتى وفيلوپاتور ، ولم تلبث المديرية ذاتهـا أن اتخذت اسم « أرسينوى » • وقد منح البطالمة كثيرا من أراضيها المستصلحة لجنـودهم والمقربين اليهم • بيد أنه منذ أواخر عهد بطليموس الثالث تناقصت الأرض الزراعية كما تناقصت المحاصيل الزراعية بالتدريج من جراء ما أصبح الأهالى يعانونه من ألوان القسوة والعنت ، وقد ناء كاهلهم بذلك النظام الرهيب الذى فرضه البطالمة عليهم ، فبدأوا يهجرون أراضيهم ويجهرون بالثورة فى وجـه

أولئك الطغاة الظالمين • وقد عمد البطالمة الى ارغام الأهالى على زراعة الأرض بالوعد تارة وبالوعيد تارة أخرى ، ولكنهم عجزوا مع ذلك عن وقف تيــــار التدهور الاقتصادى الذى كان يسرع بالبلاد الى الهاوية •

وقد عمل البطالمة كذلك على تشجيع الصناعة ، لأنها كانت تدر عليهم دخلا عظيما ، ومن ثم ازدهرت الصناعات المختلفة ولا سيما فى المدن ، وقــــد أصبحت الاسكندرية أكبر مدينة صناعية فى مصر ، بل فى العالم كله • كمــا انتشرت الصناعات الصغيرة فى القرى • وكان للمعابد المصرية فضل كبير فى ازدهار الصناعة ، اذ كانت من أهم المراكز الاقتصادية فى البلاد ، نظرا لأنها كانت تمتلك ضياعا واسعة ، وتمارس ـ فضلا عن الزراعة ـ كثيرا من فنون الصناعة • وقد اشتهرت مصر منذ أزمنة بعيدة بأنواع عديدة من الصناعات ولا سيما صناعة الورق والنسيج والخزف والزجاج والخشب والأبنوس والعــاج والذهب والفضة والبخور والعطور وغير ذلك مما كانت تنتجه وتصدره الى كل أنحاء العالم القديم ، فعمل البطالمة على الاستفادة الى أقصى الحدود من خبرة المصريين فى هذه الصناعات • وقد كانت صناعة الورق من أهم الصـــناعات المصرية فاهتم بها البطالمة وأدخلوا كثيرا من التحسينات عليها • وقد ساعد على رواج هذه الصناعة فى عهدهم ازدهار الحياة الاقتصادية وازدياد الأعمال الادارية ونشاط الحركة العلمية • وكان المصريون يتقنون صناعة المنسوجات الكتانية ، بينما كان اليونان يميلون الى الملابس الصوفية ، فاعتنى البطـــالمة بصناعتها فى مصر ، كما اعتنوا بصناعة الملابس القطنية والحريرية • وكانت أهم مراكز صناعه النسيج فى هذا العهد طيبة ومنف وتانيس وبوتو ودندرة وكانوب وكاسيون وأرسينوى وبلوزيون • وقد نشطت صناعة الخزف لصنع آنية النبيذ الذى كان اليونان ينتجونه بكميات كبيرة • كما نشطت صناعــة الزجاج التى عرفتها مصر منذ أقدم العصور • وقد لقيت الآنية الزجاجيــة المصرية رواجا عظيما فى كل أنحاء العالم اليونانى ولا سيما الكؤوس والأطباق

الموشاة بالذهب . وازدادت مجالات استخدام الزجاج ، فأصبحوا يستخدمونه بدلا من الأحجار الكريمة في ترصيع الحلى وزخرفة الأثاث وتزيين جدران المنازل وسقوفها . وقد ساعد على ازدهار الصناعات الخشبية فى عهد البطالمة وفرة الأخشاب الجيدة التى كانوا يستوردونها من البلاد الأخرى ولا سيما قبرص وسوريا وآسيا الصغرى ، كما ازدهرت صناعة العاج والأبنوس ، وقد كانوا يستوردونهما من أواسط أفريقيا ولا سيما أثيوبيا . وانتشرت صناعة البخور والعطور، وقدكانوا يستوردون خاماتهما من الصومال . وقد تقدمت صناعة المعادن ولا سيما الآنية والحلى الذهبية والفضية والبرونزية التى كانت مزدهرة فى مصر الفرعونية وخصوصا فى منف ، ونشأت مراكز جديدة لها فى مدن أخرى مثل هرموبوليس . وكان طبيعيا أن ينشط استغلال المناجم والمحاجر وسط حركة الانشاء والتعمير وازدهار الصناعة ورواج التجارة . وكان من أهم الصناعات شأنا كذلك فى عهد البطالمة صناعة الزيت الذى رأت فيه الدولة موردا هاما لخزينتها . كما أدى اهتمام البطالمة بزراعة الكروم الى انتشار صناعة النبيذ . وقد تقدمت الصناعات على العموم فى عهد البطالمة الأوائل تقدما كبيرا ، ولا سيما أن المصريين كانوا قد أتقنوها منذ العصر الفرعونى وبلغوا بها حدا يقرب من الكمال ، فنقلها عنهم اليونان وصبغوها بصبغتهم ، وتوسعوا فى منتجاتها ثم غمروا بها أسواق العالم اليونانى ، ومن ثم نشأت الى جانب مراكز الصناعة المصرية القديمة ، مراكز يونانية جديدة ، ولا سيما فى الاسكندرية التى أصبحت أكبر مركز صناعى فى العالم اليونانى ، وقد زخرت بأعداد ضخمة من أرباب الصناعات ، كما كان بها من العبيد الذين استخدمهم اليونان فى الأعمال الصناعية ما يزيد على مائتى ألف عبد . ولما كان المصريون ينفرون من استخدام العبيد ، فقد اقتصر استخدامهم على المدن اليونانية ، وكان اليونان يستوردون أعدادا ضخمة منهم ولا سيما من فلسطين وسوريا . وكما كان العمال الزراعيون يعتبرون عبيدا للأرض فى عهد البطالمة ، كان العمال الصناعيون كذلك يلقون أسوأ معاملة فى ذلك العهد .

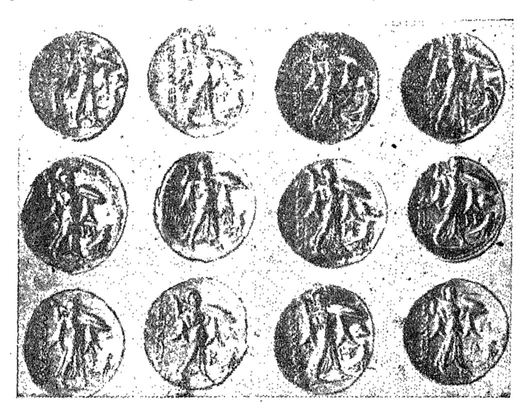
ويعطينا أجاثارخيدس الذى عاش فى القرن الثانى قبل الميلاد صورة بشعة لحياة أولئك التعساء من الأسرى الذين سخرهم البطالمة فى العمل بمناجم الذهب على حدود مصر الجنوبية ، فكانوا يظلون ينقبون الصخر طوال النهار والليل داخل سراديب عميقة مظلمة ، وهم عراة الأجسام ، راسفين فى الأغلال ، تحت رحمة حراس غلاظ القلوب يلهبون ظهورهم بالسياط ، ولا يتركون لهم فرصة ليلتقطوا أنفاسهم ، ولا يعطونهم من الطعام الا قدرا ضئيلا لايسد رمقهم فكانوا سريعا ما يسقطون من الاعياء والجوع ويهلكون . وأما غير أولئك من العمال فى مختلف المصانع فكانوا يخضعون لنظم قاسية ،ويتعرضون لعقوبات صارمة ، وكان يكفى أن تصدر عن واحد منهم هفوة بسيطة كى ينهال عليه رؤساؤه بالضرب العنيف ويسحبونه فى الشوارع بغير رحمة ثم يشنقونه. وكان أجر العامل فى المناجم لا يزيد عن قرشين فى اليوم . أما العامل فى اصلاح الجسور فلم يكن أجره اليومى يزيد عن سبعة مليمات . ومن ثم فان هذا النظام الجائر كما أدى الى تدهور الزراعة منذ أواخر عهد بطليموس الثالث ، أدى كذلك منذ ذلك الحين الى تدهور الصناعة ، لأنه كما هجر الفلاحون مزارعهم ، كذلك هجر العمال مصانعهم ، وأشعلوا نار الثورة ضد البطالمة فكان ذلك من أسباب ضعفهم وانهيار دولتهم .

وقد اهتم البطالمة الأوائل - فى سبيل توفير الأموال اللازمة لتنفيذ سياستهم وسد النقص فى منتجاتهم - بالعمل على رواج التجارة ولا سيما مع البلاد الأخرى . ولما كانوا يفتقرون الى كثير من المواد الأساسية اللازمةللجيش والأسطول ، فقد استوردوها من ممتلكاتهم الأخرى : فاستوردوا الخيول من برقة ، والنحاس من قبرص ، والحديد من مرو ، والفضة من كيليكيا ، والذهب من النوبة ، والأخشاب والحبوب من سوريا ، والنبيذ والعسل من ليكيا . كما كان للبطالمة علاقات تجارية مع البلاد الأجنبية خارج نطاق ممتلكاتهم ، لتصريف منتجاتهم وسد حاجتهم الى كثير من السلع ، فكانوا يصدرون الى البلاد

الواقعة فى بحر ايجة بعض حاصلاتهم الزراعية ولا سيما الحبـــوب ، وكانوا يستوردون منها الفضة والحديد والمرمر والصوف والعسل والفاكهة والبندق والبقول والجبن والنبيذ وزيت الزيتـــون والســـمك المجفف • كما كانوا يستوردون الحديد والفوسفور من ايطاليا ، والفضة من أسبانيا ، والقصدير من بريطانيا ، والخيول من قرطاجنة ، والعاج والعبيد وريش النعام وجلـــود التماسيح وعجول البحر من النوبة ، والعطور والبخور والمر والقـــرفة من الصومال ، والأصداف واللآلىء والأصباغ والنباتات الطبية والأخشاب الثمينة والقطن والحرير والبهار والأرز من الهند • ونظرا لأهمية الاتجار مع البـلاد الجنوبية والشرقية أنشأ البطالمة كثيرا من الموانى على شواطىء البحر الأحمر ، واعتنوا بتعبيد الطرق التى تربط وادى النيل بتلك الشواطىء ، كما اعتنوا بالملاحة البحرية والنهرية ووسائل النقل البرى ، واعتنـــوا بتنظيم البريد لاستخدامه فى الشئون التجارية • وقد استخدم البطالمة النقود فى معاملاتهم التجارية • وكانوا يسكونها من الذهب أو الفضة أو البرونز ، ويحفرون عليها صورهم أو صورا من الأساطير اليونانية ، وقد كان طبيعيا أن تروج تجـارة مصر الخارجية وتنتشر خلال القرن الأول من حكم البطالمة ، بسبب ازدهـــار الزراعة وتقدم الصناعة وكثرة تداول النقود والسيطرة على الطرق التجـارية وقيام العلاقات مع الدول الأجنبية ، بيد أنه ما تدهورت الزراعة والصناعة بعد ذلك حتى صحبها تدهور التجارة لأنها تعتمد قبل كـــل شىء على المنتجـــات الزراعية والصناعية •

وقد كان للعناية التى بذلها البطالمة الأوائل فى سبيل تنمية المـــوارد الاقتصادية للبلاد أثر واضح فيما حققوه من قوة وثراء • بيد أن أهالى البلاد لم ينلهم من هذه القوة ولا هذا الثراء شىء ، وانما بالعكس أصابهم الضعف والفقر تحت وطأة النظام الرهيب الذى فرضه البطالمة عليهم ، فضاقوا بهـــذا النظام ذرعا ، وكان ضيقهم به لا يفتأ يزداد كلما أوغل البطالمة فى طغيانهم

واستبدادهم ، ولا سيما حين كان يرتقى العرش ملك صغير السن أو ضعيف الشخصية ، وتنتقل مقاليد الحكم الى أوصياء أو وزراء مستهترين عابثين ، فينتهز الموظفون فى كل أنحاء البلاد هذه الفرصة ويستغلون وظائفهم أبشع استغلال ، ويرهقون الأهالى بما يفرضونه عليهم من الأثقال وما يبتزونه منهم من الأموال ، ومن ثم انفجرت مراجل الغضب فى صدور الأهالى ، فأعلنوا



« نقود من عهد البطالمة »

الثورة فى وجه أولئك الطغاة ، وهجروا مزارعهم ومصانعهم ، محتمين بالمعابد أو هائمين فى الصحراء ، فأدى ذلك الى شلل الحياة الاقتصادية ، وتدهور الحالة المالية ، وارتفاع الأسعار ، ومن ثم غرقت البلاد فى لجة عميقة من الفقر والبؤس ، وهبت عليها ريح عاتية من الضنك والدمار .

البحث الرابع

النظام المالى

وقد كان اساس السياسة الاقتصادية لدى البطالمة هو الحصول من مصر على أكبر قدر ممكن من الدخل ، بأقل قدر ممكن من المصروف . ورغم أن النظم الاقتصادية اليونانية كانت تقوم على مبدأين أساسيين هما احترام الملكية الخاصة وكفالة حرية التعامل ، فان البطالمة خالفوا هذين المبدأين مخالفة صارخة في مصر ، اذ اعتبروا الأرض ملكا لهم وحدهم من ناحية ، واحتكروا التعامل فى أغلب منتجات البلاد من ناحية أخرى . ومن ثم كانت مصر بمثابة ضيعة للبطالمة ، وكان دخلها يذهب الى خزانتهم ، التى لم تكن تسمى خزانة الدولة، بل « خزانة الملك » . وكان الملك يتصرف كيف شاء فى أموال هذه الخزانة ، بغير حسيب أو رقيب ، ويديرها بواسطة وزير المالية الذى لم يكن سوى خادما له ، يأتمر بأمره ، ويتصرف طبقا لمشيئته . وكانت تخضع لوزير المالية شبكة من الموظفين اليونان ينتشرون فى كل أنحاء البلاد ، ويتدرجون فى مراتبهم، ويراقبون بعضهم بعضا ، بمقتضى نظام دقيق ، ولوائح صارمة . الا أنه سرعان ما تسرب الفساد الى أولئك الموظفين ، فأصبحوا عصابة من اللصوص والمرتشين ، الذين لا ضمير لهم ولا رحمة في قلوبهم . ومن ثم أصبحوا بمثابة

سوط رهيب يلهب ظهر هذه الأمة المغلوبة على أمرها ويذيقها كـــل صنوف العنت والعسف والظلم والذل ٠

ولما كان البطالمة قد اعتبروا أنفسهم مالكين لأرض مصر ، فقد اعتبروا المصريين عبيدا لهم يتحتم عليهم زراعة هذه الأرض قسرا عنهم ، وان كانوا فى الظاهر يؤجرونها لهم ، اذ كانوا ملزمين بعدم مبارحتها الا بعد تسديدمستحقات الملك من حاصلاتها ، حتى اذا قاموا بتسديد تلك المستحقات ، لم يكن يتبقى لهم ما يسد رمقهم أو يدفع عنهم غائلة الجوع ، فكان نظام التأجير بالنسبة اليهم أسوأ من نظام السخرة ٠ وكان تأجير أراضى الملك يتم بالمزاد العلنى لقاءالجانب الأكبر من المحصول ، ولم يكن المستأجر الذى يرسو عليه المزاد حرا فى زراعة الأرض التى يستأجرها بما يشاء من أنواع المحصولات ، وانما كان يتعين عليه زراعة النوع الذى يأمره الملك بزراعته ٠ كما كان يتعين عليه أن يقترض من الملك البذور الخاصة بذلك النوع ٠ حتى اذا اقترب موسم الحصاد فرض الملك على الفلاحين رقابة شديدة ، فكان موظفوه يشرفون على جمع المحصول ونقلـــه الى الأجران الملكية والاستيلاء على نصيب الملك منه ٠ وكان هذا النصيب يشتمل على نسبة كبيرة من محصول الفلاح ، مضافا اليها نسبة أخرى تقابل ثمن البذور التى اقترضها ، وأجرة المواشى التى استخدمها ، وقيمة الضرائب والرسوم المتعددة التى فرضها الملك عليه ، كالضريبة العقـــارية التى كانت تسمى ضريبة الأردب ، ورسوم مسح الأراضى ، ونفقات حراسة الأجران ، وغربلة المحاصيل وكيلها ونقلها الى الموانى ، وسد العجز الناتج عن عمليات الغربلة والكيل والنقل ، ومرتبات الموظفين المكلفين بالاشراف على هذهالعمليات، ونفقات الاحتفاء بالملك وكبار الموظفين عند زيارتهم للأقاليم ، والضريبـــة المخصصة لشراء العلف لخيول الجيش ، وغير ذلك من الضرائب والرســـوم والتكاليف والنفقات ٠ فكان الفلاح بعد تسديد كل هذه المستحقـــات للملك يخرج صفر اليدين ٠ ومن ثم غرق فى لجة عميقة من الفاقة والضنك ، وعجــز عن الاستمرار فى زراعة الأرض التى استأجرها ٠ وقد اضطر كثير من الفلاحين

الى الفرار من أراضيهم ، هائمين على وجوههم فى الصحراء بعد أن فقدوا كل ما يملكون ، ووأدوا أبناءهم من فرط الفقر والجوع . فما جاء عهد بطليموس الرابع حتى كانت كثير من القرى قد أقفرت من ساكنيها ، وحتى كانت كثير من المزارع قد أصبحت قفارا تغطيها الرمال . ومن ثم عجز الموظفون المسئولون أمام الملك عن توريد الحاصلات المكلفين بتوريدها ، فاضطروا الى زراعة الأرض بأنفسهم كى يتلافوا غضب الملك عليهم . ولكنهم لم يستطيعوا الاستمرار فى ذلك بسبب التكاليف الباهظة التى تتطلبها الزراعة ، فعمدوا الى الفرار بدورهم وعندئذ لجأ الملك الى ارغام كل قادر من الفلاحين على زراعة الأراضى المهجورة ، فكانت النتيجة أشد وبالا . ومن ثم ألقى الملك المسئولية فى كل قرية على عاتق أهلها مجتمعين ، فأصبح يتعين على بعضهم أن يزرع أرضا لم يستأجرها ، أو أن يدفع ايجار أرض لم يزرعها ، حتى اذا عجز البعض منهم عن الاستمرار فى احتمال العبء ولاذ بالفرار ، وقعت المسئولية على الباقين من أهـــل القرية فاضطروا الى الوفاء بالالتزامات المفروضة على الذين فروا والذين استمروا على السواء .

وقد كان البطالمة ينتهجون سياسة التظاهر باحترام ديانة قدماء المصريين ليأمنوا جانب الكهنة ، فوهبوا المعابد كثيرا من الأراضى ، غير أنهم تحايلوا كى يفرضوا هيمنتهم على هذه الأراضى ، اذ لما كان المصريون يعتبرون أراضى المعابد ملكا للآلهة ، ولما كان البطالمة يعتبرون أنفسهم آلهة ، فقد اعتبروا أنفسهم مالكين لتلك الأراضى بصفتهم هذه ، ومن ثم أسنـــدوا الى موظفيهم ادارتها ، وفرضـــوا الضرائب عليهـــا ، واستـــولوا عـلى جـــانب كبـــير من ايراداتهـــا . وبذلك سيطروا على المعـــابد ، كما سيطروا على الــكهنة . بيد أن أراضى المعابد كانت لا تفتأ تزداد اتساعا ، كما أن الكهنة كانوا لايفتأون يزدادون قوة ، كلما ازداد البطالمة ضعفا ، فلم تلبث المعابد أن أصبحت مـــلاذ الثائرين ، وأصبح الكهنة زعماء الثورة ضد البطالمة . ومن ثم اضطر أولئك

الى مهادنتهم والسعى الى استرضائهم ، فعهدوا اليهم بادارة أملاك المعابد . وقد أصدر بطليموس الثامن أمرا ملكيا ينص على أنه « لا يصح اغتصاب شيء مما يخص الآلهة ، أو مصادرة القرى أو الأراضى أو غير ذلك من أملاكهم ، أو جباية ضريبة الجمعيات أو ضريبة التاج أو ضريبة الأردب عن تلك الأملاك ، أوتعذيب المشرفين على الدخل المقدس ، أو التذرع بأى حجة من جانب الموظفين لادارة الأراضى المقدسة ، التى تركت للكهنة كى يديروها بأنفسهم » . أما الأراضى التى كان الكهنة يملكونها قبل العصر اليونانى ويأخذون ايرادها لأنفسهم - وهى غير الأراضى التى كانت مملوكة للمعابد أو للآلهة - فقد استولى البطالمة عليها وتولوا ادارتها حتى أواخر عهدهم ، وكانوا هم الذين يبيعون الوظائف الكهنوتية ، فكان ذلك من أسباب سخط الكهنة عليهم ووقوفهم على رأس الثائرين ضدهم .

وقد كانت السياسة الخارجية للبطالمة تتطلب الاحتفاظ بجيش كبير ، وكانوا حريصين على عدم تجنيد المصريين لهذا الجيش كما رأينا ، فاضطروا الى تكوينه من المتطوعين اليونان وغيرهم من المرتزقة ، الا أنه لم يكن فى امكانهم الاحتفاظ بجيش دائم من المتطوعين والمرتزقة ، لأن ذلك من شأنه أن يكبدهم مصاريف باهظة ، كما لم يكن فى امكانهم تسريح الجيش بعد انتهاء كل حرب، ومن ثم عملوا على اغراء جنود الجيش بمنحهم اقطاعات من أرض مصر ليضمنوا بقاءهم بها فى أزمنة السلم ، حتى اذا نشبت الحرب وجدوهم رهن اشارتهم ، وفى ذات الوقت لا يتكبدون دفع مرتباتهم فى غير أوقات الحرب ، لأن دخل الاقطاعات يقوم عندئذ مقام المرتبات . وكان مساحة الاقطاعات الممنوحة للجنود تتوقف على مراتبهم فى الجيش ، فتزداد اتساعا كلما ازدادت الرتبة ارتفاعا . ولما كان أولئك الجنود من أصحاب الاقطاعات يحتاجون الى مساكن فقد كان البطالمة يجبرون الأهالى المصريين على ايوائهم فى بيوتهم . وقد نصت الأوامر الملكية بهذا الشأن على وجوب اقتسام البيت وما يتبعه مناصفة بين المالك

وصاحب الاقطاع • وكثيرا ما كان يحدث أن صاحب الاقطاع يطرد المالك من بيته •

وكان البطالمة يهبون كذلك اقطاعات من الأرض للمقربين اليهم وأصحاب الحظوة لديهم من كبار الموظفين وقواد الجيش • وكانت الهبة فى هذه الحالة تشمل الأرض وما عليها من قرى وفلاحين • كما كانوا أحيانا يهبون اقطاعات من الأرض لبعض الموظفين ليكون ريعها بمثابة مرتبات لهم ، كما هو الحال بالنسبة للجنود • بيد أن هذه الاقطاعات كانت تظل فى جميع الأحوال مملوكة للملك ، فلم يكن يصح للحائزين لها أن يتصرفوا فيها بالبيع أو الرهن أو غير ذلك من التصرفات • كما أنهم كانوا ملزمين بدفع الضرائب عنها واستصلاح الأجزاء غير الصالحة للزراعة منها •

ولكى يشجع البطالمة الأهالى ولا سيما اليونان على زراعة الأراضى المهجورة بالبساتين ، كانوا يسمحون لمن يغرس الأشجار فى مثل تلك الأراضى ويتعهدونها بالاصلاح أن يصبحوا مالكين لها • الا أن هذه الملكية لم تكن مطلقة ، بل كانت بموجب عقود ايجار طويلة الأمد ، أو عقود ايجار وراثية • وكان البطالمة يفرضون على أصحابها الضرائب العادية ، حتى اذا عجزوا عن سدادها نزعوا الأرض منهم وأعطوها لغيرهم •

وكان البطالمة يستولون على نسبة كبيرة من المحاصيل الزراعية التى تنتجها الأرض فى كل أنحاء البلاد مقابل ملكيتهم لتلك الأرض ، وما كانوا يفرضونه على زراعتها من ضرائب ورسوم ومصاريف وتكاليف تكاد أن تستغرق المحصول كله فلا يبقى منه للفلاح المسكين الا النزر اليسير • ومن ثم كان البطالمة ـ لتحقيق أكبر قدر من الربح ـ يحددون للفلاح أنواع الزراعة ومساحة الأرض التى ينبغى زراعتها من كل نوع • وعلى هذا الأساس كانوا يهتمون اهتماما كبيرا بزراعة الحبوب الغذائية ، ويحددون المساحات التى ينبغى زراعتها بها سنويا ، ويقدمون البذور اللازمة لهذه الزراعة الى الفلاحين بمثابة

قرض يستردونه منهم عند جمع المحصول بفائدة قدرها ٥٠٪ ، فكانوا يجنون من وراء ذلك أرباحا هائلة . ولما كان البطالمة يحتكرون صناعة الزيت ، فقد كانوا يهتمون بزراعة الحبوب الزيتية ولا سيما الخروع والسمسم ، ويحددون المساحات التى ينبغى زراعتها بها سنويا فى كل مديرية من مديريات القطر . وكان لكل مديرية ملتزم يتعهد بتوريد الكمية المفروضة عليها بعد جمع المحصول من الفلاحين . كما كان البطالمة يهتمون بزراعة الفاكهة ولا سيما الكروم التى كانوا يستخرجون منها مقادير ضخمة من النبيذ ، اذ كانوا يجنون أرباحا عظيمة من الضرائب المفروضة عليها . ولما كانوا يحتاجون الى الأخشاب فى صناعة السفن الحربية والتجارية ، فقد كانوا يفرضون على الأهالى غرس الأشجار على الجسور العامة ، وكانوا يعاقبون من يهمل فى ذلك ، كما يعاقبون من يقطع الأشجار القائمة أو يتلفها .

وكما كان البطالمة يحصلون على الجانب الأكبر من ثروة مصر الزراعية ، كانوا يحصلون كذلك على الجانب الأكبر من ثروتها الصناعية ، وقد احتكروا أغلب الصناعات وجنوا من ورائها أرباحا طائلة : فاحتكروا صناعة الزيوت ، وكانوا يملكون مصانع استخراجها ، ويحكمون بالسجن على كل من يستخرج الزيوت فى غير هذه المصانع . كما كانوا يلزمون عمال هذه المصانع بملازمتها ، ويحكمون عليهم بأقسى العقوبات اذا بارحوها . وكما كانوا يحتكرون صناعة الزيوت داخل البلاد كانوا كذلك يحتكرون استيرادها من الخارج ، ويحتكرون بيعها للأهالى بالأسعار التى يحددونها . وكانوا يجنون من ذلك أرباحا ضخمة ، لأن تجارة الزيوت كانت رائجة ، اذ كانت تسد حاجات كثيرة لدى الأهالى فى ذلك الزمان ، فكانوا يستخدمونها فى غذائهم وفى اضاءة منازلهم ، وفى صناعة الصابون والأصباغ والعطور وغير ذلك من الأغراض . كما كان البطالمة يشرفون على صناعة المنسوجات فكانوا يفرضون على الأهالى أن يبيعوا لهم نسبة معينة من محصول الكتان

بسعر معين ، وكانوا يفرضون على كل مديرية أن تقوم بنسج كمية معينة من الأقمشة الكتانية فى كل عام ، بعد أن يمدوا النساجين بالمواد اللازمة لهذه الصناعة ، فاذا عجز أحدهم عن تقديم الكمية المفروضة عليه ألزموه بدفع ثمنها. واذ كانت المعابد المصرية قد اشتهرت بانتاج نوع جيد من الأقمشة الكتانية ، كانوا يحتمون عليها أن تقدم اليهم نسبة معينة من انتاجها ، فاذا لم تقم بتوريد هذه النسبة ، أو قامت بتوريد أقمشة تقل فى جودتها عن المستوى المطلوب ، ألزموها بدفع غرامة تقابل قيمة العجز أو الفارق فى الجودة . وكان هذا هو النظام الذى وضعوه كذلك للمنسوجات المصنوعة من الصوف والقنب . وكانوا يفرضون ضرائب فادحة على صناعة النسيج بكل أنواعها ، كما كانوا يحتكرون التجارة الخارجية فى كل أنواع المنسوجات . وكان البطالمة يملكون المحاجر والمناجم ، ومن ثم كانوا يستغلونها على أوسع نطاق ، ويحصلون منها على ايرادات عظيمة ، ويسخرون للعمل بها المسجونين وأسرى الحرب تحت حراسة جنود غلاظ القلوب . كما كانوا يحتكرون استخراج الملح ، ويفرضون على كل سكان البلاد ضريبة باهظة على شرائه . وكانوا يحتكرون صناعة الجعة من الشعير ، وقد كانت من أهم الصناعات فى مصر . ولما كانت صناعة الورق من نبات البردى من أكثر الصناعات المصرية رواجا فى كل أنحاء العالم ، فقدفرض البطالمة على زراعة البردى قيودا تشبه القيود التى فرضوها على زراعة الكروم والأشجار . وكانوا يبيعون حق صناعة الورق للمتزمين مقابل نصيب يتناسب مع الأرباح الناتجة من هذه الصناعة . كما كانوا يعهدون بصناعة الفخار - وهى من أهم الصناعات - الى ملتزمين يتعهدون بتوريد نسبة كبيرة من الانتاج . وكان هذا هو الحال كذلك بالنسبة لصناعة الزجاج وصناعة الجلود. وقد أدخل البطالمة فى مصر الحمامات العامة ، وكانوا يبيعون حق استغلالها بالمزاد العلنى أو يؤجرونها كل عام . وكانوا يفرضون على حمامات الأهالى ضريبة مرتفعة لقاء التصريح لهم باقامتها واستغلالها .

وكانت الماشية التى يستخدمها الفلاحون مملوكة للبطالمة ، فكان على

الفلاحين أن يدفعوا لهم أجرا نظير استخدامها • أما الماشية التى يملكها الأفراد فكانت خاضعة لاشراف مالى دقيق ، وكان البطالمة يلزمون أصحابها بالتبليغ عنها ، ويتقاضون ضريبة عن كل رأس منها • كما كانوا يفرضون على الأهالى أن يقدموا عددا معينا من الماشية والطيور ومقدارا معينا من البقول للملك وكبار الموظفين أثناء طوافهم فى أنحاء البلاد • وكان البطالمة يملكون أعدادا عظيمة من خلايا النحل التى كانوا يؤجرونها للناس ويفرضون على العسل المستخرج منها ضرائب فاحشة ، فكانوا يكسبون من ذلك مبالغ عظيمة ، لأن تجارة العسل كانت رائجة جدا ، اذ كان يقوم فى ذلك الوقت مقام السكر ، الذى لم يكن قد تم التوصل الى استخراجه بعد • وكان للحمام أهمية عظمى فى اقتصاد مصر الزراعى ، لأنه كان أرخص أنواع الترف فى الغذاء بالنسبة للأهالى ، ولأنه كان ينتج أجود أنواع السماد للزراعة ، ومن ثم كان البطالمة يملكون أعدادا ضخمة كذلك من أبراج الحمام ، يقوم على استغلالها ملتزمون فى نظير نسبة كبيرة من الدخل • أما أبراج الأهالى فكانوا يفرضون عليها ضريبة تبلغ ثلث الدخل ، كما كانوا يفرضون ضريبة أخرى تدفع نقدا على أساس المساحة التى تشغلها أبراج الحمام • وكان البطالمة يملكون أعدادا كبيرة من الأوز ، ويعهدون بتربية بعضها الى أشخاص مأجورين ، كما يعهدون بتربية بعضها الآخر الى ملتزمين لقاء أجر معين يدفعونه • أما الأوز الذى كان يملكه الأهالى فكانوا يفرضون عليه ضريبة خاصة ، كما كانوا يفرضون ضريبة أخرى على مزاولة حرفة تربية هذا النوع من الطيور • ولما كان النيل والبحيرات والمستنقعات والصحارى مملوكة للبطالمة ، فلم يكونوا يسمحون فيها بالصيد أو القنص ، وانما كانوا يبيعون الحق فى ذلك للملتزمين لقاء مبالغ معينة • أما مصائد الأسماك فكانوا يؤجرونها للصيادين مقابل نسبة من المحصول • وهكذا كانوا يقاسمون الأهالى فى كل ما يملكونه أو ينتجونه أو يربحونه من عملهم مهما كان قليل الشأن أو ضئيل القيمة •

وفضلا عن أرباح البطالمة من المنتجات الزراعية والصناعية كانوا يجنون أرباحا هائلة من التجارة • وقد كانت مواردهم من التجارة الداخلية تتألف من الأرباح التجارية التى يجنونها من المواد التى كانوا يحتكرون صنعها وبيعها ، والأجر الذى يتقاضونه نظير التصريح بالتزام صنع وبيع بعض السلع ، والضرائب التى كانوا يحصلونها من تجار التجزئة والتى كانت تستنفد جانبا كبيرا من أرباح أولئك التجار ، والمكوس والعوائد التى كانوا يفرضونها على نقل السلع وعلى انتقال الأشخاص والحيوانات من مكان الى آخر • كما كان البطالمة يجنون أرباحا هائلة من التجارة الخارجية • ولم تكن علاقاتهم الخارجية تقتصر على أنحاء امبراطوريتهم ، بل كانت تشمل بلادا عديدة خارج نطاق هذه الامبراطورية ، مثل كثير من دول البحر الأبيض والبحر الأسود وشرق أفريقيا وأواسطها وبلاد العرب والهند • ويمكن تقسيم موارد البطالمة من ممتلكاتهم ومن سائر بلاد حوض البحر الأبيض والبحر الأسود والبلاد الأوروبية الى قسمين ، أحدهما هو السلع التى كانت مصر تفتقر اليها مثل الأخشاب والمعادن والخيول ، وكان البطالمة يحتكرون استيراد هذه السلع ، والقسم الآخر هو السلع التى كانت مصر تنتجها ، وقد فرض البطالمة على استيرادها مكوسا جمركية باهظة ، كانت تبلغ أحيانا ٢٥٪ من قيمتها ، فى حين أن المكوس الجمركية التى كانت تجبيها دول البحر الأبيض المتوسط الأخرى لم تكن تتجاوز ٢٪ والسر فى ذلك أن البطالمة لم يكونوا يقصدون من المكوس المرتفعة التى كانوا يجبونها حماية المنتجات المصرية بل كانوا يقصدون حماية مكاسبهم الشخصية من أرباح السلع التى كانوا يستوردونها • وكانت مصر تستورد من تلك البلاد النبيذ والزيت والعسل واللحوم والأسماك المجففة والتين والجوز والرمان والصوف والآنية الفخارية • كما كانت تستورد من الشرق ومن أواسط أفريقيا الفيلة والعاج والأبنوس والبخور والعطور والبهار والمر والزعفران والعبيد والجلود والقطن والحرير • وكان جانب كبير من هذه التجارة يأتى الى مصر عن طريق سوريا وآسيا الصغرى • وكان البطالمة

يجبون مكوسا جمركية باهظة على استيراد هذه السلع . كما كانوا يستولون على الكميات الواردة من البخور والعطور والمر ليوزعوها بأنفسهم على الأسواق الخارجية وعلى تجار التجزئة الذين كانوا يدفعون لهم فضلا عن ثمنها ضريبة مرتفعة على الاتجار بها . أما المواد الأخرى التى كانت تزيد على حاجة مصر كالحبوب والزيوت والنبيذ والورق والمنسوجات الكتانية والآنية الزجاجية ومعدات الحرب ، فكان البطالمة يصدرونها ويجنون من ورائها أرباحا طائلة ، ولا سيما القمح الذى كانوا يحرمون منه الأهالى أحيانا ليبيعوه بأثمان مرتفعة خارج مصر ، وكانوا يسعون على الدوام الى توفير الأسواق الخارجية لتصريفه. كما كانوا يراقبون غيرهم من التجار مراقبة دقيقة ليحصلوا منهم على المكوس الجمركية عن استيراد السلع وتصديرها ، والضرائب المفروضة على الاتجار فيها .

ولم يقتصر دخل البطالمة على مواردهم من مرافق البلاد الاقتصادية وهى الزراعة والصناعة والتجارة ، وانما شمل هذا الدخل عددا كبيرا من الضرائب التى فرضوها على كل مرافق الحياة ، ولا سيما على العقارات ، وتسجيل العقود ، وانتقال الملكية ، والوراثة . ولما كان العبيد معتبرين نوعا من الممتلكات ، فقد فرض البطالمة ضريبة على امتلاكهم . ولم يكن للعبيد أثر فى حياة مصر الاقتصادية فى العصر الفرعونى ، حتى اذا جاء البطالمة راحوا يشترون أعدادا كبيرة منهم لاستخدامهم فى المصانع والمزارع والمحاجر والمناجم. كما نشأت فى عهدهم طبقة رأسمالية مترفة من اليونان فكانوا يكثرون من شراء العبيد . وكان البطالمة يبيعون فى أسواق النخاسة أعدادا كبيرة ممن يقعون أسرى فى أيديهم خلال حروبهم . كما كانوا يبيعون العبيد الذين يقدمهم سادتهم رهنا للوفاء بالتزاماتهم المالية . بل كانوا يبيعون الرجال الأحرار لاستيفاء حقوق التاج . وقد احتكر بطليموس الثانى بيع الرجال الأحرار فى سوريا وفينيقيا . أما صفقات بيع العبيد التى يعقدها الأفراد فكان يتعين

عليهم الابلاغ عنها ودفع الضريبة المقررة عليها بنسبة ٢٠٪ من قيمة كل عبد . كما كان ثمة ضريبة مفروضة على تحرير العبيد ، وعلى انتقال ملكيتهم بالميراث . وكان ثمة رسوم جمركية مفروضة على استيرادهم من الخارج فضلا عن رسوم الحصول على التراخيص اللازمة لذلك . وقد فرض البطالمة ضريبة الرأس على المصريين دون غيرهم من الجنسيات الأخرى فى مصر ، فكانت هذه الضريبة بمثابة الطابع لعبوديتهم ، وكانت من أهم أسباب ثورتهم . كما كان البطالمة يفرضون السخرة على المصريين وحدهم ، فكانت بمثابة ضريبة فادحة يؤدونها من جهدهم وعرقهم ، وقد كانوا يسخرونهم فى الحصاد وحفر الترع واقامة الجسور وغير ذلك من الأعمال الشاقة . كما كان الموظفون يستغلون وظائفهم فيسخرون الأهالى فى شئونهم الخاصة . وكان البطالمة يفرضون ضرائب على أدوات العمل التى يستخدمها الفلاحون والملاحون وغيرهم كالشادوف والفأس والسفينة وغير ذلك . كما كانوا يفرضون على الأهالى ضريبة لتغطية نفقات ضيافة الملك وكبار الموظفين عندما يقومون بزيارة المديريات . وكانت هذه الضريبة تشمل نفقات الاقامة وعلف الماشية والدقيق والخبز والنبيذ والزيت والبقول والطيور وغير ذلك . وكان الموظفون يبالغون فى تقدير المبالغ التى يتعين على الأهالى أن يدفعوها لهذا الغرض ، حتى لقد كانت تؤدى فى بعض الأحيان الى خرابهم . وكان البطالمة يأمرون الأهالى بتقديم الهدايا اليهم بمناسبة الأعياد والحفلات ، حتى أصبحت هذه الهدايا بمثابة ضريبة سنوية مفروضة عليهم . وكان الموظفون يحذون حذو ملوكهم فيطلبون من الأهالى تقديم الهدايا اليهم ويغالون فى ذلك بدرجة تثقل كاهل أولئك التعساء . وذلك غير سلسلة طويلة من الضرائب الاضافية التى كان البطالمة يتركون تحديد قيمتها للموظفين، فيستغل أولئك سلطتهم أبشع استغلال . كما أنهم لسد العجز المتزايد فى ايرادات الدولة كانوا يلجأون الى فرض أعباء جديدة أرهقت الأهالى وقصمت ظهورهم . ولكى يضمن البطالمة الحصول على دخل منتظم من الضرائب لجأوا فى جبايتها الى نظام الالتزام ، فكانوا يعرضون التزام جباية الضرائب عن كل

مديرية ، وكان المزاد يرسو على الذى يعرض أكبر مبلغ • وكانت غالبية الملتزمين من اليونان واليهود • وكان الملتزم يدرك أن كل مبلغ يجبيه أكثر من المبلغ المطلوب منه يكون من حقه ، فكان لا يدخر وسعا فى جباية أكبر مبلغ ممكن لزيادة ربحه الى أقصى حد ممكن ، مهما تطلب ذلك من عنف وعسف وقسوة على الأهالى • فكان نظام التزام الضرائب يدر أرباحا طائلة على الملتزمين ، بينما كان الأهالى يتعرضون من جرائه لكل ألوان الظلم والضيم • وقد كان هذا النظام احدى وسيلتين رئيسيتين لجأ اليهما البطالمة لعدم التعرض لأى خسارة مالية • أما الوسيلة الأخرى فهى تحميل الموظفين مسئولية أى خسارة من هذا القبيل • وقد كانت لهذا النظام مساوىء صارخة بسبب ما كان الموظفون يرتكبونه من ضروب الشدة والوحشية مع الأهالى لتفادى حدوث أى خسارة يكونون مسئولين عنها•كما أنهم كانوا يعملون على اشباع نهمهم وتعويض أنفسهم عما كانوا ينفقونه من الرشاوى فى سبيل الفوز بمناصبهم • وقد ازدادت هذه الحال سوءا منذ بداية القرن الثانى قبل الميلاد عندما نقصت موارد البطالمة فازدادت مطالبهم من الأهالى ، ولجأ الموظفون الى تعذيب الأهالى وارغامهم بالقوة والقسوة على اجابة مطالبهم التى لا تنتهى ، ومن ثم ضج الأهالى بالشكوى ولم يجدوا سبيلا الى النجاة الا بالفرار من قراهم • حتى اذا شعر البطالمة بأن الضرر قد لحق بمواردهم بسبب اقفار القرى ، حاولوا الحد من عبث الموظفين واستهتارهم • وقد أصدر بطليموس الثامن لهذا الغرض أمرا ملكيا ينص على أنه « لا يحق للقواد أو غيرهم من الموظفين تسخير الأهالى فى أعمالهم الخاصة ، أو اغتصاب ماشيتهم ، أو ارغامهم على تقديم الطيور أو القمح أو النبيذ اليهم بصفة هدية ، أو مطالبتهم بالقيام بأى عمل من الأعمال دون مقابل لأى سبب من الأسباب » • الا أن الموظفين لم يحفلوا بهذا الأمر ولا بغيره ، وقد استفحل طغيانهم وتحرروا حتى من سلطان القانون •

ويبدو مما سلف أن الغرض الذى كان يهدف اليه البطالمة من وراء

سياستهم الاقتصادية والمالية هو تحقيق مصالحهم الشخصية وحدها دون أى اهتمام بالرعية ، أو اعتبار لأى مبدأ من مبادىء العدل أو الرحمة أو الانسانية فى أبسط صورها · فما أعظم الفارق بينهم وبين الفراعنة الأسبقين الذين كانوا يعتبرون أنفسهم مسئولين عن رعيتهم ، يسهرون على راحتها ، ويعملون على رفاهيتها ، ويعاملونها معاملة الأب لأبنائه ، ورب البيت لأفراد أسرته · وقد أعمى الطمع والجشع أبصار البطالمة فلم يفعلوا شيئا لرفع مستوى الأهالى ، بل حرصوا بالعكس على ابقائهم فى أحط دركات الفاقة والفقر كى لا تزيد نفقاتهم فتقل أرباحهم · فبينما اكتظت خزائن البطالمة بالأموال ، وأصبحت ثروتهم مضرب الأمثال فى العالم كله ، وأقاموا القصور الفخمة وأسبغوا عليها كل ألوان الترف والنعيم ، وبينما عاش اليونان وغيرهم من الغرباء متمتعين فى كنفهم بالوظائف الكبرى وبالاقطاع الواسعة والضياع الشاسعة والثروات العريضة ، كان المصريون ــ وهم أهل البلاد وأصحابها ــ يعيشون عيش العبيد الذين يكافحون ويكدحون ويلاقون أشد الأهوال كى يملأوا خزائن سادتهم بالمال ·

وهكذا استطاع البطالمة بذكاء وخبث أن يضعوا خطتهم فى تنظيم دقيق، وأن ينفذوها فى صرامة قاسية ، لاستعباد الشعب المصرى ، واستغلاله لخدمة أغراضهم ومطامعهم ، وجمع أقصى ما يمكنهم أن يجمعوه من ثروة ، وبلوغ أبعد مدى يمكنهم أن يبلغوه من سطوة ، ولو على أشلاء هذا الشعب وحطام حريته وكرامته وكبريائه · ولم تكن هذه الخطة الشائنة التى انتهجها أولئك اليونان فى حكمهم للمصريين غريبة على طبيعتهم أو طريقة تفكيرهم ، فاننا نرى أعظم فلاسفتهم وهو أفلاطون ، رغم تبشيره بالمثل العليا ، يكشف عن صميم نفسية قومه حين يتحدث فى كتاب « الجمهورية » عن العلاقات بين الأمم ، فينصح المدن اليونانية اذا نشب القتال بينها ألا تعمد المدينة الغالبة الى تدمير المدينة المغلوبة واحراقها وابادة أهلها ، قائلا ان ذلك لا يصح لليونان أن يفعلوه الا مع

الأمم الأجنبية ، وأنهم لا يصح أن يستعبدوا بعضهم بعضا ، فلا يصح لهم أن يستعبدوا الا الأعداء ، لأن الرجل الفاضل فى رأيه لا يستعبد صـــديقه بل عدوه ، وهكذا نرى أن منطق اليونان — حتى على لسان أكبر فلاسفتهم — يقضى بأن استعباد الشعوب الأخرى فضيلة وعدل .

البحث الخامس

النظام القضائى

كانت للمصريين قوانينهم وتقاليدهم التى درجوا عليها منذ أزمان بعيدة . واذ وجد البطالمة أن من المتعذر عليهم تغيير هذه القوانين دفعة واحدة ، لم يغيروا منها الا ما يعوق توطيد سيادتهم ، أو يعرقل تنفيذ سياستهم ، وتركوا المصريين يتعاملون فيما بينهم على مقتضى ما اعتادوه ، ولا سيما فيما يتعلق بأحوالهم الشخصية ، لا احتراما لحريتهم ، أو عملا على راحتهم من هذه الناحية ، وانما اهمالا لشأنهم ، وتنصلا من الاهتمام بالأمور المتعلقة بهم . بينما وضعوا لليونان المقيمين فى مصر من قوانين الأحوال الشخصية ما يتفق مع العقلية اليونانية ويتلاءم مع تقاليد اليونان ويكفل لهم الحرية والراحة فى موطنهم الجديد .

وكان ثمة فروق واضحة بين التشريعين المصرى واليونانى فيما يتعلق بالأحوال الشخصية ، ولا سيما قواعد تنظيم الأسرة : فقد كانت المرأة المصرية تتمتع بمكانة فى المجتمع لا تتمتع بمثلها المرأة اليونانية ، اذ كانت المرأة المصرية تتزوج بمحض ارادتها ، وتستطيع أن تطلق زوجها اذا شاءت ، وأن تطالبه اذا طلقها بالصداق الذى وعدها به فى عقد الزواج ، وأن تتصرف فى

نفسها وفيما تملك دون قيد أو شرط ، بينما لم يكن للمرأة اليونانية أن تتزوج أو تنفصل عن زوجها أو تتصرف فى أى أمر من أمورها الا بموافقة الوصى عليها • وكانت الزوجة المصرية تتلقى من زوجها مهرا ، بينما كانت المرأة اليونانية تدفع لزوجها « دوطة » • وكانت الدوطة تلعب دورا هاما فى عقود الزواج اليونانية ، فاذا توفيت الزوجة كان على الزوج أن يرد الدوطة الى أبويها مصحوبة بأملاكها الخاصة ، واذا توفى الزوج كانت الزوجة لا تأخذ الا ما تملكه فقط • وكانت عقود الزواج المصرية تختلف عن عقود الزواج اليونانية ، اذ كانت الأولى تشتمل على التزامات من الزوج وحده ، بينما كانت الثانية تشتمل على التزامات من الزوج والزوجة كليهما • كما كانت مراسيم الزواج المصرية تختلف عن مراسيم الزواج اليونانية ، اذ كانت الأولى مراسيم دينية تتم بواسطة الكهنة ، بينما كانت الثانية مراسيم مدنية لايتدخل الكهنة فى اتمامها • ويتضح من ذلك أن نظام الزواج المصرى كان يجعل للمرأة حقوقا وامتيازات لم تكن تتوافر للمرأة اليونانية طبقا لنظام الزواج اليونانى ، ومن ثم فان البطالمة رغم تظاهرهم باحترام تقاليد المصريين ، لم يقبلوا هذا الوضع وحرموا المرأة المصرية من حقوقها وامتيازاتها كى تتساوى مع المرأة اليونانية فحظروا عليها الزواج دون موافقة الوصى عليها ، وحظروا عليها التعاقد بعد الزواج دون موافقة زوجها •

وكان أبناء المصريين يتمتعون متى بلغوا سن الرشد فى حياة آبائهم بحق الامتلاك والتصرف فى ممتلكاتهم وابرام كافة أنواع العقود تحت مسئوليتهم الخاصة • بل لقد كان الآباء يحتاجون أحيانا الى موافقة أبنائهم اذا أرادوا التصرف فى ممتلكات الأسرة • وكان الابن الأكبر يتمتع فى حياة أبيه بشىء من الوصاية على اخوته وأخواته الأصغر منه ، كما كانت البنت الكبرى تتمتع بهذا الحق على اخوتها وأخواتها الاصغر منها ، الى أن حرمها البطالمة من هذا الحق حين ساووا بين المرأة المصرية والمرأة اليونانية •

وكان الأب المصرى يقسم أملاكه قبل موته على أولاده بالتساوى بين الذكور والاناث . فاذا توفى قبل أن يقسم عليهم أملاكه ، كانوا يرثونها بمقتضى القانون المصرى بالتساوى كذلك بين الذكور والاناث ، على أن يخلف الابن الأكبر أباه فى الوصاية على القاصرين من اخوته وأخواته . أما فى القانون اليونانى فكان يجوز للأب أن يكتب وصية يوزع بمقتضاها أملاكه على أبنائه بالطريقة التى تروق له فاذا مات بغير وصية يرث الأبناء تركته بالتساوى فيما بينهم .

وبينما كان القانون اليونانى يبيح للرجل أن يتبنى ما يشاء من الأولاد ، كان المصريون يعتبرون التبنى نوعا من البيع ، وكان القانون المصرى يحرم على الآباء بيع أبنائهم .

أما فيما يتعلق بالأحوال العينية ، فقدكان للمصريين منذ العصر الفرعونى حق تحرير العقود العرفية بواسطة الكهنة أو بواسطة الكتبة العاديين . وقد ترك البطالمة للمصريين هذا الحق ، ولكنهم فرضوا رسوما على كل عقد ينطوى على انتقال ملكية العقارات بالهبة أو البيع . كما أنهم استحدثوا فى العقود اجراءات كانت مألوفة فى التشريع اليونانى ، كأن يتضمن العقد شرطا يقضى على الطرف الذى يقصر فى التزاماته بدفع غرامة للخزانة الملكية ، أو يقضى بأن المدين الذى لا يسدد الدين يعامل معاملة المدينين للحكومة ، أى يكون جزاؤه الحبس . وكان يجوز الاتفاق على أن يقدم المدين للدائن عينا تساوى الدين فى قيمتها كضمان يرده الدائن عند الوفاء ، أو أن يضع الدائن يده على عقار مملوك للمدين ، على أن يصبح مالكا له اذا تخلف المدين عن الوفاء بالدين . أو أن يرهن الدائن عقارا أو منقولا يبقى فى حيازة المدين ولكن قيمته تضمن الوفاء بالدين ، أو أن يبيع المدين للدائن العين المخصصة لضمان الوفاء بالدين، على أن يحتفظ بالحق فى استردادها عند الوفاء . أو أن يتعهد المدين بأن يدفع للدائن فى حالة التأخير فى الوفاء فائدة قد تصل الى ٥٠٪ من الدين . وقد

كانت الدولة فى العصر الفرعونى تحمى المدين من الفـوائد الفاحشة ٠ أما البطالمة فكانوا يتركون المدين تحت رحمة الدائن ٠

أما فيما يتعلق بالتشريع الجنائى فقد طبق البطالمة على المصريين قوانين غير التى طبقوها على اليونان ، وقد كان القانون الجنائى المصرى خاضعا منـذ العصر الفرعونى لأحكام الدين ٠ فكان يعتبر الخطايا الدينية جرائم تقع تحت طائلة العقاب الدنيوى ٠ وقد كان القتل العمد عقوبته الموت، وللملك أن يستبدل حكم الموت بالأشغال الشاقة ، واذا كان المحكوم عليه بالموت امرأة حامل لاينفذ الحكم فيها الا بعد أن تضع طفلها ٠ أما الذى يرتكب جريمة القتل عن غير عمد فلا يصح له أن يعود الى بيته الا بعد أن يتطهر ويضع قربانا على مقبرة ضحيته٠ وكانت عقوبة الجاسوس قطع لسانه ، وعقوبة مزيف النقود قطع يده ، وعقوبة الزانية جدع أنفها ٠ وكان الذى يرى جريمة قتل ولا يبلغ عنها عقوبته الجلد ، والذى يستطيع أن ينقذ القتيل ويتخلف عن ذلك عقوبته الموت ٠ ولا نعرف على وجه اليقين مدى التغيير الذى أدخله البطالمة على مبادىء القانون الجنـائى المصرى ، ولا مدى سماحهم للمصريين بالاحتفاظ بهذه المبادىء ، وان كان الثابت أنهم طبقوا على اليونان مبادىء أخرى تتفق مع قوانينهم ، ومع ما جعلوه لهم من مركز ممتاز فى البلاد ٠

وقد كان يوجد قضاة مصريون للفصل فى قضايا المصريين وفقا للقوانين المصرية ، كما كان يوجد قضاة يونان للفصل فى قضايا اليونان وفقا للقوانين اليونانية التى وضعها البطالمة ٠ الا أنه لم يكن من الميسور عـلى الدوام تنظيم اختصاص المحاكم وفقا لجنسية المتقاضين ، لأنـه كان يصـح للمصريين أن يتعاقدوا وفقا للقوانين اليونانية ، كما كان يصح لليونان أن يتعاقدوا وفقـا للقوانين المصرية ، ومن ثم أنشأ البطالمة محاكم مختلطة للفصـل فى المنازعات التى تقع بين خصوم مختلفى الجنسية ، الى أن أصدر بطليموس الثامن قرارا يقضى بأنه اذا نشب نزاع بين مصرى ويونانى حول تنفيذ عقد محرر بينهما

فان لغة العقد هى التى تحدد نوع المحكمة التى تختص بنظر النزاع ، فاذا كان العقد مصريا كانت المحكمة المصرية هى المختصة ، واذا كان العقد يونانيا كانت المحكمة اليونانية هى المختصة ، وبذلك اختفت المحاكم المختلطة . أما القضايا التى يمس موضوعها موارد الملك ، والقضايا المتعلقة بالأشخاص الذين يمدون الملك بهذه الموارد ، والشكاوى المقدمة من الأهالى ضد موظفى الحكومة ، فقد كانت تفصل فيها هيئة من الموظفين والقضاة اليونان . وأما قضايا رجال الجيش فكانت تفصل فيها محكمة خاصة بهم .

ولم يستبق البطالمة من المحاكم المصرية فى عصر الفراعنة سوى المحاكم المحلية فى المدن وعواصم المديريات . وكانت هذه المحاكم تتكون من قضاة مصريين ، وتفصل فى القضايا المدنية والجنائية الخاصة بالمصريين ، وكان يمكن استئناف أحكام هذه المحاكم أمام محكمة الملك فى الاسكندرية .

وكانت المحاكم اليونانية تتكون من قضاة يونان وتنعقد فى المدن وعواصم المديريات وتفصل فى القضايا المدنية والجنائية الخاصة باليونان .

ولما كانت الأوامر المالية تتعلق بمصالح الخزانة الملكية ، فقد عهد البطالمة بالفصل فى المنازعات التى تنشأ عن تنفيذها أو مخالفتها الى نوع خاص من المحاكم يشكلونها من موظفين أكثر صرامة وحسما من القضاة العاديين ، بحيث يبتون فى مثل هذه المنازعات على وجه السرعة ويضعون نصب أعينهم مصالح الخزانة قبل أى اعتبار آخر . واذ كان البطالمة يسيطرون على الحياة الاقتصادية سيطرة تامة فى كل تفاصيلها ، فان كثيرا من الأعمال التى يعتبرها أى نظام اقتصادى حر أعمالا عادية لا تنطوى على أى خطأ أو مسئولية ، كانوا هم يعتبرونها جرائم أو مخالفات تستحق العقاب ، لأنها تمس مصالح الخزانة، أى مصالحهم الخاصة . ومن ثم كثر هذا النوع من الجرائم والمخالفات التى ينبغى عرض أمرها على ذلك النوع الخاص من المحاكم . وعلى هذا الأساس كانت تخرج من اختصاص القضاء العادى قضايا أولئك الذين يخدمون موارد

الملك ، حتى اذا كان موضوع هذه القضايا لا يمت بصـــلة الى تلك الموارد أو يمسها من قريب أو بعيد . وأصبحت هذه القضايا تدخل فى ولاية المحـــاكم الخاصة ، ومن ثم خضع لهذه المحاكم كل العاملين فى خدمة الملك كالفلاحين فى مزارعه والعمال فى مصانعه ، بل كان يكفى أن يضمن أى شخص سداد التزامه نحو الخزانة الملكية حتى يتمتع بحق التقاضى أمام هذه المحاكم ولايمكن بذلك للمحاكم العادية أن ترغمه على أداء التزاماته نحو دائنيه من الأهالى . ولذلك فان هذا النوع من القضاء الخاص كان منافيا للعدالة ، كما كان منافيا للأخلاق .

وكان رؤساء الموظفين يتولون الفصل فى الشكاوى التى يقدمها الأهالى ضد مرؤوسيهم . الا أنه كانت تشكل أحيانا محاكم خاصة من بعض الموظفين وبعض القضاة للفصل فى مثل هذه الشكاوى . ولكى لا تتحمل الخزانة أى خسارة من جراء الشكاوى التى يرفعها الأهالى ضد الموظفين اذا ظهر أن الحق فى جانب الأهالى ، حظر البطالمة على المحامين أن يترافعوا لمصلحة الأهالى ضد مصالح الخزانة الملكية ، والا تعرضوا لعقوبة صارمة هى حرمانهم من المرافعة على الاطلاق ، أى حرمانهم نهائيا من مزاولة مهنتهم . وقد كتب بطليموس الثانى الى وزير ماليته أبولونيوس فى هذا الصدد يقول له « بما أن بعض المحامين قد ترافعوا فى قضايا مالية ضد خزانة الدولة ، فقد حكمنـــا عليهم بأن يدفعوا للخزانة ضريبة العشر مضاعفة ، وقد حرمناهم من المرافعة منذ الآن فى أى قضية كانت ، واذا ثبت فى المستقبل أن واحدا من هؤلاء قد ترافع فى أى قضية ، يجب أن ترسلوه الينا مقبوضا عليه وأن تصادروا أملاكه لمصلحـــة الخزانة » .

وقد أنشأ البطالمة كذلك محاكم خاصـة لرجـــال الجيش الذين كانوا يتمتعون بمنزلة ممتازة فى البلاد ، وكان يتم تشكيل هذه المحاكم من كبـــار الضباط اليونان ، وتختص ــ فضلا عن القضايا العسكرية ــ بالفصـــل فى القضايا المدنية والجنائية التى تتعلق برجال الجيش .

البحث السادس

الحياة الاجتماعية

حين فتح الاسكندر الأكبر مصر تدفقت عليها أفواج اليونان كالسيل المنهمر . حتى اذا جاء البطالمة اعتمدوا فى توطيد أركان دولتهم على اليونان ، فاستقدموا الى مصر أعدادا عظيمة منهم ، كما اعتمدوا عليهم فى تكوين جيوشهم وأساطيلهم فجندوا منهم أعدادا عظيمة أخرى ، ومن ثم أصبح لليونان فى مصر جالية ضخمة احتلت جانبا عظيما من المدن والقرى المصرية ، كما احتلت مكانة ممتازة بين المصريين ، هى مكانة السادة من العبيد . وقد فرق البطالمة بين اليونان والمصريين فى المعاملة ، فكان اليونان يتمتعون بكل أسباب الكرامة والنعيم ، وكان المصريون يعانون كل أسباب المذلة والبؤس . ومن ثم نبدأ هنا بوصف الحالة الاجتماعية لليونان ، ثم نتلو ذلك بوصف الحالة الاجتماعية للمصريين ، وبذلك تتضح لنا صورة المجتمع المصرى فى ذلك العصر من جانبيها المتقابلين غير المتعادلين .

وقد وضع بطليموس الأول سياسة احتضان اليونان وتخويلهم السيطرة على المصريين ، لتبدو دولتهم أمام العالم باعتبارها دولة يونانية . وقد انتهج كل البطالمة بعد ذلك هذه السياسة وساروا فى هذا الطريق . وقد كان أول

مظهر من مظاهر رعاية البطالمة لليونان أنهم هيأوا لهم البيئة المناسبة لمعيشتهم على النمط الذى يألفونه ويرتاحون اليه ويسعدون فيه ، فاعتنوا بمدينة نقراطيس التى كانت تضم فى البداية الجانب الكبير منهم ، ووفروا لها كل عناصر الحياة التى تتوفر عادة فى المدن اليونانية • ثم أنشأوا مدينة الاسكندرية وجعلوها عاصمتهم وظلوا يزيدون فى ضخامتها وفخامتها حتى أصبحت تضارع أعظم مدن اليونان ، كما أنشأوا مدينة ثالثة لليونان المقيمين فى مصر العليا هى مدينة بطوليميس • فكانت هذه المدن الثلاث خير مثال للمجتمع اليونانى ، وخير مجال يتمتع فيه اليونان بممارسة حريتهم وحيويتهم وكل مباهج حياتهم • كما عمل البطالمة على استقرار اليونان فى كل مدينة أخرى من مدن مصر وكل قرية من قراها ، ليصبغوا الحياة بالصبغة اليونانية فى كل أنحائها ، ويكفلوا سيطرتهم على كل مرافقها • وكانت تربط بينهم جميعا فى طول البلاد وعرضها ، روابط وثيقة من اللغة والتفكير والعقائد والتقاليد ، كما كان يربط بينهم شعور مشترك بالسيادة والتفوق على أصحاب البلاد الأصليين • وقد كان اليونان الذين يعيشون خارج المدن اليونانية يؤلفون جمعيات قومية تجمع بينهم وترعى مصالحهم وتتيح لهم من الامتيازات ما كان متاحا لسكان المدن اليونانية ، اذ كانت منظمة على نمط تلك المدن ، ومن ثم كانت تتمتع بقدر من الحكم الذاتى • وكان اليونان فى كل مكان يوجدون به فى مصر ينشئون معاهد الجيمنازيوم على النمط الذى كان معروفا فى بلاد اليونان ، وقد اهتم البطالمة برعاية هذه المعاهد وأجزلوا لها الهبات ومنحوها كثيرا من الامتيازات •

وكان اليونان معتبرين من الوجهة القانونية رعايا الملك ، فكانوا يخضعون للضرائب ، ويتحملون نصيبهم من الأعباء المالية ، ويذعنون لكل أمر يصدره الملك اليهم • وكانوا كلهم تقريبا يعملون فى خدمة الملك بصورة من الصور ، فكان الجانب الأكبر منهم يعملون فى الجيش الذى لم يكن معتبرا جيش مصر

وانما جيش الملك • ومن ثم كان ولاؤهم لا لمصر بل للملك • وكان كثيرون منهم ينتمون الى الحاشية الملكية • وكان لكل واحد من الحاشية الملكية حاشيته هو بدوره ، ولكل واحد من هذه الحاشيات حاشيته كذلك ، فكان أغلب اليونان منتميا الى حاشية من هذه الحاشيات العديدة • ومن ثم كان كل منهم يتمتع بحماية من ينتمى الى حاشيته ، فكانوا لذلك يتمتعون بالمركز الممتاز فى البلاد، وينعمون بأكبر مناصبها وأكثر مكاسبها ، اذ كان منهم ضباط الجيش وكبار الموظفين وكل أصحاب السلطة والنفوذ ، وكانوا يعفون من كثير من الضرائب ، كما كانوا يعفون من السخرة المفروضة على المصريين وحدهم • وكان البطالمة يمنحونهم الاقطاعات العظيمة والضياع الشاسعة ، ويسمحون لهم بامتلاك بعض الأراضى امتلاكا خاصا • فهم وان كانوا معتبرين من الوجهة القانونية رعايا الملك ، الا أنهم كانوا من الوجهة العملية شركاءه ومساعديه فى السيطرة على المصريين واستغلالهم واستعبادهم والاستمتاع بخيرات بلادهم •

وكان اليونان فى مصر يؤلفون فيما بينهم طبقات عديدة ، منها طبقة الموظفين وطبقة أرباب المهن الفنية ، وطبقة رجال الأعمال وطبقة أرباب الحرف اليدوية : وكانت الطبقة العليا منهم تشمل الموظفين المدنيين والعسكريين وفى مقدمتهم الوزراء والقواد وكبار رجال الحاشية وحكام الأقاليم ورؤساء الادارات • وكان أفراد هذه الطبقة يتمتعون بمرتبات سخية ، ويسعون الى استغلال سلطتهم ومضاعفة ثروتهم بوسائل الرشوة والابتزاز والسلب والنهب من الأهالى التعساء ، ولا سيما فى الفترة المتأخرة من عهد البطالمة حين تدهورت الحالة الاقتصادية وأصبحت الوظائف الحكومية هى أضمن وسيلة للكسب • فكانت الوظائف تباع علنا وبصفة رسمية لمن يدفع الثمن الأكبر من الراغبين فيها ، وقد اعترفت الحكومة بذلك وجعلت من الاتجار بوظائفها موردا من موارد الخزانة • وكان الموظفون يستردون ما دفعوه فى شراء وظائفهم بالسطو على الأهالى وسرقتهم تحت سمع الحكومة وبصرها • ولم يكن البطالمة يلومون

الموظفين على ذلك وانما بالعكس كانوا يشجعونهم ويغدقون عليهم الاقطاعات العظيمة والضياع الواسعة ، ويمنحونهم كثيرا من الامتيازات ويعفونهم من كثير من الضرائب ، فكانوا يعيشون في رغد من العيش وينعمون بأفضل ما في البلاد من خيرات . وكانت تلى هؤلاء في المكانة والثراء طبقة أرباب المهن الفنية ، وكانت تضم عددا كبيرا من اليونان وفي مقدمتهم العلماء والأدباء والفنانون الذين كان البطالمة يحتضنونهم ويوفرون لهم كل أسباب الحياة الكريمة الناعمة ويعفونهم من الضرائب وسائر الالتزامات الأخرى ، ويخصصون عددا من الموظفين لرعاية شئونهم المادية حتى يتوفروا للبحث والتأليف والانتاج العلمي والأدبي والفني ، وكانت شهرة البارزين منهم تجتذب اليهم الطلبة من كل أنحاء العالم فيتقاطرون من كل حدب وصوب ليتتلمذوا عليهم ويأخذوا عنهم . وكانت مهنة الطب من أهم المهن في المجتمع اليوناني ، وكانت مدرسة الطب في الاسكندرية من أشهر مدارس الطب في العالم ، وكان يوجد عدد كبير من الأطباء الحكوميين وغير الحكوميين في كل أنحاء البلاد ، كما كان يوجد عدد كبير من المحامين المتفرغين للمرافعة أمام المحاكم ، وعدد كبير من المهندسين المعماريين والمدنيين ، وعدد كبير كذلك من الممثلين والمغنين ومحترفي الألعاب الرياضية كالمصارعين والملاكمين وغيرهم . وكان أصحاب هذه المهن جميعا من اليونان يجنون أرباحا طائلة من عملهم ويتمتعون بحياة رغيدة هانئة . وكانت تليهم في المكانة الاجتماعية طبقة رجال الأعمال . وقد رأينا كيف وضع البطالمة لمصر نظاما اقتصاديا دقيقا يرمون من ورائه الى الحصول لأنفسهم على أكبر قدر ممكن من الثروة والجاه ، ومن ثم احتكروا أغلب الحرف والصناعات ، الا أنهم كي يتفادوا الوقوع في أي خسارة ، كانوا يبيعون مزاولة هذه الحرف والصناعات للملتزمين ، وكانوا يحتمون على كل ملتزم أن يجيء بضامن يضمن وفاءه بالتزاماته ، ومن ثم نشأت بين اليونان طائفة كبيرة من الملتزمين والضامنين الأثرياء ، كما نشأت بينهم طائفة كبيرة من تجار التجزئة الذين كانوا يشترون من البطالمة حق الاتجار في أنواع معينة من السلع ، وكانوا

يؤلفون الطبقة الوسطى من اليونان التى كانت تضم كذلك صغار الموظفين والضباط المتقاعدين وبعض اليونان الذين كانوا فى مصر قبل الفتح المقدونى وبعض الوافدين منهم بعد الفتح لاستثمار أموالهم فى التجارة واستغلال الأراضى وتربية الماشية ونحو ذلك • وكانوا جميعا يجنون مكاسب كبيرة من أعمالهم • وكانت أقل الطبقات مرتبة بين اليونان هى طبقة أرباب الحرف اليدوية الذين كانوا يشتغلون عمالا فى المنشآت الزراعية والصناعية والتجارية التى يمتلكها أبناء جنسهم من أثرياء اليونان • ورغم أنهم كانوا أقل طوائف اليونان مكسبا وأقلهم كذلك مركزا فانهم كانوا بالنسبة للمصريين طبقة ممتازة ، اذ كانوا أكثر منهم مكسبا وأرفع مركزا • وحتى حين بدأ بعض المصريين يصطبغون بالصبغة اليونانية ، وبدأ بعض اليونان يصطبغون بالصبغة المصرية فى أواخر العصر اليونانى ، ظل سكان البلاد منقسمين الى طبقتين متباينتين ، احداهما هى العليا وهى طبقة اليونان وأشباههم ، والأخرى هى السفلى وهى طبقة المصريين الصميمين •

وكان اليونان فى مصر يمارسون حياتهم الاجتماعية على مقتضى ما درجوا عليه فى بلادهم الأصلية • وكان من أهم مؤسساتهم التى تسبغ عليهم الطابع اليونانى معاهد الجيمنازيوم التى كانوا ينشئونها فى كل مكان يحلون به ، والتى كانت بمثابة مراكز للتعليم والتربية العقلية والبدنية ، وكانت تغذيهم بالثقافة اليونانية وتكفل لهم المحافظة على تقاليد بلادهم ومظاهر حضارتها ، ومن ثم ظلوا متشبعين بالروح اليونانية الخالصة وبعيدين كل البعد عن التأثر بمظاهر الحضارة المصرية • وكان يساعد على ذلك استمرار وفود أفواج جديدة من اليونان ينضمون الى المقيمين منهم فى مصر ويدعمون اصطباغهم على الدوام بطابعهم القومى • حتى اذا انقطع وفود هذه الأفواج منذ أواخر القرن الثالث قبل الميلاد بسبب الحروب ، أخذت الروح اليونانية تضعف بالتدريج فى يونان مصر وان كانوا قد احتفظوا بنعرتهم الأولى ، لا لشىء الا ليحتفظوا بالمركز

الممتاز الذى كان لهم فى البلاد ويحافظوا على مناصبهم ومكاسبهم التى استأثروا بها منذ بداية العصر اليونانى • فلم يصطبغ منهم بالصبغة المصرية الا عدد قليل تعلموا لغة المصريين وعبدوا آلهتهم واعتنقوا تقاليدهم وحملوا أسماءهم وتزوجوا من بناتهم واتخذوا كل مظاهر حياتهم • ولكن أولئك كانوا أقلية ضئيلة بالنسبة لغالبية اليونان الذين ظلوا يتعالون على المصريين ولا يخالطونهم ولا يتزوجون منهم ، معتبرين اياهم أدنى منزلة ، وأقل حضارة ، وأقرب إلى الخدم والعبيد •

وقد كان المصريون هم الغالبية العظمى فى البلاد • وكانوا قبل الفتح المقدونى يؤلفون عدة طبقات تتفاوت فى مكانتها الاجتماعية وفى ثقافتها وثروتها ، وكانت تأتى فى مقدمتها الطبقة الأرستقراطية التى تضم الوزراء والحكام والكهنة • وكان الفراعنة يمنحون هذه الطبقة قدرا كبيرا من السلطة ويغدقون عليها الانعامات العظيمة والأراضى الواسعة ، فلما جاء البطالمة استولوا على أملاك هذه الطبقة وأقصوها عن كل مناصب الدولة ، وجردوها من كل مظاهر الثروة والجاه ، وتعمدوا تحقيرها واذلالها ، ومن ثم قضوا قضاء تاما على طبقة الأمراء والوزراء والحكام المصريين • أما الكهنة فقد كان من الصعب عليهم أن يحطموا مكانتهم الاجتماعية لدى الشعب المصرى ، ولذلك عملوا بقدر الامكان على الحد من نفوذهم وتقليم أظافرهم ، بأن وضعوا أيديهم على أراضيهم واستولوا على ثرواتهم وفرضوا عليهم من القيود ما يخنق حريتهم ويمتهن كرامتهم ، وأرغموهم على أن يظهروا ولاءهم وخضوعهم للملك فى كل مناسبة وبكل وسيلة ممكنة • ومع ذلك ظل الكهنة هم الفئة الممتازة بين المصريين ، بسبب مكانتهم الدينية ، ولأن البطالمة رغم كل شىء كانوا يحسبون حسابهم ، ولا سيما فى أواخر عهدهم ، حين اضطروا لأن يسترضوهم ويمنحوهم بعض الامتيازات ، ومن ثم ظل الكهنة هم قادة الشعب المصرى وزعماؤه •

وكانت تلى الطبقة الأرستقراطية بعنصريها الدينى والدنيوى فى العصر الفرعونى طبقة رجال الجيش . فلما جاء البطالمة أبعدوا المصريين عن الجيش ، فقضوا بذلك على هذه الطبقة قضاءا تاما ، ومن ثم ذاق الجنود المصريون مرارة الهوان والذل ، وقد وجدوا أنفسهم عاطلين عاجزين عن انقاذ بلادهم من ربقة أولئك الغرباء الظالمين . حتى اذا اضطر بطليموس الرابع الى تجنيد المصريين لصد الغزو السورى ونجح المصريون فى صد ذلك الغزو بدأوا يشعرون بالحنين الى مجدهم السابق ويتطلعون الى استعادة قوتهم وحريتهم ، بيد أن البطالمة ما أدركوا ذلك حتى ندموا على تجنيدهم وبادروا الى ابعادهم عن الجيش مرة أخرى ، وان كانوا قد أبقوا منهم أقلية ضئيلة عهدوا اليها بالأعمال الثانوية التى لا أهمية لها ولا خوف منها ، ومن ثم ظلت هذه الأقلية ضعيفة فقيرة لامكانة لها ولا شأن فى المجتمع .

وكانت تلى طبقة رجال الجيش فى العصر الفرعونى طبقة الموظفين التى كانت تتألف من فئات متفاوتة الدرجات ، وقد قضى البطالمة على الفئات العليا من هذه الطبقة ، فلم يستبقوا الا صغار الكتبة الذين يشغلون الوظائف الحقيرة ، وقد وضعوا على عاتقهم من المسئوليات أكثر بكثير مما كانوا يعطونهم من مرتبات ، ومن ثم كانوا يعانون كل ألوان الضيم والذل .

وكان يأتى فى مؤخرة الطبقات الاجتماعية ملايين المصريين الذين كانوا يتألفون من الفلاحين والعمال وصغار التجار ، وقد كانوا عماد الحياة الاقتصادية فى مصر ، ومن ثم كانوا أكثر الطبقات بؤسا وأعظمها معاناة من النظام الاقتصادى الصارم الذى وضعه البطالمة للبلاد ، اذ كان هذا النظام يطبق بقبضته الحديدية على أعناقهم فلا يترك لهم من أسباب العيش ما يسد الرمق ، ولا يتيح لهم أى فرصة لتحسين حالهم أو رفع مستوى معيشتهم ، بل بالعكس كانت الأثقال لا تفتأ تزداد على كاهلهم بما كان البطالمة يفرضونه عليهم من ضرائب جديدة ، ومن أعمال السخرة فى المناجم والمحاجر وحفر الترع وتعلية

الجسور وغير ذلك ، كما أنهم كانوا مصفدين بقيود لا يمكنهم الفكاك منها ، اذ كان محظورا عليهم مغادرة أماكن عملهم ، وكانوا خاضعين لرقابة مستمرة من جباة الضرائب وغيرهم من الموظفين الذين كانوا يتدخلون فى كل شئون حياتهم الخاصة ، حتى اذا امتنع واحد منهم عن انجاز ما يطلبونه منه أو خالف أى أمر من أوامرهم كان جزاؤه العبودية أو السجن ٠

وجملة القول أن البطالمة قضوا على الطبقة الأرستقراطية المصرية وأذلوا الكهنة المصريين وشتتوا شمل الجيش المصرى وأرهقوا صغار الموظفين وأطبقوا بنظامهم الجائر على أعناق الفلاحين والعمال والتجار ، فلم تفلت من بطشهم فئة واحدة من فئات الشعب المصرى ، وقد تغلغلوا فى كل نواحى البلاد وأثقلوا كاهل أهلها بالضرائب الفادحة والتكاليف الباهظة واستولوا على كل موارد البلاد بشكل لم يسبق له مثيل حتى فى عهد الأثيوبيين أو الأشوريين أو الفرس ، ووضعوا أيديهم على كل الاراضى ، بل مدوا أيديهم حتى الى بيوت الأهالى فأرغموهم على التنازل عن نصفها لجنودهم دون أى مقابل أو تعويض ، ومن ثم نبضت قلوب المصريين بكراهية البطالمة وظلوا يضمرون لهم العداوة حتى انفجر أخيرا مرجل غضبهم فثاروا فى وجههم ، وتمردوا على طغيانهم ٠ وقد بدأ ذلك فى شرارات متفرقة أول الأمر ، ثم لم يلبث أن امتد فى لهيب هائل فشمل القطر كله ، اذ كانت روح اليأس التى استولت على المصريين حين سقطوا فى يد الفرس ثم فى يد اليونان قد ثبطت من عزيمتهم وأضعفت من مقاومتهم فى البداية ٠ ولكنهم حين اشتدت وطأة الطغيان عليهم بدأوا يجاهرون بتذمرهم فى مختلف الصور وبمختلف الأساليب ، فراح الفلاحون يهجرون مزارعهم والعمال يغادرون مصانعهم ويهربون الى المعابد لائذين بالآلهة كى تحميهم من عسف الطغاة ، وراح بعضهم يضربون عن العمل ولا يهربون وانما يقابلون القوة بالقوة ، كما راح بعضهم الآخر يخالفون القوانين المفروضة عليهم غير عابئين بما يترتب على ذلك من عقوبات صارمة ٠ ولم يفتأ عدد الثائرين

والمتمردين يزداد حتى عمت القلاقل والاضطرابات بين كل طبقات الشعب ، فكان البطالمة يقاومونها أعنف مقاومة ويقمعونها بأقسى الوســـائل وأبشـع الأساليب • ولكن لم يكن العنف يزيدها الا قوة ، ولم تكن القسوة تزيدها الا احتداما واضطراما ، فلم تلبث البلاد كلها أن أصبحت كالمرجل الذى يغلى بالغضب وينتظر الفرصة المواتية للانفجار فى ثورة شعبية عارمة • وقد سنحت هذه الفرصة لأول مرة فى عهد بطليموس الثالث ، اذ كان هذا الطاغية قد أرهق المصريين ارهاقا شديدا كى يوفر الأموال اللازمة لفتوحاته الواسعـــة وحروبه الكثيرة ولا سيما الحرب السورية ، فنهب الاهالى وسلبهم كل مايملكون مستخدما فى ذلك القوة الغاشمة والقسوة المتناهية ، ومن ثم أضرموا نـــار الثورة ضده فى كل أنحاء البلاد وكادوا أن يتخلصوا من ربقته لولا أن أدرك خطورة ثورتهم فترك فتوحاته الأسيوية وعاد مسرعا اليهم وانتقم منهم شر انتقام • ثم جاء بطليموس الرابع فكان عهده أسوأ من عهد سلفه ، وقد كان يهدده أنطيوخوس الثالث ملك سوريا بالغزو ، فعمد ـ لكى يستعد لمقاومته ـ الى زيادة الأعباء على المصريين أكثر من أى وقت مضى • كما أنه اضطر اضطرارا أمام خطر الغزو الى تجنيدهم بعد أن كان البطالمة يحرصـــون على منعهم من الانخراط فى سلك الجندية ، حتى اذا انتصر الجنود المصريون فى موقعة رفح ، كان انتصارهم بمثابة الشعلة التى بعثت النور فى ظلام اليأس الذى كان يكتنف المصريين ، وأشعلت النار فى أتون الغضب الكامن فى نفوسهم ، فهبوا ثائرين مرة أخرى ، ولا سيما فى طيبة التى اشتبكت فى صراع عنيف مع بطليموس الرابع بزعامة الأمير المصرى أرماخيس ، وقد استردت سيادتها وظلت مستقلة عن حكم البطالمة عشرين عاما ، وكانت هذه الثورة من أشد الثورات المصرية خطورة وأكثرها خطرا ، ومن ثم ظل بطليموس الرابع طيلة حكمه مشـــغولا بمقاومتها ومتفرغا لقمعها ، وقد اقتضت منه مجهودا حربيا كبيرا ، وأدت الى نتائج اقتصادية فادحة ، لأنها أنقصت اليد العاملة وعطلت الزراعة والصناعة على نطاق واسع وأثرت فى العلاقات التجارية بين مصر والبلاد الأخرى ولاسيما

بلاد النوبة والصومال • وحين جلس بطليموس الخامس على العرش كانت الثورة المصرية لا تزال محتدمة ، وكانت طيبة لا تزال مستقلة عن البطـالمة بزعامة أنخماخيس الذى خلف أرماخيس ، كما تزعمت مدينة ليكوبوليس الثورة فى الوجه البحرى ، فانتهز أنطيوخوس الثالث ملك سوريا فرصة هذه القلاقل التى يثيرها المصريون فى وجه بطليموس الخامس وسلبه كـل ممتلكاته فى سوريا وآسيا الصغرى وتراقيا ومن ثم انتقم بطليموس من المصريين انتقـاما رهيبا ، وراح يهاجم معاقل ثورتهم بجيوشه ويقتل الآلاف منهم وينزل بمدنهم وقراهم الخراب الذريع ، ولكنهم مع ذلك لم ينهزموا أو يستسلموا وانما راحوا يكيلون له بذات الكيل ، ويقابلون عنفه بعنف أشد منه ، ويقاومون جيوشه الجرارة بجموعهم الثائرة التى جعلها الغضب أقدر على النضال وأمهر فى فنون القتال ، وظلوا هكذا فى صراعهم مع بطليموس حتى تمكن بعد عشر سنوات من أسر زعيمهم أنخنماخيس ، فتولى زعامتهم أمراء الدلتا ومنهم أثينيس وباسيراس وخيسوفوس وتروباستوس ، وواصلوا الكفاح ضد العدو الغاصب سنوات عديدة أخرى ، حتى تمكن بطليموس أخيرا من أسر أولئك الزعماء وأوثقهم فى عجلته الحربية وراح يجرهم خلفه حتى انهمرت دماؤهم وتناثرت أشلاؤهم ، ثم أجهز فى النهاية عليهم • وقد ظن بذلك أنه أخمد الثورة المصرية ولكنه كان واهما لأنها ظلت مشتعلة فى الصدور تتلمس لها منفذا لتندلع منه ، ولم يلبث أن شعر بذلك فأصبح يعيش فى خوف دائم وقلـق مستمر ، وملأ البـلاد بالجواسيس الذين راحوا يندسون بين الناس ويراقبون كل حركاتهم وسكناتهم ويتهمونهم باثارة القلاقل بالحق أو بالباطل ، حتى أصبحت الحيـاة جحيما بالنسبة للحاكمين والمحكومين على السواء ، وأصبحت البلاد على الدوام زاخرة بالفواجع مخضبة بالدماء • حتى اذا جلس بطليموس السادس عـلى العرش كانت البلاد قد عمها الخراب ، وقد هجر كثير من الفلاحين مزارعهم فكسدت الزراعة ، وهجر كثير من العمال مصانعهم فكسـدت الصناعـة ، وقـد انتهز أنطيوخوس الرابع ملك سوريا هذه الفرصة فغزا مصر وأنزل بها مزيدا من

الدمار ، ولم يلبث النزاع أن نشب بين بطليموس السادس وأخيه الأصغر ، فانتهز المصريون فرصة هذا النزاع للعمل على التخلص من البطالمة ، فأشعلوا نار الثورة من جديد بزعامة ديونيسوس بتوسيرابيس الذى هاجم الاسكندرية بقوة تبلغ الأربعة آلاف من الجنود المصريين ، فلما اشتدت عليه وطأة جيوش بطليموس السادس ارتد الى داخل البلاد وقاد ثـورة الشـعب فلم يتمكن بطليموس من اخمادها الا بعد معارك عنيفة دارت رحاها فى كل أنحاء البلاد وسقط أثناءها ألوف القتلى من الجانبين ، وقد استشهد عدد كبير من الثـوار المصريين فى هذا الصراع ، ووقع عدد كبير آخر منهم فى يد بطليموس فعذبهم عذابا أليما ثم أعدمهم ، وأما الباقون فقد اختفوا فى الأحراش والصحراوات، ومن ثم أدى ذلك كله الى مزيد من التدهور فى الزراعة والصناعة والتجارة . ولما كان ذلك قد أدى بدوره الى نقص موارد الملك نقصا فاحشا ، فقد جن جنونه وأرغم الجميع بالقوة الغاشمة على العمل ولا سيما فى الزراعة ، وفرض عليهم الضرائب الفادحة وجباها منهم بالعنف والعسف ، واسـتخدم كـل وسيلة مشروعة أو غير مشروعة لاستنزاف البقية الباقية لهم من جهد أو مال أو قوت ، فكان ذلك بمثابة الوقود لنار الثورة التى ظن أنه قد أخمدها فاشتعلت من جديد . وقد ساعد على اندلاع لهيبها هرب بطليموس السادس من مصر على أثر النزاع الذى نشب بينه وبين أخيه الأصغر ، حتى اذا عاد الى مصر وجد نفسه أضعف من أن يقاوم ثورة المصريين فاضطر الى استرضائهم وأصدر قرارا بالعفو الشامل عنهم جميعا . الا أنه لم يلبث أن توفى فخلفه ابنه بطليموس السابع الذى جلس على العرش وهو طفل صغير فاغتصبه منه عمه بطليموس الثامن ، وقد كان من أكثر البطالمة طغيانا وتعطشا للدمـاء ، ومن ثم كرهه اليونان أنفسهم وثاروا عليه وحاولوا أن يقتلوه فهرب الى قبرص ، وانفردت زوجته كليوبترا الثانية بالحكم ، ولكنه لم يلبث أن عاد الى الاسكندرية ودخل فى صراع عنيف مع كليوبترا الثانية وأنصارها . وقد انتهز المصريون فرصة هذا الصراع وأشعلوا نار الثورة فى كل أنحاء البلاد ، فتصدى لهم بطليموس

الثامن بكل ما كان يتصف به من صلابة وصرامة ووحشية ، ولكنه عجز عن هزيمتهم بالقوة فلم يسعه الا أن يلجأ الى استرضائهم كما فعل سلفه وأصدر قرارات بالعفو عنهم ومعالجة الأسباب التى أدت الى غضبهم ، ويتضح من نصوص هذه القرارات مدى ما اجتاح البلاد فى ذلك العهد من قلاقل واضطرابات ومن أعمال العنف والتخريب والحريق والتمرد على الحكومة والامتناع عن دفع الضرائب والايجارات والانقطاع عن الزراعة والصناعة وعدم تلبية أوامر السخرة واهمال الرى وبوار الأراضى وكساد الأسواق وطغيان الموظفين وقسوة قلوبهم وفساد ضمائرهم وما كانوا يرتكبونه من أعمال السرقة والسلب والنهب وتقاضى الرشوة واستخدام وسائل الارهاب والتعذيب مع الأهالى لاستغلالهم وابتزاز أموالهم . بيد أن هذه القرارات التى أصدرها بطليموس الثامن لم تفلح فى ردع الموظفين عن طغيانهم ، أو قطع دابر الفساد الذى كان قد تغلغل فى نفوسهم وتوغل فى كل تصرفاتهم ، ومن ثم استمر المصريون يعانون أشد أنواع التعاسة والبؤس ، واستمروا يعلنون الثورة فى كل مناسبة وكل فرصة تسنح لهم ، حتى اذا توفى بطليموس الثامن وقع الصراع بين ابنيه بطليموس التاسع وبطليموس العاشر على العرش ، فانتهز المصريون فرصة هذا الصراع وأضرموا نار الثورة من جديد ، واذ كانت طيبة هى معقل الثوار ، حاصرها بطليموس التاسع وظل يوالى الهجوم عليها ثلاث سنوات حتى اقتحمها أخيرا ، وانتقم منها انتقاما رهيبا ، فلم يتركها الا خرابا ، ومع ذلك استمرت الثورة فى كل أنحاء مصر فى عهده وعهد كل من خلفوه من البطالمة حتى سقطت دولتهم واستولت الدولة الرومانية على مصر . وقد اضطر البطالمة على الدوام الى استبقاء فرق قوية من جنودهم فى كل ناحية من أنحاء البلاد لحمايتهم من ثورة المصريين . ولولا أن البطالمة قد حرصوا دائما على الاحتفاظ بجيوش قوية يحتمون بها ، وحرصوا فى ذات الوقت على حرمان المصريين من الجندية وتجريدهم من كل سلاح ، لكانت هذه الثورات المصرية العارمة قد اكتسحتهم وقضت عليهم واستعادت لمصر حريتها المسلوبة ومجدها الغابر .

وقد استمر المصريون فى العصر اليونانى يعيشون كما كان يعيش أجدادهم من قبل ، محتفظين بكل عاداتهم وتقاليدهم ، ومحافظين على كل مبادئهم ومعتقداتهم • وقد ظلوا حريصين على نقاء عنصرهم فلم يحدث تزواج بينهم وبين اليونان طوال القرن الثالث قبل الميلاد ، الا أن اليونان بدأوا بعد ذلك يتخلون بالتدريج عن صبغتهم اليونانية ، ويكتسبون شيئا من الصبغة المصرية ، ومن ثم بدأت أقلية من المصريين تقبل التزواج معهم ، كما بدأ بعض اليونان يتخذون الأسماء والملابس المصرية ، وبدأ بعض المصريين يتخذون الأسماء والملابس اليونانية • بيد أن هذا لم يحدث الا فى أضيق نطاق ، ومن ثم بقى المصريون فى مجموعهم متمسكين بمصريتهم الخالصة وقوميتهم الصميمة ، وحتى القلائل منهم الذين تشبهوا باليونان ، لم يتجاوزوا فى ذلك المظهر الخارجى • أما الجوهر فظل مصريا عميقا وعريقا •

البحث السابع

العقائد الدينية

كان من الأسس التى أقام عليها البطالمة سياستهم فى مصر استغلال العقائد الدينية التى كان يعتنقها رعاياهم على اختلاف جنسياتهم وطوائفهم ، لتوطيد سلطانهم وتدعيم طغيانهم ٠

وقد كان الدين بالنسبة للمصريين هو حجر الأساس فى حياتهم ، وهو الدعامة التى تستند اليها كل أفكارهم وتقاليدهم وتصرفاتهم ، وهو المصدر الذى يستمد منه فراعنتهم ما يتمتعون به من سطوة وسلطان ، اذ كانوا فى اعتقاد المصريين هم أبناء الآلهة وصورتهم المجسمة على الأرض ، ومن ثم كانت كلمتهم هى العليا ومشيئهم هى القانون ، وكان على رعاياهم أن يخضعوا لهم خضوع العابد للمعبود ، ويذعنوا لسلطتهم باعتبارها أرفع سلطة فى الوجود ٠ فلا عجب أن استغل البطالمة هذا الاعتقاد لمصلحتهم الشخصية ، وراحوا يوهمون المصريين أنهم من سلالة فراعنتهم الأولين ، كى يكتسبوا بذلك ولاءهم ، ويقنعوهم بأن لهم عليهم حق الخضوع والخنوع ٠ وقد كان الاسكندر الأكبر هو الذى وضع أساس هذه السياسة ، فأشاع أنه ابن نكتانيبو الثانى آخر فراعنة مصر ، ورسم نفسه فرعونا بمقتضى الطقوس المصرية فأصبح

بذلك « ابن آمون » ، ومن ثم اعتبر نفسه الها بن اله • ثم سار خلفاؤه فى مصر على نهجه ، فحين كان بطليموس لا يزال واليا اعتبر خليفتى الاسكندر - وهما فيليب ارهيداوس والاسكندر الرابع - فرعونين على مصر وأسبغ عليهما الألقاب الفرعونية ، ثم حين اعتلى هو عرش مصر أسبغ هذه الألقاب على نفسه ، وتبعه فى ذلك كل البطالمة الذين جاءوا بعده ، فرسموا أنفسهم فراعنة وحملوا كل الألقاب الفرعونية ، وصوروا أنفسهم على جدران المعابد فى هيئة الفراعنة المصريين ، وفرضوا على الأهالى عبادتهم مع آلهتهم التى يعبدونها كما كانوا يفعلون مع فراعنتهم الأقدمين • وقد أدرك البطالمة أنهم مهما استطاعوا أن يحرموا المصريين من حريتهم أو من ثروتهم أو من أى مظهر آخر من مظاهر حضارتهم ، فلن يستطيعوا أن يحرموهم من ديانتهم ، لأنها تغلغلت فى وجدانهم حتى أصبحت جزءا من كيانهم ، ولذلك اضطروا لأن يتركوهم من هذه الناحية وشأنهم ، بل اجتهدوا - كى يظهروا بمظهر الفراعنة الحقيقيين - أن يتظاهروا باحترام الديانة المصرية ، فكانوا يحرصون على ممارسة الطقوس التقليدية وتقديم القرابين للآلهة ، واغداق الهبات على المعابد ، وتشييد معابد جديدة أو ترميم القديمة منها ، واستعادة التماثيل المقدسة التى كان الفرس قد نهبوها ، وكانوا ينفقون فى ذلك أموالا طائلة ، ويبذلون مجهودات عظيمة • ولكنهم مع ذلك رأوا ما كان يتمتع به الكهنة من قوة وثروة ومن نفوذ كبير فى البلاد ، فخافوا منهم ، وخشوا تأثيرهم فى الشعب ، ومن ثم جردوهم من ممتلكاتهم وقيدوهم بأغلال من القوانين التى شلت حركتهم وكسرت شوكتهم ، وقد أقاموا فى كل معبد من معابدهم رقيبا عليهم يشرف على كل شئونهم ويراقب كل تصرفاتهم ، ويراجع كل حساباتهم ، ويتابع استغلالهم لموارد المعبد واستخدامهم لما يغدقه الملك عليه من عطايا وهبات • بل لقد تحكم البطالمة حتى فى تعيين الكهنة ، وقد اتخذوا من ذلك تجارة ، فكانوا يبيعون لكل كاهن منصبه بثمن يقدرونه حسب أهمية هذا المنصب ، كما كانوا يتقاضون منه فضلا عن ذلك عند رسامته ضريبة يقدرونها حسب أهمية منصبه كذلك • وكانوا يتقاضون

منه ضريبة دورية أخرى لدفع مرتب مراقب المعبد ، وغير ذلك من الضرائب المفروضة على سائر الأهالى ما عدا السخرة وضريبـــة الرأس • وقد كان من مظاهر سيطرة البطالمة على الكهنة ورغبتهم فى اظهارهم بمظهر الخاضعين لهم الخاشعين لسلطانهم أنهم كانوا يفرضون عليهم أن يرسلوا كل عام وفدا منهم الى الاسكندرية لتقديم فروض الطاعة للملك والتعبير عن ولائهم له • كمـــا كانوا يفرضون عليهم عقد مؤتمرات دورية يشيدون فيها بأعمال البطالمة ويدعون الشعب الى طاعتهم والخنوع لحكمهم • بيد أن اذلال الكهنة على هذه الصورة وتضييق الخناق عليهم وتجريدهم مما درجوا عليه من سطوة ونفوذ ، لم يلبث أن أثار حفيظتهم فتزعموا ثورة الشعب ضد البطالمة • وعندئذ اضطر أولئك الطغاة لأن يخففوا الوطأة عليهم ، فأعفاهم بطليموس الخـــامس من رحلتهم السنوية الى الاسكندرية ، كما أعفاهم من بعض الضرائب التى كانت مفروضة عليهم ، وأعفى المعابد من الغرامات التى كانت مفروضة عليها بمقتضى النظام المالى • وأباح بطليموس الثامن للمعابد ادارة أراضيها دون تدخـــل أحد فى شئونها وأعفاها من الضرائب المتأخرة عليها • الا أن البطالمة ظلوا حريصـــين مع ذلك الى نهاية عهدهم على الحد من نفوذ الكهنة والهيمنة على المعابد ، حتى لا يفلت الزمام من أيديهم ، لأنهم كانوا يدركون أن الكهنة هم زعماء الشعب ، وأن المعابد هى معاقل الثورة •

أما اليونان المقيمون فى مصر فقد حرص البطالمة كذلك على استغـــلال عقائدهم الدينية فى تبرير سلطانهم عليهم ، اذ كان اليونان يتعلقون بالحرية ومن ثم يميلون الى النظام الجمهورى الذى يتلافون به طغيان الملوك ويتمكنون فى ظله من الاشتراك فى حكم أنفسهم • واذ كان البطالمة قد نادوا بأنفسهم ملوكا على مصر وحكموها حكم الطغاة المستبدين ، فقد كانوا فى حاجة الى سند من الدين يستندون اليه فى اقناع رعاياهم من اليونان بشرعية هذا الحكم • ولما كان اليونان قد درجوا على اعتبار الأبطال آلهة ، عمد البطالمة الى اسباغ

صفة الألوهية بهذا المعنى على أنفسهم ، وكما كان الاسكندر الأكبر هو الذى وضع سياسة الانتساب الى آلهة المصريين فاعتبر نفسه ابن آمون ، كان هو كذلك الذى وضع سياسة الانتساب الى آلهة اليونان فاعتبر نفسه ابن زيوس ، ومن ثم أقام البطالمة له المعابد وفرضوا على رعاياهم عبادته ، كما رفعوا هم أنفسهم الى مصاف الآلهة معتبرين أنفسهم من سلالة الالهين هيراكليوس وديونيسوس ، وأقاموا لأنفسهم المعابد وفرضوا على رعاياهم عبادتهم واتخذوا الى جانب ألقابهم الملكية ألقابا أخرى الهية مثل « الاله سوتر » أى المنقذ ، و « الاله فيلادلفوس » أى المحب لأخيه ، و « الاله فيلوباتور » أى المحب لأبيه ، و « الاله فيلو ميتور » أى المحب لأمه ، و « الاله يورجيتيس » أى صانع الخير ، و « الاله أبيفانس » أى الظاهر وهكذا . وقد أقبل اليونان على عبادة البطالمة بصفتهم الالهية ، ولم يجدوا فيها غرابة لأنها تتفق مع عقائدهم الدينية . كما عمل البطالمة على الظهور بمظهر الحماة للديانة اليونانية ، والاهتمام بمعابد اليونان فى مصر والمواظبة على زيارتها وتقديم القرابين على مذابحها . وقد أنشأوا احتفالات دينية على نمط الاحتفالات الأوليمبية والأثينية وغيرها من الاحتفالات اليونانية ، وكانوا يدعون اليها الشعراء والممثلين والمغنين والمتبارين من كل أنحاء العالم اليونانى . ومن أمثلة هذه الاحتفالات احتفال البطوليمايا الذى أنشأه بطليموس الثانى اجلالا لذكرى أبيه بطليموس الأول ، واحتفال أدونيس الذى أنشأه بطليموس الثانى كذلك اجلالا لزوجته أرسينوى الثانية ، واحتفال ديمتير الذى كان يقام بالاسكندرية فى كل عام . وقد أقام البطالمة المعابد اليونانية فى كل أنحاء مصر ولا سيما فى مدنها اليونانية وفى منف والفيوم والفنتين ، وكانوا يغدقون على هذه المعابد كثيرا من الهبات والعطايا ، ويدفعون لكهنتها مرتباتهم . ولم يكن للكهنة عند اليونان من النفوذ ما كان لكهنة المصريين ، اذ كانوا قليلين ولم يكن حق اقامة الطقوس قاصرا عليهم بل كان حقا شائعا لكل المواطنين . وكان اليونان يعبدون فى معابدهم الآلهة اليونانية ، بيد أنهم لم يلبثوا أن استرعى آلهة المصريين إهتمامهم ، وراحوا

ينسبون لى آلهتهم كثيرا من أوجه الشبه بالآلهة المصرية ، فاعتقدوا أن أبوللون هو حوريس ، وأن هيفايستوس هو بتاح ، وأن هرميس هو تحـوت ، وأن اسقلابيوس هو امحوتب ، وأن أفروديتى هى ايزيس ، وأن ديمتير هى موت . وقد بلغ من اقتناعهم بذلك أنهم غيروا أسماء المدن التى كانت تنتسب الى الآلهة المصرية بأسماء مرادفاتها من الآلهة اليونانية ، مثل أبوللونوبوليس وهيراكليوبوليس وبانوبوليس ولاتونو بوليس . كما عبد اليونان بعض الآلهة المصرية بعد أن أطلقوا عليها أسماء مرادفاتها اليونانية ، بل أنهم عبدوا بعض الآلهـة المصرية بأسمائها المصرية اذ لم يجدوا لها مرادفا بين الآلهة اليونانية ، كالاله سبك والالهة بيس . وقد عمدوا أحيانا الى مزج أحد الآلهة المصرية بأحد الآلهة اليونانية وعبادتهما فى صورة اله واحد . الا أن اليونان بصفة عامة لم ينقطعوا عن عبادة آلهتهم اليونانية ، فلم يعتنق الديانة المصرية الا القليلين منهم ، بينما لم يعتنق الديانة اليونانية أحد من المصريين على الاطلاق .

وكان اليهود أهم العناصر الأجنبية بعد اليونان ، فى عهد البطالمة ، وكانوا قد نزحوا الى مصر واستقروا فيها منذ أجيال طويلة ، ولا سيمـا فى العصر الصاوى ، لأن ملوك ذلك العصر كانوا يشجعون الأجانب ومن بينهم اليهـود على استيطان مصر للانخراط فى سلك الجندية والاشتغال بالتجارة ، ولأنه عندما استولى « نبوخذ نصر » على أورشليم عام ٦٠٦ قبل الميلاد هاجر كثير من اليهود الى مصر . وقد أنشأ اليهود لأنفسهم مستعمرة بالفنتين فى نحو القرن السادس قبل الميلاد ، وكان معبدهم قائما فى تلك المستعمرة قبـل الفتح الفارسى . وفى حين انتهك الفرس حرمة المعابد المصرية لم يمسوا ذلك المعبد اليهودى ، فكان ذلك من أسباب نقمة المصريين عليهم . ويذكر المؤرخ اليهودى يوسيفوس أن الاسكندر الأكبر عندما فتح مصر أنزل عددا كبيرا من اليهود فى الاسكندرية ، كما أنزل فى منطقة طيبة عددا كبيرا منهم كانوا جنودا فى جيش سانبالات حاكم السامرة . ثم نقل بطليموس الأول الى مصر أفواجا

من يهود فلسطين • وكان بطليموس الثانى يعطف على اليهود فازداد توافدهم على مصر فى عهده • وقد أنزل بطليموس الثالث فى الأراضى المستصلحة بالفيوم كثيرا من اليهود الذين أسرهم فى الحرب السورية الثالثة • وهكذا أصبح فى مصر من اليهود عدد عظيم ، وقد انتشروا فى كل أنحائها واشتغلوا بمختلف المهن كالجندية والزراعة وتربية الماشية وادارة المصارف والتزام الضرائب ، وقد اشتهروا على الخصوص باقراض الأموال بالربا الفاحش فكانوا يتقاضون فائدة تصل أحيانا الى ٦٠٪ • وكان أكثر اليهود يعيشون فى الاسكندرية ، وقد كونوا لهم فيها جالية من أكبر جالياتها ، وكانت تتمتع بقسط من الحكم الذاتى لم تتمتع به جالية أخرى فى أى مدينة يونانية ،فكانوا لا يتقاضون الا أمام المحاكم اليهودية ، ولا يخضعون الا لشريعة موسى • الا أن بطليموس الرابع انتهج سياسة معادية لليهود ، اذ طلب اليهم عبادة الاله اليونانى ديونيسوس ، فلما رفضوا ذلك أصدر أمره بقتلهم جميعا ، وقد حشد منهم عددا كبيرا فى حلبة سباق الخيل بالاسكندرية وأطلق عليهم الأفيال كى تطأهم بأقدامها ، ولكنها بدلا من ذلك هاجمت جنوده الذين كانوا يحاصرون المكان ، فعدل عن عزمه وعفا عن اليهود ولكنه جردهم من امتيازاتهم فلم يستردها الا بعد أن دفعوا غرامة فادحة • وفى عهد بطليموس السادس نزح الى مصر كثير من يهود فلسطين وعلى رأسهم رئيس كهنتهم أونياس الرابع ، اذ كان أنطيوخوس الرابع ملك سوريا قد فرض عليهم اعتناق الديانة اليونانية فجاءوا هاربين من وجهه ، وقد منحهم بطليموس السادس أرضا فى الدلتا عرفت بعد ذلك باسم « أرض أونياس » ، كما سمح لهم بأن يقيموا فى ليونتوبوليس هيكلا يهوديا على نمط هيكل أورشليم • وقد كان من نتيجة عطف بطليموس السادس على اليهود أن اليونان المقيمين فى مصر اذ كانوا يكرهونه كرهوا اليهود كذلك وبدأوا يعلنون عليهم حربا شعواء استمرت بعد ذلك طوال العصر الهيلينستى ، وقد تبادل الطرفان خلال هذه الحرب أبشع الشتائم وأشنع الاتهامات • حتى اذا جاء بطليموس الثامن ـ وكان اليهود قد

وقفوا ضده فى نزاعه مع أخيه بطليموس السادس – أظهر نحوهم حقدا شديدا وكراهية عنيفة ، حتى لقد حاول أن يقضى عليهم جميعا ، فلم ينقذهم من نقمته الا توسلات عشيقته اليهودية . الا أن عداوة اليونان لهم ظلت مستعرة فى عهده ، وقد نشطت بين الجانبين رسائل الذم والقدح والتجريح . ثم ازداد نشاط هذه الرسائل بعد ذلك فى عهد بطليموس التاسع الذى كان يكره اليهود واذ كانت أمه كليوبترا الثالثة تعطف عليهم فقد وقع النزاع من جراء ذلك بينهما ، وقد انحاز اليهود الى جانب أمه فنقم عليهم وقتل عددا كبيرا منهم . الا أن السياسة الدينية للبطالمة بوجه عام كانت تنتهج خطة التسامح مع اليهود، ويدل على ذلك تزايد عددهم حتى أصبحوا أكبر جالية فى مصر بعد الجالية اليونانية ، كما يدل على ذلك كثرة معابدهم التى أنشأوها فى كل أنحاء البلاد ، وما كانوا يتمتعون به من حرية العبادة وممارسة الطقوس الدينية ، وقد شملهم أغلب البطالمة بعطفهم ورعايتهم ، ولا سيما بطليموس الثانى الذى وصفه المؤرخون بأنه « صديق اليهود » ، وقد بلغ من اهتمامه بأمرهم أنه أمر بترجمة كتبهم المقدسة من اللغة العبرية الى اللغة اليونانية وأنفق فى سبيل ذلك مبالغ طائلة . وقد اتخذ بعض البطالمة من اليهود نصيرا لهم ضد منافسيهم، وأغدقوا عليهم فى نظير ذلك كثيرا من الانعامات ومنحوهم كثيرا من الامتيازات ، كما فعل بطليموس السادس فى نزاعه مع أخيه بطليموس الثامن ، وكما فعلت كليوبترا الثانية فى نزاعها مع ابنها بطليموس التاسع . وهكذا استغل البطالمة العقيدة الدينية لليهود فى خدمة أغراضهم وتوطيد دعائم حكمهم ، كما فعلوا بالنسبة للمصريين واليونان .

أما الطائفة التى كانت تلى اليهود فى أهميتها بمصر فهى طائفة الفرس الذين كانوا ينتشرون فى كل أنحاء البلاد . وكانوا يتألفون من الفرس الذين نزحوا الى مصر فى عصر الاحتلال الفارسى ، وبعض الذين ضمهم الاسكندر الأكبر الى جيشه وأحضرهم بطليموس الأول معه الى مصر بعد موت الاسكندر،

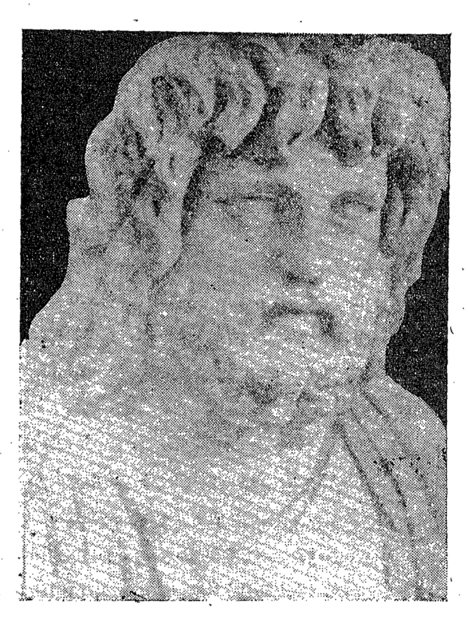
وبعض الذين أحضرهم بطليموس الثالث معه بعد حملته فى الشرق • ولما كان البطالمة قد اعتمدوا على الفرس فى تكوين جيشهم وتأييد سلطانهم ومنحوهم بعض الامتيازات وجعلوهم أرفع مرتبة من المصريين ، فقد اندمجت فيهم بعض العناصر غير الفارسية لتتمتع بمثل ما كانوا يتمتعون به ، ومن ثم أصبح هناك فئتان من الفرس فى مصر احداهما تتألف من سلالة الفرس القدماء ، والأخرى تتألف ممن انتسبوا الى الفرس من الجنسيات الأخرى • وقد كانوا جميعا يتمتعون بالحرية الدينية فى عهد البطالمة ، وكان من معابدهم المعروفة فى القرن الثالث قبل الميلاد معبد الاله الفارسى « ميترا » بالفيوم •

وكذلك كانت تتمتع بالحرية الدينية فى عهد البطالمة كل الطوائف الأجنبية التى كانت تقيم فى مصر كالتراقيين والفريجيين والفينيقيين والسوريين والكاريين والبابليين والهنود والعرب • ويحدثنا هيرودوت بأنه شاهد قوما من الفينيقيين يقيمون فى منف ويمارسون طقوسهم فى معبد أقاموه بتلك المدينة للالهة « استراتى » ، كما يحدثنا مؤرخون آخرون بأن الهنود كانوا يمارسون طقوس ديانتهم البوذية فى منف خلال القرن الثالث قبل الميلاد •

وعلى الرغم من أن البطالمة تجنبوا المساس بالديانة المصرية ، كما حرصوا على احترام الديانة اليونانية وغيرها من ديانات الأجانب المقيمين فى مصر ، فقد حاولوا فى بداية عهدهم توحيد العقائد الدينية لكل رعاياهم بانشاء ديانة جديدة تجمع بين العقائد المصرية والعقائد اليونانية ، عسى أن يزحزحوا بذلك المصريين عن التمسك بديانتهم التى هى حجر الأساس فى قوميتهم ، ومن ثم يسهل على البطالمة اخضاعهم والسيطرة عليهم ، ولهذه الغاية شكل بطليموس الأول لجنة من علماء الدين كان من أعضائها الكاهن المصرى مانيثون والكاهن اليونانى تيموثاوس • وقد وضعت اللجنة أساس ديانة جديدة ترتكز على ثالوث مقدس من خليط من آلهة المصريين واليونان ، هم سيرابيس وايزيس

وهاربوكراتس : وقد كان سيرابيس - وهو الاله الأكبر فى الثالوث - مزيجا من الاله المصرى أوزوريس والاله اليونانى ديونيسوس ، لأنه لما كان ديونيسوس فى عقيدة اليونان قد قتله التيتانوس ثم أقامه زيوس حيا بعد ذلك ، فقد اعتبره اليونان صورة من أوزوريس الذى قتله ست ثم أقامته ايزيس حيا كذلك . ولما كان أوزوريس يمثل اله النيل « حابى » أو « آبيس » بعد موته ، فقد كان المصريون يسمونه فى هذه الحالة « أوزير حابى » أو «أوزير آبيس » ، وكان اليونان المقيمون فى مصر قبل العصر اليونانى يسمونه « سيرابيس » ، كما كانوا يسمون معبده « السيرابيوم » أى معبد سيرابيس . ومن ثم كان سيرابيس يجمع فى تفكير اليونان بين الههم ديونيسوس والاله المصرى أوزوريس ، ولم يكن اسمه لديهم سوى النطق اليونانى لاسم أزوروريس وقد صورته الديانة الجديدة فى هيئة يونانية بالنسبة لليونان ، وفى هيئة مصرية بالنسبة للمصريين ، فصورته بالنسبة لليونان قريبا فى الشكل من زيوس ، بشعره الكث ولحيته المسترسلة ، وقد حمل فوق رأسه السلة المقدسة التى كانوا يألفونها فى طقوس ديمتير الأليوسية ، والتى كانت تزينها ثلاث شجرات زيتون وتطل منها سنابل قمح ذهبية . وقد جلس ذلك الاله على عرش عظيم يعتمد بيده اليمنى على صولجان ، ويهدىء بيده اليسرى روع الكلب كربيروس ذى الثلاثة الرؤوس النابحة ، الذى يبدو جزعا وقد التف حول جسمه ثعبان مخيف . ويرمز كل ذلك الى أن سيرابيس هو اله الآخرة عند اليونان كما كان أوزوريس هو اله الآخرة عند المصريين ، وأنه كما يمثل ديونيسوس فانه كذلك يمثل بلوتو . أما بالنسبة للمصريين ، فقد صورت الديانة الجديدة سيرابيس قريبا فى الشكل من أوزوريس ، وقد نشط بطليموس الأول الى التبشير بالديانة الجديدة ، فجعل الاسكندرية مركزا لعبادة سيرابيس ، وشيد له بها معبدا يسمى السيرابيوم ، يتولى شئون العبادة فيه كهنة من اليونان وكهنة من المصريين ، ووضع به تمثالين لذلك الاله أحدهما فى صورته اليونانية والآخر فى صورته المصرية . وكان الكهنة اليونان يقيمون

طقوسهم أمام التمثال اليونانى والكهنة المصريون يقيمون طقوسهم أمام التمثال المصرى . وكان هذا المعبد يقوم فوق ربوة عالية ، ويؤدى الى سياجه المقدس سلم كبير يتألف من مائة درجة ، وتقوم بجهاته الأربع مداخل شامخة ، وتحيط



« الاله سيرابيس »

بها أعمدة ضخمة ، فكان أعظم وأفخم معبد فى العالم اليونانى . وقد أشيع أن من يحج الى هذا المعبد يشفيه سيرابيس من أمراضه ، فأصبح كعبة الناس من كل مكان . وكما شبه اليونان سيرابيس بديونيسوس وبلوتو ، شبهوه كذلك

بأسقلابيوس اله الطب عندهم · ولما كان قد أصبح رئيسا لآلهتهم فى مصر شبهوه كذلك برئيس آلهة اليونان زيوس ، فأصبح اسمه « زيوس سيرابيس» · ثم لما كان زيوس هو ذاته آمون رع فى اعتقادهم ، فقد أصبح اسمه كـــذلك « زيوس آمون رع سيرابيس » · وحيث أن رع كان اله الشمس المصرى شبهوا سيرابيس كذلك باله الشمس اليونانى هيليوس · ولكى يثبتوا أن سلطـــان سيرابيس يشمل البحر كما يشمل السماء والأرض شبهوه كذلك باله البحر اليونانى بوسيدون ، وهكذا جمعوا فيه أغلب آلهتهم · وقد أقبل اليونان على عبادة سيرابيس فلم ينتصف القرن الثالث قبل الميلاد حتى كانوا جميعا من المؤمنين به · ولم تلبث عبادة سيرابيس أن تجاوزت الاسكندرية الى كل أنحاء مصر ، بل الى كل أنحاء البحر الأبيض وبحر ايجه ، بل لقد بلغت الهند ، ثم لم تلبث أن انتقلت الى الدولة الرومانية وأصبحت ديانتهـــا الرسمية · أما المصريون فلم يروا فى سيرابيس الا الههم القديم أوزوريس ، وقد ظل بالنسبة اليهم الها مصريا فى كل سماته وصفاته ومظاهر قوته وطقوس عبادته · ولما كان سيرابيس هو ذاته أوزوريس ، أصبحت زوجته فى الديانة الجـــديدة هى ايزيس · وكانت هذه الالهة من أحب الآلهة الى المصريين فى كل مراحل تاريخهم، اذ كانت فى نظرهم هى المثل الأعلى للزوجة الفاضلة والأم الحنون · وكانوا يعتقدون أنها ستحييهم بعد الموت كما أحيت زوجها أوزوريس · وكان اليونان المقيمون فى مصر قبل الفتح المقدونى يحترمون ايزيس ويحبونها ويشبهونها بالالهة اليونانية ديمتير ، كما كانوا يشبهونها بأفروديتى وهيرا وأثينا ،ولذلك اختيرت ضمن آلهة الديانة الجديدة باعتبارها زوجة سيرابيس · وقد شيـــد لها البطالمة معابد فخمة فى كل أنحاء البلاد ـ ولا سيما فى الاسكندرية وجزيرة فيلة ، وكانوا يقدمون لها فروض العبادة والتقديس ، وكانت ملكاتهم وأميراتهم يتشبهن بها ويرتدين زيها حاملات فوق رؤوسهن تاجها المحلى بقرنى بقرة يتوسطهما قرص الشمس ويبرز من بينهما طائر مقدس ، ومن ثم انتشرت عبادة ايزيس بين اليونان وما فتئت تستأثر بحبهم واهتمامهم حتى احتلت فى

قلوبهم - منذ عهد بطليموس السادس - مكـــانة سيرابيس ، وأصبحت أهم آلهة الثالوث المقدس • ولم تلبث أن تجاوزت عبادتها حدود مصر ، فانتشرت فى كل أنحاء البحر الأبيض ، وقد رفعها اليونان الى أعلى مرتبة بين آلهتهم ، واعتبروها « ملكة العالم ، سيدة الجميع ، تاج الحياة ، ينبوع الخير ، ومثـــال الجمال ، ورمز الحب » • أما هاربوكراتس ، ثالث الآلهة الذين يتكون منهم الثالوث الجديد ، فلم يكن الا الاله المصرى حوريس ، ولم يكن اسمه الا النطق اليونانى لاسم ذلك الاله • واذ كان حوريس هو ابن ايزيس وأوزوريس ، فقد أصبح هربوكراتس هو ابن ايزيس وسيرابيس ، واذ كان حوريس قد خلف آمون رع فى صفاته ، فقد نسب اليونان الى هاربوكراتس هذه الصفات ومن ثم شبهوه بالههم هيراكليوس ، كمـا شبهوه بالههم أبوللون • وقد أقبلوا على عبادته فجعلوا له من المكانة لديهم ما كان لحوريس لدى المصريين ، وأقـــاموا تماثيله فى بيوتهم ، ونقشوا صورته على خواتمهم ، وأقاموا له كثيرا من المعابد، وواظبوا على اقامة الطقوس له وتقديم القرابين اليه • أما المصريون فقد ظلوا يعتبرونه الههم حوريس واحتفظوا له بصفته المصرية الصميمة • وهكذا نجد أن الديانة الجديدة لم تنجح الا بين اليونان الذين عبدوا آلهة هذه الديانة الى جانب آلهتهم الأصلية ، بينما ظل المصريون متمسكين بعقائدهم الدينية كمـا عرفوها منذ آلاف السنين ، وبذلك فشل البطالمة فى اخضاع المصريين عن طريق الدين •

البحث الثامن

الحياة الثقافية

استأثر اليونان بالحكم فى مصر ووضعوا الشعب المصرى تحت عجلة طغيانهم ، وحجبوه عن أنظار العالم كى يبرزوا دولتهم باعتبارها دولة يونانية خالصة ، ومن ثم جعلوا حضارة هذه الدولة حضارة يونانية ، وجعلوا ثقافتها ثقافة يونانية ، وبذلك انزوت الحضارة المصرية والثقافة المصرية وراء حجاب سميك من استبدادهم واستعبادهم لذلك الشعب العريق الذى كان هو المنبع والمصدر لكل ما عرفه اليونان والعالم كله من حضارة وثقافة ٠

وقد أصبحت الاسكندرية عاصمة الآداب والعلوم فى القرن الثالث قبل الميلاد ، وان كانت أثينا قد احتفظت بالمكانة الأولى فى الفلسفة ، بفضل تلاميذ أفلاطون وأرسطو وأساتذة المدارس الفلسفية الجديدة مثل أبيقوروس وزينون، وقد وفد الى الاسكندرية بعض الفلاسفة من مختلف المذاهب ولا سيما من المشائين مثل ديمتريوس الفليرى ، الذى وفد اليها فى عهد بطليموس الأول ، واستراتون أستاذ بطليموس الثانى ، وديكايارخوس أستاذ العالم الاسكندرى اراتوسثينوس ، وكذلك من الرواقيين مثل سفايروس أستاذ بطليموس الرابع ٠ الا أن أسلوب الحكم البطلمى لم يكن يسمح بازدهار الفلسفة ، كما لم يكن

يسمح بازدهار الخطابة ، فلم ينشط هذان العنصران من عناصر الثقـــافة فى الاسكندرية ، بينما نشط الشعر الاسكندرى الى أبعد الحدود ، كما نشـــط النثر الاسكندرى ولا سيما فى المؤلفات العلمية كالتاريخ والجغرافيا والطبيعة والطب والتاريخ الطبيعى وفقه اللغة والرياضيات • وقد ساعد على ازدهـــار الآداب والعلوم بالاسكندرية انشاء دار العلم والمكتبة فى عهد بطليموس الأول• وكانت دار العلم تشبه فى نمطها ونظامها مدارس الفلسفة فى أثينا ولا سيما الأكاديمية والليقيون ، ويذكر استرابون أنها كانت تشغل جـانبا فى الحى الملكى ، وتشمل متنزها فسيحا يضم كثيرا من المبانى ذات القاعات والأبهـاء ، كما يضم هيكلا لالهات الشعر • وكان البطالمة ينفقون على دار العلم وعلى علمائها الذين كانوا ينقطعون فيها للبحث والتأليف والتعليم والقاء المحاضرات ،وكانوا يشتغلون بكل أنواع المعارف والعلوم • وأما المكتبة فكانت ملحقة بدار العـلم وقد أنشأها بطليموس الأول ، ثم قام بطليموس الثانى بتنظيمها واستكمالها حتى أصبحت تضم أكثر من مليون مجلـــد ، ومن ثم كانت تسمى بالمكتبـــة الكبرى • كما قام بطليموس الثانى بانشاء مكتبة أخرى فى معبد السيرابيوم ، كانت تضم أكثر من نصف مليون مجلد وكانت تسمى بالمكتبة الصغرى • وقد ظلت مكتبة الاسكندرية كعبة الباحثين من كل أنحاء العالم طـــوال العصرين اليونانى والرومانى • وقد عين البطالمة بعض العلماء لرعاية هذه المكتبة وتنسيق كتبها ، وكان أول أولئك العلماء هو زنودوتوس الأفسوسى ، وقد عكف على تنظيم ما كان بالمكتبة من دواوين الشعر القصصى والغنائى ، بينما عهـــد الى الاسكندر الايتولى بتنظيم كتب التراجيديا ، والى ليكـــوفرون بتنظيم كتب الكوميديا • وقد قام كاليماخوس بوضع فهارس للمؤلفات ، كما قام بكتـابة تاريخ موجز لحياة أشهر المؤلفين • وكان منصب أمين المكتبة من أرفع المناصب فى الدولة ، وكان الذى يشغله يعمـل فى ذات الوقت معلما ومربيـــا لأمراء الأسرة المالكة • ومن أشهر أمناء مكتبة الاسكندرية زنودوتوس ، وأبولونيوس، واراتوستثينوس ، وأريستوفانس، وأريستارخوس ، وكيداس • وقد أدى بعض

أولئك العلماء خدمات جليلة للأدب اليونانى فقد ابتدع زنودوتوس علم تحقيق النصوص القديمة بمقارنة المخطوطات المختلفة ، ومن ثم أدى ذلك الى ضبط وتصحيح كثير من المؤلفات اليونانية القديمة ولا سيـــما الأشعار الغنائيـــة والمسرحيات • وقد كتب ديديموس الاسكندرى عن أغلب المؤلفين اليونان ، حتى قيل أنه وضع فى ذلك أكثر من ثلاثة آلاف وخمسمائة كتاب • وقد اهتم بعض أولئك العلماء بدراسة قواعد اللغة اليونانية ، وكان ديونيسوس التراقى تلميذ أريستارخوس هو أول من وضع كتابا فى قواعد هذه اللغة •

وقد تربعت الاسكندرية على عرش الشعر فى العالم اليونانى ، فاشتهر الشاعر الاسكندرى ماخون بتأليف الكوميديا ، واشتهر سبعة شعراء فى عهد بطليموس الثانى بتأليف التراجيديا ، وهم المعروفون بالشعراء السبعة ، وقد حاكوا شعراء التراجيديا فى أثينا خـــلال القرن الخامس قبل الميلاد مثـــل ايسخيلوس وقرينيخوس • كمـــا اتجه الشاعران الاسكندريان أسكلبيادس وثيوكريتوس الى محاكاة أشعار سافو وألكايوس ، واتجه كاليماخـــوس الى محاكاة أناشيد هوميروس • ويعتبر كاليماخوس أبرز شعراء الاسكندرية فى عصره ، وقد ولد فى برقة حوالى عام ٣١٠ قبل الميلاد ، ثم هاجر الى الاسكندرية حيث اشتغل بالتعليم ، ثم وضع فهارس المكتبة الكبرى • ويقال أنه قام بتأليف ثمانمائة كتاب • وكانت قصائده الشعرية من أبدع وأروع القصائد اليونانية، وكانت تتدفق من قريحته كالبحر فكان بعضها يبلغ الألف بيت • كما كان من أبرز شعراء الاسكندرية أبولونيوس الذى عمل كذلك بمكتبة الاسكندرية ، وكان يكتب القصائد الطويلة التى كانت تشغل الواحدة منها مجلدا كاملا ،وقد بلغت احدى قصائده ٥٨٣٥ بيتا • ومن أشهر شعراء القرن الثالث ثيوكريتوس الذى ولد فى سيراكوز وأقام بالاسكندرية بعض الوقت • كما أن من أشـــهر الشعراء الذين ألفوا الأراجيز الفكاهية هيروندامس الذى ولد فى أيونيا وأقام بالاسكندرية فترة من حياته • وقد بدأ العصر الذهبى للشعر الاسكندرى منذ

عام ٢٩٠ واستمر حتى عام ٢٤٠ قبل الميلاد • بيد أنه لم يلبث أن ضعف بعد ذلك وخبا • وقد كانت ألوان الشعر التى نشأت بمصر فى ذلك العصر يونانية بحتة ، فلم تكن تمت بأى صلة على الاطلاق للشعب المصرى أو للبلاد المصرية ، حتى أن ثيوكريتوس حين أراد أن يتغنى بوصف الطبيعة لم يصف مصر بل وصف بلاد اليونان • أما مصر فلم يكن شعراء الاسكندرية يعرفون عنها الا ما قرأوه فى القصص والخرافات اليونانية •

أما النثر فقد كان لا يقل أهمية عن الشعر ، وكان من أبرز موضوعاته التاريخ ولا سيما تاريخ حياة المشاهير ، وكان من أشهر مؤرخى الاسكندرية خلال القرن الثالث ساتيروس وهرمييوس وكلايتارخوس ، وقد كتب هذا الأخير تاريخ حياة الاسكندر الأكبر وعنه أخذ ديودوروس وكورتيوس ، وفى عهد بطليموس الأول كتب هيكاتايوس الأبديرى تاريخ مصر من وجهة نظر اليونان • ثم فى عهد بطليموس الثانى كتب مانيثون رئيس كهنة عين شمس تاريخ مصر فى مجلد ضخم يقع فى ثلاثة أجزاء ، وقد استمده من الوثائق الهيروغليفية ، فكان أوفى وأوثق مرجع فى هذا الموضوع ، ولا يزال المؤرخون يعتمدون عليه الى اليوم • وكان من أبرز موضوعات النثر كذلك الجغرافيا ، ويعتبر ما كتبه فيها العالم الجغرافى أراتوسثينوس أروع مثال للنثر الاسكندرى فى العصر الهيلينستى • وقد ولد أراتوسثينوس فى برقة حوالى عام ٢٧٥ قبل الميلاد ، ثم رحل الى الاسكندرية حيث درس على كاليماخوس ثم تابع دراسته فى أثينا حتى استدعاه بطليموس الثالث عام ٢٤٦ قبل الميلاد ليخلف أبولونيوس الرودسى فى منصب أمين المكتبة • وقد كانت كفاءة هذا العالم وسعة اطلاعه وتبحره فى مختلف العلوم والفنون مضرب الأمثال فى عصره ، فقد كتب فى الشعر والفلسفة وقواعد اللغة وفقه اللغة والرياضة والتاريخ والجغرافيا ، بيد أن مؤلفاته فى العلمين الأخيرين فاقت سائر كتبه • وكان أهم ما وضعه فى التاريخ كتاب ضخم يسمى « علم التاريخ » ويقع فى

تسعة أجزاء كبيرة • وقد كان له أثر بعيد فى كل الذين اشتغلوا بهذا العلم بعده ، حتى أن أبولودوروس الأثينى اتخذه بعد ذلك بقرن كامل أساساً لرسالته فى هذا الموضوع • وكان أهم ما وضعه أراتوسثينوس فى الجغرافيا كتاب يبحث « فى قياس أبعاد الكرة الأرضية » ، وكتاب « علم الجغرافيا » ، وقد أورد فى الكتاب الأول تقديرا لمحيط الكرة الارضية لا يفرق الا قليلا عن التقدير الصحيح الذى توصل اليه علماء العصر الحديث ، ورسم فى الكتاب الثانى خريطة للعالم ، وبسط آراءه عن شكل الأرض وحجمها وطبيعة المحيط ومداه • كما وضع كتابا « عن الموانى » أدى خدمات جليلة للملاحة فى العصر الهيلينستى • وكان من موضوعات النثر الاسكندرى كذلك القصص والأساطير مثل قصة تأسيس روما وقصة الاسكندر وأسطورة أونياس وقصص الأسفار التى وضعها أنتيفانس ولوكيانوس • وكان من أحب الكتب الى الناس فى ذلك العصر كذلك المؤلفات التى تتناول الحوادث العجيبة أو المخلوقات الغريبة ، أو الحيوانات أو النباتات النادرة •

وقد خطت العلوم اليونانية فى العصر الهيلينيستى خطوات واسعة بعد التقدم الذى كانت قد أحرزته فى العصر السابق • اذ كان الفيثاغوريون قد وضعوا قواعد علم الهندسة ، ثم تابع أفلاطون وتلاميذه توطيد هذه القواعد على أسس راسخة • ووضع هيبوكراتس فى القرن الخامس قواعد علم الطب ، ووضع أرسطو قواعد البحث العلمى • وحين امتدت امبراطورية الاسكندر واتسعت آفاقها توافرت للعلماء مادة البحث فى علوم كثيرة كعلم الحيوان وعلم النبات والجغرافيا ودراسة الأجناس • ومن ثم فتح ذلك كله الطريق الى قيام حركة علمية زاهرة فى العصر الهيلينيستى ولا سيما فى الاسكندرية التى تقدمت بها العلوم تقدما عظيما • وكان من أكثر العلوم ازدهارا فى الاسكندرية الطب والتشريح • وقد اشتهر هيروفيلوس فى علم التشريح ، واشتهر ايراسيستراتوس فى علم وظائف الأعضاء ، وقد اعتمد على أبحاثهما بعد ذلك

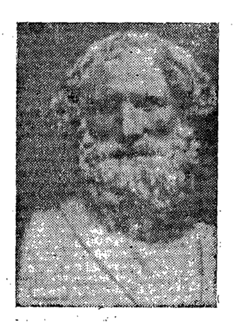
جالينوس وسورانوس وكلسوس • وكان هيروفيلوس أحد أتباع مدرسة هيبوكراتس ، وقد قام بتدريس الطب فى الاسكندرية على عهد البطالمة الأوائل • وكان أول من اكتشف الدورة الدموية واهتم اهتماما كبيرا بنبض الدم وابتكر أداة لقياس سرعته • وكانت أبحاثه التشريحية تدور حول المخ والأعصاب والكبد والرئتين • وكان يقوم بتشريح جسم الحيوان كما كان يقوم بتشريح جسم الانسان ، ولذلك يعتبر من آباء علم التشريح الحديث • وقد أدى تقدم التشريح الى تقدم الجراحة ، والى اختراع آلات جديدة لهذا الفن واستخدامها بمهارة فائقة ، حتى أصبحت الاسكندرية كعبة الطب فى العالم الهيلينيستى • وقد توصل هيروفيلوس الى أن المخ هو مركز التفكير وأنه متصل بالجهاز العصبى ، وقد فرق بين المخ والمخيخ • ولا يزال رجال الطب يستخدمون حتى اليوم بعض الاسماء التى أطلقها على أجزاء الجسم مثل « الاثنى عشر » • وكان لهيروفيلوس تلاميذ كثيرون ، منهم أندرياس الطبيب الخاص لبطليموس الرابع عشر • ثم ظهر بعد ذلك ايراسيستراتوس وقد فاق هيروفيلوس فى أبحاثه عن المخ والقلب • وهو الذى اخترع المجس • وكان هيروفيلوس وايراسيستراتوس فى رأى جالينوس من أطباء المدرسة الاستدلالية التى تعتمد على دراسة أسباب المرض كما تعتمد على علمى التشريح والفسيولوجيا • وفى عام ٢٨٠ قبل الميلاد أسس فينلينوس مدرسة طبية جديدة فى الاسكندرية هى المدرسة التجريبية ، وكانت تذهب الى أن الطب لا يختص بالبحث فى أسباب المرض وانما يختص بعلاجه فحسب ، عن طريق التجربة وملاحظة الحالات المتشابهة • ومن ثم تغاضت المدرسة التجريبية عن الاستعانة بعلمى التشريح والفسيولوجيا • بيد أن هذه المدرسة قد أدت للطب خدمة جليلة بالابتعاد عن الاتجاهات النظرية التى كانت تغلب على الطب اليونانى وتعوق تقدمه ، واهتمت بالوسائل العملية للعلاج وأنواع العقاقير التى تحقق الشفاء • ومن أبرز أتباع المدرسة التجريبية هيراكليوس الذى عاش فى أوائل القرن الأول قبل الميلاد وكان جراحا بارعا ، وقد وضع كتابا ممتازا عن العقاقير الطبية مؤكدا أنه لم

يذكر فيه عقارا لم يجربه بنفسه • وقد اهتم الفلاسفة بتوضيح الأخلاق التى يجب أن يتحلى بها الطبيب ، فشاركوا فى وضع تقاليد سامية لمهنة الطب ، تقضى بتقديم الاعتبارات الانسانية على كل اعتبار آخر ، فكان هذا هو أساس تلك المهنة ونبراس المشتغلين بها الى اليوم •

وكان اليونان يشغفون بملاحظة الحيوان والنبات ، وقد بذل أرسطو مجهودا علميا كبيرا فى هذا المجال ، ولا سيما فى علم الحيوان ، ثم اقتفى أثره فى ذلك تلميذه ثيوفراسطوس الذى خلفه فى رئاسة الليقيون والذى حظى بتقدير بطليموس الأول ، كما اقتفى أثره فى ذلك تلميذه استراتون الذى خلف ثيوفراسطوس فى رئاسة الليقيون ، والذى كان معلم بطليموس الثانى • وقد ساعد على دراسة علم الحيوان فى الاسكندرية حديقة الحيوان التى أنشأها بطليموس الثانى بتلك المدينة • أما علم النبات فقد تقدم تقدما عظيما على يدى ثيوفراسطوس الذى أدى لذلك العلم من الخدمات نظير ما أداه أرسطو لعلم الحيوان ، وقد جمع عنه عددا عظيما من الحقائق والمعلومات ، وكتب فيه عدة مؤلفات ، من أشهرها رسالته العظيمة عن تاريخ النبات التى بقيت أمدا طويلا أرفع ما وصل اليه العلم فى هذا الميدان • وقد كان من اكتشافاته ما يثير الدهشة لأنها لا يمكن التوصل اليها الا بالميكروسكوب ، ولم يكن قد تم اكتشافه بعد ، كما أن التوصل اليها يحتاج الى معرفة عميقة بعلم الكيمياء ولم يكن هذا العلم يومذاك الا فى مهده •

ولم تكن الاسكندرية عاصمة العالم الهيلينيستى فى الأدب فحسب ، وانما كانت كذلك عاصمته العلمية ، وكان ذلك بفضل رعاية البطالمة الأوائل للعلوم ، فقد بذل بطليموس الأول جهودا عظيمة لاجتذاب العلماء فضلا عن الأدباء الى مملكته ، وكان منهم استراتون الذى اختاره لتعليم ابنه بطليموس الثانى ، كما كان منهم فيليتاس وديمتريوس الفليرى ، وأريستارخوس أستاذ الفلسفة ، وايوكليدس أستاذ الرياضة ، وهيروفيلوس أستاذ الطب والتشريح

والفسيولوجيا • وكانت الهندسة تحتل مكانة ممتازة بين العلوم الرياضية في العصر الهيلينيستي ، بعد أن وضعها الفيثاغوريون وأفلاطون وتلاميذه على أسس وطيدة ، وكان من أشهر أساتذة الهندسة في الاسكندرية أريستايوس، كما كان من أشهرهم أوتوليكوس الذى عاصر بطليموس الأول وسبق أراتوسثينوس وأرشميدس • أما أعظم علماء الهندسة في ذلك العصر فهو



« أرشميدس »

ايوكليدس — أو اقليدس — الذى اقترن اسمه بأشهر مؤلفاته الهندسية وهو كتاب « العناصر » الذى ظل مرجعا لكل طلاب الهندسة في كل أنحاء العالم منذ العصر الهيلينيستي حتى عهد قريب جدا في العصر الحديث ، وقد تمت ترجمته الى اللغة اللاتينية في القرن الخامس ثم الى اللغة العربية في القرن الثامن ، ثم الى اللغات الأوروبية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر • وقد وضع ايوكليدس كتبا أخرى في كل فروع الرياضيات لم يبق منها سوى أربعة ، يتضمن اثنان منها أبحاثا هندسية ويتضمن الثالث نظريات في الفلك ،ويتضمن الرابع دراسة في الموسيقى • ومن علماء الهندسة كذلك أبولونيوس الذى ولد في برجا باقليم بامفيليا ودرس مدة طويلة في الاسكندرية على أيدى خلفاء

آبوكليدس ، وقد تألق نجمه فى عهد بطليموس الثالث ، ووضع كتابا عـــن « المخروطات » أكسبه لقب « عالم الهندسة الأكبر » لأنه بهذا الكتاب ارتقى بالهندسة الى أرفع مستوى وصلت اليه فى العصور القديمة وقد وقفت عنده فلم تواصل تقدمها الا فى العصر الحديث ٠



« عالم اسكندرى يرصد الأفلاك »

ومن أوثق العلوم اتصالا بالهندسة علم الفلك ٠ وقد كانت الفكرة السائدة عن الكون لدى اليونان منذ عهد ايودوكسوس فى القرن الرابع قبل الميلاد أن الشمس والقمر والكواكب تدور كلها حول الأرض ٠ ثم كشف هيراكليدس أن الأرض تدور حول محورها وأن عطارد والزهرة يدوران حول الارض ٠ ثم خطا

علم الفلك بعد ذلك خطوات واسعة على يدى أريستارخوس الذى عاش فى أوائل القرن الثالث قبل الميلاد وذاعت شهرته فى الرياضيات والفلك ، وقد وضع مؤلفات عديدة ذكر فيها أن الأرض والكواكب تدور حول الشمس ، وأن الشمس أكبر من الأرض ثلاثمائة مرة ، كما ذكر معلومات فلكية أخرى عن المسافات بين الأرض والشمس ، وبينها وبين القمر وسائر الكواكب ، وغير ذلك من الحقائق الفلكية • ثم يأتى بعد ذلك من علماء الفلك في الاسكندرية كونون الذى كان أرشميدس يعتبره عالما رياضيا جليلا ، وقد وضع مؤلفات كثيرة فى علم الفلك أهداها كلها الى بطليموس الثالث • أما أعظم علماء الفلك فى الاسكندرية وفى العالم القديم كله فهو هيبارخوس الذى عاش فى القرن الثانى قبل الميلاد ، وأدى خدمات جليلة لعلم الفلك باستخدامه حساب المثلثات لأول مرة فى التاريخ استخداما دقيقا منظما • وقد وضع تقديرا لطول الشهر القمرى لا يفرق عن تقدير العلماء الحديثيين الا ثانية واحدة ، كما وضع فهرسا للنجوم الثابتة وأوضح مواقعها وأدخل تحسينات عظيمة على آلات الرصد والملاحظة ، وقام بتأليف كتاب نادى فيه بضرورة استخدام الفلك فى الجغرافيا وقد ظلت كشوف هيبارخوس موضع تقدير العالم حتى عهد كوبرنيك وجاليليو وكيبلر •

وقد كان من أبرز العبقريات الرياضية لدى اليونان أرشميدس السيراكوزى ، وقد ولد عام ٢٨٧ وعاش حتى عام ٢١٢ قبل الميلاد • ويقال أن الوسائل الميكانيكية التى اخترعها منعت الرومان مدة طويلة من الاستيلاء على سيراكوز • وقد اخترع حين كان فى مصر لولبا لرفع الماء أصبح معروفا باسم « لولب أرشميدس » ، وهو الطنبور الذى لا زال معروفا فى مصر ، وقد قام أرشميدس بتأليف عدد كبير من الكتب ولا سيما فى الرياضة البحتة منها : كتاب « عن التوازن على السطوح المستوية » ، وكتاب « عن الكرة والأسطوانة » وكتاب « عن الحلزونات » وكتاب « عن الأجسام الطافية » وكتاب « عن قياس

الدائرة » . وقد اكتشف كثيرا من النظريات الهندسية ، كما وضع المبادىء الأولية فى علم الميكانيكا ، وابتدع علم دراسة السوائل . ومن الذين اشتهروا فى الرياضيات كذلك ايراتوسثينوس ، وقد وضع كتابا فى الرياضة يسمى « الأفلاطونى » ويتضمن بعض التعاريف الأساسية فى الهندسة والموسيقى ، كما اخترع آلة ميكانيكية لايجاد الوسط العددى بين طول مستقيمين أو جملة مستقيمات .

وقد نشطت كذلك فى عهد البطالمة الأوائل دراسة الميكانيكا وكان أبرز علمائها كتسيبيوس الذى اخترع آلات تعمل بالقوة الهوائية وآلات أخرى تعمل بالقوة المائية ، ومن ذلك منجنيق يعمل بضغط الهواء وساعة مائية ، ثم جاء بعد ذلك فيلون البيزنطى وقد وضع كتابا ضخما يقع فى نحو تسعة أجزاء يسمى « مجموعة الميكانيكا » .

وهكذا نجد أن الحياة الثقافية فى مصر خلال العصر اليونانى كانت يونانية بحتة ، وهى وان كانت قد استمدت أصولها الأولى من نبع الثقافة المصرية العريقة ، فقد ارتدت ثوبا يونانيا خالصا ، وتنكرت لمصر وما لها من فضل عليها . وحتى الأدباء والعلماء المصريون الذين شاركوا فى الحياة الثقافية فى ذلك العصر احتجبوا وراء الأسماء اليونانية التى سادت فى مصر يومذاك ، فلم يعد الباحث يستطيع التمييز بين مصرى ويونانى ، أو بين ثقافة مصرية وثقافة يونانية ، لأن الفضل كله أصبح منسوبا الى اليونان . فكما سرق اليونان حرية مصر وثروتها ، سرقوا كذلك ثقافتها ، وأصبح المصريون أمام العالم بلا حرية ، ولا ثروة ، ولا ثقافة .

المبحث التاسع

الفنون

لئن كانت الآداب والعلوم التى بقيت لنا آثارها من العصر اليونانى فى مصر ذات طابع يونانى بحت ، بسبب طغيان الحاكمين اليونان على كل مظاهر الثقافة فى الدولة كى يجعلوا منها دولة يونانية خالصة ، فان ما بقى لنا من آثار الفنون فى العصر اليونانى ولا سيما العمارة والنحت ، يكشف لنا عن الشخصية المصرية متميزة مستقلة لم تستطع الشخصية اليونانية أن تطغى عليها أو تطمس معالمها ، بل لقد حدث فى بعض الأحيان أنها تأثرت بها واندمجت فيها • وهكذا احتفظت الفنون المصرية بأصالتها ، واحتفظ الفنانون المصريون بقدرتهم الخالقة رغم صروف الأيام وصنوف العنت والطغيان •

وكانت العمارة من أبرز الفنون التى استمرت مزدهرة فى العصر اليونانى ، وقد بقيت لنا نماذج عديدة من آثارها ولا سيما المقابر والمنازل والمعابد ذات الطراز اليونانى أو الطراز المصرى ، أو الطرازين مجتمعين •

وقد كان اليونان فى مصر يجعلون مقابرهم على هيئة حفر ينحتونها فى الصخر أو فى باطن الأرض ويغطونها بالحجارة أو التراب ، أو يبنونها تحت سطح الأرض ويجعلونها ذات فتحات أو ينحتون فيها ما يشبه الأرائك ،وكانت

المقابر ذات الفتحات شائعة لدى الطبقة الوسطى من اليونان ، بينما كانت المقابر ذات الأرائك شائعة لدى الطبقة العليا منهم ، وتتألف المقابر ذات الفتحات من بئر صغيرة ذات درج يؤدى فى أسفله الى فتحة مستطيلة لدفن الجثة ، أو يؤدى الى غرفة صغيرة تحتوى على مكان الدفن ، أو الى دهليز طويل توجد بجدرانه فتحات عديدة لدفن أشخاص كثيرين فى صف واحد أو فى عدة صفوف بعضها فوق بعض . وكانت فتحات الدفن تقفل فى العادة بألواح صخرية على هيئة أبواب وهمية ، وقد ازدانت بالنقوش أو الصور الملونة ذات الطابع اليونانى الخالص أو المتأثر قليلا بالطابع المصرى . أما المقابر ذات الأرائك فكان أثرياء اليونان يبذلون عناية عظيمة فى تشييدها ، وكانوا يبنونها على نمط بيوتهم ويملأون جدرانها بزخارف يونانية بديعة . وكان هذا النوع من المقابر يتألف من غرفتين احداهما خلف الأخرى،وكانوا يدفنون الجثة فى الغرفة الخلفية داخل تابوت يشبه الأريكة . وكان يضاف الى هاتين الغرفتين أحيانا بهو خارجى مكشوف ، كما كانت توضع فى الغرفة الأمامية مقاعد للزائرين والمعزين ويوضع فى وسطها مذبح لتقديم القرابين . وكانوا يستخدمون فى زخرفة الجدران الداخلية طرازا يسمى طراز بومبى الأول ، اذ يكسونها بألواح من المرمر المتعدد الألوان . ومن أشهر المقابر التى من هذا النوع بالاسكندرية مقبرة سوق الورديان ، وترجع الى حوالى عام ٣٠٠ قبل الميلاد ، ومقبرة الشاطبى وترجع الى عام ٢٦٠ قبل الميلاد ، ومقبرة الأنفوشى وترجع الى النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد ، ومقبرة حديقة أنطونيادس وترجع الى النصف الثانى من القرن الثانى قبل الميلاد ، وتتألف هذه الأخيرة من سلم منحوت فى الصخر يؤدى الى فناء ذى أعمدة تقوم الى جانبيه الشرقى والغربى غرفتان بها فتحات الدفن والى جانبه الشمالى فى مواجهة السلم الغرفة الرئيسية أى غرفة الأريكة . أما مقبرة سيدى جابر فتعطينا غرفة الأريكة بها مثالا كاملا للزخرفة المعمارية المصورة بالألوان ، وهى تتألف من فناء وغرفة أمامية وغرفة خلفية ، وغرفتين على جانبى الفناء . وقد طليت جدران الغرفتين الأمامية

والخلفية بالألوان ورصعت بالأحجار الملونة • أما المصريون فى العصر اليونانى فقد استمسكوا بعاداتهم القديمة فى دفن موتاهم ، فكانوا يحفرون مقابرهم على شكل بئر تؤدى فى أسفلها الى فتحة يدفنون فيها الجثة ويقفلونها بألـــواح صخرية ، أو ينحتون مقابرهم فى الصخر على شكل غرفة أو عدة غرف يؤدى اليها درج أو طريق منحدر ،وكان هذان النوعان من المقابر لايكلفان الا مصاريف قليلة ولذا كان استعمالهما شائعا بين الغالبية العظمى من المصريين بسبب ما كانوا يعانونه من الفقر فى ذلك العصر • بينما كان هناك نوع آخر من المقابر المصرية يبنونه على شكل هيكل جنائزى صغير يشتمل على بئر يدفنون الجثة فى قاعها ، ويزينون جدران الهيكل بمناظر دينية ذات طراز مصرى صميم ، أو كانوا يبنون مقابر من غرفة أو عـــدة غرف ويزينون جدرانها بالمنـــاظر الجنائزية الملونة كما يزينون سقوفها بأشكال النجوم والكواكب على نمط مقابر وادى الملوك • الا أن هذا النوع المبنى من المقابر — على شكل هيكل أو شكل غرفة — كان قليلا ، لأنه لم يكن يستطيع اقامته الا الأغنياء من المصريين ،وكانوا قليلين •

ويمكننا أن نستنتج صورة البيوت اليونانية من المقابر اليونانية ، لأن اليونان كانوا يصممون مقابرهم على نمط بيوتهم ، فكان البيت يتكون منمدخل ودهليز وفناء وحجرة أمامية وحجرة خلفية • وقد كان طراز البيوت اليونانية فى الاسكندرية يساير طراز البيوت اليونانية فى العالم الهيلينيستى ، فكانت بيوتا يونانية خالصة فى عمارتها وزخرفتها • أما المصريون فقد احتفظوا على الدوام فى بناء بيوتهم بالطراز الذى ورثوه عن أجدادهم ، فكان البيت المصرى يتألف من مدخل وصالة وسطى وغرفة للنوم ومطبخ وعدد من المخازن • وقد اعتاد بعض المصريين فى العصر اليونانى ترك فتحة مربعة فى سقف الصـــالة للاضاءة والتهوية ، أو ترك الصالة كلها غير مسقوفة بحيث تصبح بمثـــابة الفناء • وقد ظلت الصالة الوسطى طـــابعا مميزا للبيت المصرى من العصر

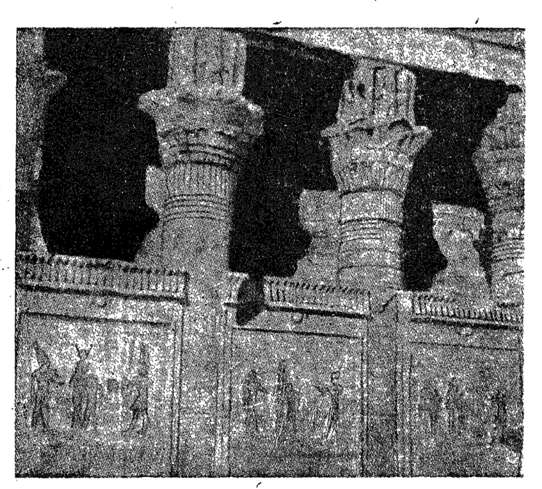
الفرعونى الى العصر الحديث . وكان البيت المصرى يتألف من طابق أو طابقين فى الريف . أما فى المدن فكان يبلغ أحيانا خمسة أو ستة طـوابق . وكان المصريون يغطون جدران بيوتهم بطبقة من الجبس ثم يطلونها بالألوان المتباينة فتبدو كأنها من المرمر ذى الألوان الرائعة . وقد تأثر اليونان ولا سيمـــا القاطنون فى الأقاليم بالبيئة المصرية ، فكانوا يضيفون الى الطراز التقليدى لبيوتهم - وهو الفناء والغرفة الأمامية والغرفة الخلفية - فناءا خارجيا وطابقا أرضيا . كما كان بعضهم يضفون على بيوتهم بعض مظاهر العمارة المصرية أو يزينونها بالزخارف المصرية . وكان البعض الآخر منهم يبنون بيوتهم على الطراز المصرى الخالص ولكنهم يزينونها بالزخارف اليونانية . وقد حدث ذلك على الخصوص فى نقراطيس وبطوليميس ومدن الفيوم . ونرى من ذلك أن اليونان تأثروا فى بناء بيوتهم بالطابع المصرى ، فى حين أن المصريين لم يتأثروا بالطابع اليونانى .

وقد أقام البطالمة بمصر كثيرا من المعابد للآلهة اليونانية ولا سيمـــا فى الاسكندرية وبطوليميس ونقراطيس ومنف ، ولكنها اندثرت كلها ، فلم يبق منها الا بضعة أعمدة على الطراز اليونانى . كما أنهم أقاموا كثيرا من المعـــابد للآلهة المصرية على الطراز المصرى . وقد كانوا فى البداية يقتصرون على القيام ببعض الاصلاحات فى المعابد القديمة أو الاضافات الى مبانيها أو الى زخارفها : ففى عهد الاسكندر الأكبر أقيم فى معبد الأقصر هيكل صغير على الطراز المصرى الخالص فى عمارته وزخرفته . وفى عهد فيليب أرهيد ايوس أقيم فى المعبد الأكبر بالكرنك هيكل آخر من ذات الطراز ، وبه قاعة تحمل اسم الاسـكندر الرابع . ولا شك أن مثل هذه الأعمال التى تمت باسم فيليب أرهيـــدايوس والاسكندر الرابع انما قام بها فى الواقع بطليموس الأول حينما كان واليا يحكم باسميهما . وقد أقام بطليموس الثالث الباب الخارجى فى معبد بتاح بالكرنك . وأقام بطليموس الرابع مدخل ذلك المعبد . وأنشأ بطليموس السابع معبدا

صغيرا بالكرنك للالهة أبيت • ثم لم يلبث البطالمة أن اتجهوا الى بناء معـــابد مصرية كاملة ، ولا سيما في ادفو ودندرة وكوم امبو واسنا وفيلة • فوضـــع بطليموس الثالث أساس معبد ادفو ، ثم استكمله البطالمة بعد ذلك على التعاقب، فأصبح معبدا فخما ، تنتصب عند مدخله بوابة مصرية صميمة ، مزينة بالزخارف التقليدية التى تضم بعض المناظر الدينية ، كما تضم بعض المناظر التى تمثل الملك وهو يهجم على أعدائه فى حضرة الاله حوريس • وتؤدى هذه البوابة الى فناء فسيح ، يكتنفه دهليز ذو أعمدة • ويؤدى الفناء الى قاعة ذات أعمـــدة كذلك ، تنتصب فى ثلاثة صفوف يشتمل كل منها على ستة أعمدة ، وقدازدانت جدران هـــذه القاعة وأعمدتها بمناظر تمثـل بطليمـوس الثامن وهو يقـوم ببعض الطقوس الدينية ، ويؤدى مدخل فى الجدار الشمالى لهذه القاعة الى قاعة أخرى أصغر منها ذات أعمدة تنتصب فى ثلاثة صفوف يشتمل كل منها عـلى أربعة أعمدة،وقد ازدانت جدران هذه القاعة وأعمدتها بمناظر تمثل بطليموس الرابع وهو يقوم كذلك ببعض الطقوس الدينية • وتؤدى هذه القاعة الصغرى الى قاعة أصغر منها ، ثم الى قاعة أخرى تؤدى الى قدس الأقداس ، وهو غرفة مستطيلة يقوم فى وسطها مذبح ويقوم فى نهايتها هيكل صغير لتمثال الاله • ويحيط بقدس الأقداس دهليز يؤدى الى عدة غرف صغيرة خصصت كل منها لعبادة أحد الآلهة • ويوجد فى هذا المعبد ـ كما هو الشأن فى سائر المعابد الفرعونية ـ مجموعتان من السلالم احداهما فى الجانب الشرقى والأخرى فى الجـــانب الغربى ، وتؤديان كلاهما الى سطح المعبد ، وقد ازدانت الجدران المحيطة بهما بمناظر الاحتفالات الدينية • كما يوجد فى هذا المعبد دهليز خارجى يدور حول مبانيه الداخلية كلها • وقد ازدانت الواجهة الداخلية لجدران هـــذا الدهليز بمناظر الصراع بين حوريس وست ، ومناظر الطقوس التى تخلد انتصـــار حوريس • أما الواجهة الخارجية لجدرانه فقد ازدانت بمناظر تمثل بطليموس التاسع وزوجته برينيكى وهما يعبدان الآلهة • ويبدو من ذلك أن هذا المعبد مصرى خالص فى تصميمه وعمارته وزخرفته • وكان ثمة فى دندرة معبـــد

قديم كان قد بناه الملك خوفو للالهة حاتحور فأمر بطليموس الثامن بازالتهوأقام في مكانه معبدا جديدا أصبح بعد اكتماله من أروع آثار العمارة المصرية في العصر اليوناني • وهو صرح شامخ يحيط به من جميع جوانبه سور عظيم ، ويؤدي بابه الضخم الى فناء مكشوف ، ثم يؤدي الفناء الى ردهة الأعمدة الكبرى ، وهي قاعة فسيحة يرتفع سقفها على أربعة وعشرين عمودا هائلا ، تنتصب في أربعة صفوف ، وتصل بين أعمدة الصف الأول منها حوائط قصيرة ويعلوها افريز ضخم يزدان بقرص الشمس ذي الجناحين المبسوطين • وتزدان جدران الردهة وأعمدتها بمناظر دينية • أما سقفها فيبدو مرسوما على هيئة السماء بنجومها وكواكبها • وتؤدي الردهة الكبرى الى ردهة أصغر منها يرتفع سقفها على ستة أعمدة ، وتتصل بكل من جانبيها ثلاث غرف صغيرة ، وتؤدي الردهة الصغرى الى قاعة المذبح ، وقد ازدانت جدرانها بمناظر تمثل الملك وهو يقدم القرابين الى الالهة حاتحور ، والى يمين هذه القاعة ويسارها توجد السلالم التي تؤدي الى سطح المعبد • وتزين جدران هذه السلالم مناظر موكب الالهة وهي محمولة في جمع حاشد ، تحف بها مظاهر العظمة والجلال • وتؤدي قاعة المذبح الى قاعة التاسوع المقدس ، وهي غرفة تزدان جدرانها بمناظر تمثل حاتحور وقد تجسمت فيها كل الآلهة الأخرى فأصبحت هي وحدها نبع الحياة وتؤدي قاعة التاسوع المقدس الى قدس الأقداس ، وهو غرفة تزدان جدرانها بمناظر تمثل زيارة الملك للالهة ، ويحيط بقدس الأقداس دهليز يؤدي الى احدى عشرة غرفة صغيرة متجاورة ، تحمل كل منها اسما خاصا مثل « غرفة الميلاد » و « غرفة البعث » و « غرفة عرش رع » • وهكذا • ومن أهم ما يميز هذا المعبد كثرة ما فيه من أقبية محفورة في جوف الأرض ، ومخصصة لممارسة الطقوس السرية للآلهة أو لحفظ الكنوز الثمينة الخاصة بالمعبد • أما جدران المعبد من الخارج فقد ازدانت بمناظر تمثل طقوس عبادة الآلهة ، وقد ظهر بينها منظر يمثل كليوبترا السابعة في زي الالهة ايزيس وهي تتعبد للآلهة مع ابنها قيصرون • ولا يختلف هذا المعبد عن معابد الفراعنة القدماء في أي شيء سواء

فى تصميمه أو عمارته أو زخرفته ، فهو معبد مصرى صميم . كما أنشأ بطليموس السادس معبدا فى كوم امبو يتميز كذلك بكل الخصائص التى تتميز بها المعابد المصرية ، الا أنه ينفرد بميزة خاصة نجمت عن العبادة المحلية فى كوم امبو اذ كان الأهالى هناك يتعبدون منذ قرون طويلة للالهين حوريس وسبك ، فأقيم لكل من هذين الالهين فى ذلك المعبد قسم خاص به



« معبد كوم امبو »

كأنهما معبدان متجاوران يضم كل منهما ردهة للأعمدة وقدسا للأقداس وغير ذلك مما تشتمل عليه المعابد . بيد أن البناء فى مجموعه يتميز بطابعه المصرى الصميم ، كما يتميز بروعة تصميمه ودقة زخرفته ، مما جعله آية من آيات العمارة المصرية فى ذلك العصر . وهكذا نجد أن المصريين كما احتفظوا بعقائدهم المصرية ، احتفظوا كذلك بمعابدهم المصرية وحافظوا على طرازها القديم وطابعها

الضميم ، فلم يستطع اليونان رغم طغيانهم وجبروتهم أن يغيروا من عقائدهم ، أو يؤثروا فى عمارة معابدهم ، أو يحجبوا عن العالم أروع مظهر من مظـــاهر حضارتهم العريقة الخالدة .

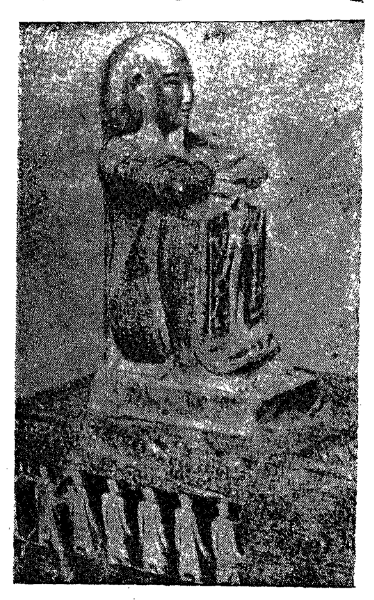
وقد كان فن النحت ميدانا آخر للصراع بين الحضارتين المصريةواليونانية فى العصر اليونانى ، وقد عمل البطالمة على رعاية الفنانين اليونان ، وتشجيع الفنون اليونانية ولا سيما النحت ، فاصبحت له فى الاسكندرية مدرسة ذائعة الصيت ، وقد بقيت لنا كثير من المعلومات عن التماثيل اليونانية التى كانت الاسكندرية تزخر بها ، ولا سيما التماثيل التى رآها كاليكسينيس فى مهرجان فيلادلفوس وأبدع فى وصفها ، والتماثيل التى أقيمت فى الثيخايون ،والتماثيل التى أقيمت فى الهوميريون ، والتماثيل التى أقامها بطليموس الثانى لوالديه وزوجته برينيكى وعشيقته كلينو ، وتماثيل البطالمة التى كانت تقام فى المعابد اليونانية . وقد اجتذب البطالمة الى بلاطهم كثيرا من الفنانين المشهورين فى العالم اليونانى مثل برياكسيس وثيون الأنطاكى وديمتريوس الرودسى . وقد تأثر فنانو الاسكندرية فى البداية بأعمال ليسيبوس وسكوباس وبراكسيتليس كما تأثروا بملامح الاسكندر الأكبر فأضفوا على صـــــور بطليموس الأول وبطليموس الثانى مسحة عابسة عنيفة . بيد أنهم لم يلبثوا فى أواخر عصر بطليموس الثانى أن عدلوا عن ذلك الاتجاه المتكلف ، وبدأوا يصورون الوجوه فى شكلها الطبيعى ، كما يبدو فى بعض نقود بطليموس الثانى وفى نقـــود بطليموس الثالث وبطليموس الرابع . الا أنه منذ عهد بطليموس الخامس بدأت تظهر بوادر التدهور فى فن النحت اليونانى حتى بلغ الحضيض فى عهـــد بطليموس التاسع . وقد كانت التماثيل والصور التى قام اليونان بنحتها طوال العصر اليونانى تتميز — مهما تفاوتت فى قيمتها الفنية — بطرازها اليونانى البحت ، ويغلب عليها كلها طابع المثالية حتى فى تصوير الموضوعات الواقعيــة الخالصة . ومن آثار النحت اليونانى فى مصر لوحات النقش البارز التى كانت

شائعه فى العالم الهيلينيستى ، ونصب المقابر التى كانت تزخر بالتماثيل والنقوش وتمثل المتوفى مع بعض أفراد أسرته ، والأحجار الثمينة المزدانة بالصور المنقوشة ، والآنية الذهبية أو الفضية أو البرونزية المحلاة بالزخارف والرسوم ، وكانت كلها ذات طابع يونانى خالص .

أما فن النحت المصرى فقد احتفظ فى بداية العصر اليونانى بعراقته وأصالته ، فكان بمثابة امتداد للفن فى العصر الصاوى ، الا أن ما تعرض له الفنانون المصريون من اهمال البطالمة لم يلبث أن أدى الى تدهور ذلك الفن وتقهقره ، حتى اذا انتعشت الروح القومية لدى المصريين عقب موقعة رفح ، انتعش معها ذلك الفن وبدأ ينهض من جديد حتى بلغ ذروته فى عهد بطليموس السادس . ولعل أبدع مثال لهذه النهضة بين الآثار التى لا تزال باقية تمثال من الجرانيت الأسود يمثل رجلا جالسا القرفصاء وقد علت شفتيه ابتسامة رقيقة . الا أن هذه النهضة لم تلبث أن انهارت مرة أخرى تحت وطأة طغيان فى عهد بطليموس الثامن ، فبدأ فن النحت المصرى يرجع القهقرى ويفقد بالتدريج كثيرا من دقته وروعته . ويمكننا أن نتبين أطوار تقدم هذا الفن وتقهقره فى العصر اليونانى من النقوش البارزة التى ازدانت بها النصب الجنائزية المصرية فى ذلك العصر . وكانت هذه النصب لوحات رقيقة من الصخر ، أغلبها ذو قمة مستديرة على الطراز الذى كان شائعا فى عهد الرمامسة والعهد الصاوى ، وبعضها ذو قمة مستطيلة على الطراز الذى كان شائعا فى منف . وكانوا يزينون قمة النصب عادة بنقش بارز يمثل قرص الشمس ذى الجناحين المبسوطين . يتدلى على جانبيه صلان مقدسان ، وتمتد تحته العلامة التى ترمز الى السماء . وتبدو تحت هذه العلامة صورة المتوفى وهو يتعبد للآلهة . وتحت هذه الصورة كانوا ينقشون نصا هيروغليفيا يتضمن بعض البيانات عن المتوفى وبعض الصلوات من أجله . وقد اقتفت النقوش البارزة المصرية فى العصر اليونانى تقاليد النقوش البارزة فى العصور القديمة ، ومن ثم لم يتأثر الطراز المصرى

فى النحت بالطراز اليونانى ، بل احتفظ بكل خصائصه ومميزاته .

ولم يمتزج الطرازان المصرى واليونانى فى النحت الا فى حالات نادرة ، منها تمثال من الجرانيت للاسكندر الرابع يصوره منتصبا أمام عامود على النحو



« تمثال من العصر اليونانى »

المالوف فى التماثيل المصرية ، وبالصورة الشائعة فى الفن المصرى ، الا أن خصلات الشعر وملامح الوجه وعضلات الجسم ذات طراز يونانى خالص .
وثمة تمثال آخر من الجرانيت الوردى يمثل بطليموس الرابع لابسا التاج

الفرعونى ، وقد بدا طراز أذنيه وعينيه وشفتيه مصريا ، بينما بدا طراز شعره يونانيا . كما أن ثمة تمثالا ثالثا من المرمر يمثل كليوبترا الثالثة فى شكل ايزيس وقد بدا غطاء رأسها مصريا بينما بدت ملامح وجهها يونانية . الا أن تلك الآثار القليلة التى ظهرت فيها محاولة المزج بين الطرازين المصرى واليونانى



« تمثال لبطليموس الرابع »
« على الطراز المصرى »

قد دلت على فشل هذه المحاولة ، فقد ظل اليونان متمسكين بطرازهم اليونانى لأنهم تمسكوا بشخصيتهم اليونانية ، كما ظل المصريون متمسكين بطرازهم

لأنهم تمسكوا بشخصيتهم المصرية • فكان هذا دليلا على أن اللقاء بين اليونان والمصريين ظل مستحيلا ، رغم أن اليونان ظلوا جاثمين على صدور المصريين ثلاثة قرون كاملة ، وكان مرجع ذلك بالنسبة لليونان غطرستهم وكبرياؤهم واعتزازهم بالقوة الغاشمة • فى حين كان مرجع ذلك بالنسبة للمصريين أصالة عنصرهم ، وصلابة عودهم ، وصمودهم - بالصبر وقوة الاحتمال وعمق الايمان - أمام طغيان الطغاة ونكبات الزمان ، فكتبوا لأنفسهم البقاء بينما دالت دولة اليونان •

(تم الجزء الخامس)



الاستاذ زكي شنودة

مراجع الكتاب

١ ـ مصر القديمة تأليف الأستاذ سليم حسن .

٢ ـ مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربى تأليف سير هارولد ادريس بل ترجمة الأستاذ زكى على .

٣ ـ تاريخ مصر فى عصر البطالمة تأليف الدكتور ابراهيم نصحى .

٤ ـ بداية عصر البطالمة تأليف الأستاذ اسماعيل مظهر .

٥ ـ لمحات من الدراسات المصرية القديمة تأليف الدكتور باهور لبيب .

٦ ـ جولات فى رحاب التاريخ تأليف الدكتور حسين فوزى .

٧ ـ تاريخ الحضارة المصرية « المجلد الثانى » تأليف الأساتذة : أمين الخولى ومحمد مصطفى زيادة وابراهيم نصحى ومراد كامل وحسين مؤنس وجمال الدين الشيال ومحمد عبد العزيز مرزوق .

٨ ـ موسوعة تاريخ العالم تأليف لانجر ترجمة الأساتذة : محمد محمود الصياد ومحمد مصطفى الأمير ومحمد سليم سالم وابراهيم نصحى ومحمد عواد حسين وزكى على .

٩ ـ معالم تاريخ الانسانية تأليف هـ. ج. ويلز ترجمة الأستاذ عبد العزيز توفيق جاويد .

١٠ ـ كليوبترا تأليف الأستاذ زكى على .

١١ ـ تاريخ الفلسفة اليونانية تأليف الأستاذ يوسف كرم .

١٢ ـ أفلاطون تأليف الدكتور عبد الرحمن بدوى .

١٣ ـ الخصوبة والخلود فى انتاج أفلاطون تأليف الدكتور محمد غلاب .

١٤ ـ عرض تاريخى للفلسفة والعلم تأليف أ. وولف ترجمة الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف .

١٥ ـ التاريخ اليونانى تأليف الدكتور عبد اللطيف أحمد على .

16 - The Greeks, by H. D. F. Kitto.

17 - The Greek Commonwealth, by Zimmern.

18 - The Geographie Background of Greek and Roman History, by M. Cary.

19 - Geographical History in Greek Lands, by. J. Myres.

20 - The Greek Experience, by C. M. Bowra.

21 - Greek Imperialism, by Fergussen.

22 - Greek Life and Thought, by Mahaffy.

23 - Greek Sculpture, by Edgar.

24 - Essays in Greek History on Literature, by A. W. Gomme.

25 - Hellenistic Civilisation, by Tarn.

26 - The Mercenaries of the Hellenistic World, by Griffith.

27 - The Political Philosophy of Hellenistic Kingship, by Goodenough.

28 - The Hellenistic World and its Economic Development, by Rostovtzeff.

29 - The Social and Economic History of the Hellenistic World, by Rostovtzeff.

30 - The Ancient Empires of the East, by Sayce.

31 - History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty, by Bevan.

32 - Egypt from Alexander The Great to the Arab Conquest, by Bell.

33 - The Empire of the Ptolemies, by Mahaffy.

34 - Greek Sightseers in Egypt, by Rostovtzeff.

35 - Greek Sculpture in Ptolemaic Egypt, by Lawrence.

36 - The Ptolemies and the Welfare of their Subjects, by Westermann.

37 - A Further Note on Early Ptolemaic Chronology, by Edgar.

38 - The Greek Exploitation of Egypt, by Westermann.

39 - The Foundations of Social and Economic Life in Egypt in Hellenistic times, by Rostovtzeff.

40 - Alexandria, by Bell.

41 - The Cult of Alexander in Alexandria, by Taylor.

43 - The Life and Times of Cleopatre, Queen of Egypt, by Weigall.

44 - Foreign Commerce of Ptolemaic Egypt, by Rostovtzeff.

45 - Egyptian Agricultural Labor under Ptol-Philadelphus, by Westermann.

46 - Land Reclamation in the Fayum under Ptol-Philadelphus and Euregetes 1., by Westermann.

47 - Upon Slavery in Ptolmaic Egypt, by Westermann.

48 - Notes on Egyptian Marrage chiefly in the Ptolemaic Period, by Edgerton.

49 - The Gymnasium in Ptolemaic Egypt, by Brady.

50 - Hellenic Culture in Egypt, by Bell.

51 - Herophilus of Alexandria, by Dobson.

52 - Hellenic Culture in Egypt, by Bell.

53 - Arts in Ptolemaic Egypt, by Noshy.

54 - Les rappors des Grecs avec l'Egypte, par Mallet.

55 - A propos de la fondation d'Alexandrie, par Groningen.

56 - Les premiers établissements des Grecs en Egypte, par Mallet.

57 - Comment Alexandre devient dieu en Egypte, par Maspero.

58 - Note Critique sur l'Histoire d'Alexandre, par Radet.

59 - Alexandre le Grand, par Radet.

60 - Les Lagides et les Indigènes égyptiens, par Jouguet.

61 - La Politique intérieur du Ptolémée, par Jouguet.

62 - Pt. 11. Philadelphe et les indigènes égyptiens, par paremans.

63 - Le Calendrier Ptolemaic Sous Philadelphe et Evergète, par Cavaignac.

64 - Les Nouvelles études sur le calendrier ptolemaïque, par Lesquier.

65 - La guerre d'Alexandrie, par Graindor.

66 - Le fragments de Satyros Sur les dèmes d'Alexandrie, par Perdrizet.

67 - De l'Origine des monopoles Ptolemaiques, par Andréadès.

68 - Petits recherches Sur l'economie politique des Lagides, par Collart et Jouget.

69 - Recherches sur l'Economie politique de l'Egypte sous les Lagides, par Lumbroso.

70 - Les Finances de l'Egypte sous les Lagides, par Maspero.

71 - La difficulté de requérir le travail dans l'Egypte Lagide, par Préaux.

72 - Réflection sur les droits Superieurs de l'Etat dans l'Egypte Lagide, par Préaux.

73 - L'économie royale des Lagides, par Préaux.

74 - Esquisse d'une histoire des révolutions égyptiens, sous les Lagides, par Préaux.

75 - La politique religieuse d'Antoine et de Cléopatre, par Jeanmaire.

76 - Monuments de l'Egypte Gréco-Romaine, par Breccia.

77 - Les Temples Ptolmaiques et Romains, par Jaquier.

78 - L'Egypte Ptolemaïque, par Jouguet.



صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

مطبعة أطلس
١١ ، ١٣ شارع سوق التوفيقية ــ القاهرة


Bibliotheca Alexandrina
0209817